الجامع لأحكام القرآن

والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان

تأليف

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي
(ت ٦٧١ هـ)

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
شارك في تحقيق هذا الجزء
محمد رضوان عرقسوسي

الجزء الأول

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامع لأحكام القرآن

والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع
وطى المصيطبة – شارع حبيب أبي شهلا- بناية المسكن، بيروت-لبنان
تلفاكس: ٣١٩٠٣٩-٨١٥١١٢ فاكس: ٨١٨٦١٥ ص.ب: ١١٧٤٦٠

Al-Resalah
PUBLISHERS
BEIRUT/LEBANON-Telefax:815112-319039 Fax:818615-P.O.Box:117460
Email:Resalah@Cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً

قال الشيخُ الفقيهُ، الإمامُ العالمُ، العامِلُ، المحدِّثُ، أبو عبد الله محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي بكر بنِ فَرْح، الأنصاريُّ، الخزرجيُّ، الأندلسيُّ، ثم القُرْطُبيُّ، تغمَّده اللهُ برحمته، وأسكنه فَسِيحَ جنَّته:

الحمدُ لله المبتدىءِ بحمد نفسِه قبل أن يَحمَده حامد، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الرَّبُّ الصَّمَدُ الواحد، الحيُّ القيُّومُ الذي لايموت، ذو الجلالِ والإكرام، والمواهبِ العِظام، والمتكلمُ بالقرآن، والخالقُ للإنسان، والمُنعِمُ عليه بالإيمان، والمُرسِلُ رسولَه بالبيان، محمداً ﷺ، ما اختلفَ المَلَوان، وتعاقبَ الجديدان[1]، أرسلَه بكتابه المبين، الفارقِ بين الشكِّ واليقين، الذي أعجزَتِ الفُصحاءَ مُعارَضَتُه، وأعيَتِ الألبَّاءَ[2] مُناقَضَتُه، وأخرسَتِ البلغاءَ مُشاكَلَتُه[3]، فلا يأتون بمثله، ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً. جعلَ أمثالَه عِبراً لمن تَدَبَّرَها، وأوامرَه هُدًى لِمَنِ استَبصَرَها، وشرحَ فيه واجباتِ الأحكام، وفَرَقَ فيه بين الحلالِ والحرام[4]، وكرَّرَ فيه المواعظَ والقَصَصَ للأفهام، وضربَ فيه الأمثالَ، وقَصَّ[5] فيه غيبَ الأخبار، فقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. خاطبَ به أولياءَه، ففهموا، وبَيَّنَ لهم فيه مُرادَه، فعلموا. فَقَرَأَهُ[6] القرآن حَمَلَةُ سِرِّ الله

---

(١) الجديدان: الليل والنهار، وكذلك المَلَوان.

(٢) في (ظ): الألباب.

(٣) في (د) و(ز): وأعيت الألبَّاء مشاكلته، وأخرست البلغاء مناقضته.

(٤) في (ز): وقرر فيه رموز الحلال والحرام.

(٥) في النسخ الخطية: ونصَّ، والمثبت من (م).

(٦) في (ظ): فقرّاء.

المَكْنُون، وحَفَظَةُ عِلمِهِ المخزُون، وخلفاءُ أنبيائه وأُمناؤه، وهم أهلُه وخاصَّتُه، وخِيرتُه وأصفياؤه، قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للهِ أَهلِينَ مِنَّا». قالوا: يارسولَ الله، مَن هُم؟ قال: «هُم أهلُ القُرآن، أهلُ الله وخَاصَّتُه». أخرجه ابن ماجه في «سننه»، وأبو بكر البَزَّار في «مسنده»[١].

فما أَحَقَّ مَن عَلِمَ كتابَ الله أن يَزدَجِرَ[٢] بنواهِيه، ويَتَذَكَّرَ[٣] ما شُرِحَ له فيه، ويخشى اللهَ ويتَّقيه، ويراقبَه ويَستَحييه. فإنه قد حُمِّلَ أعباءَ الرُّسل، وصار شهيداً في القيامة على مَنْ خالفَ من أهلِ المِلل، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ألا وإنَّ الحُجَّةَ على مَنْ عَلِمَه فأغفلَه، أوكَدُ منها على مَنْ قَصَّرَ عنه وجَهِلَه. ومَن أوتيَ عِلمَ القرآن فلم ينتفع، وزَجَرَته نواهيه فلم يَرتَدع، وارتكبَ من المآثم قبيحاً، ومن الجرائم فُضُوحاً، كان القرآنُ حُجَّةً عليه، وخَصماً لَدَيه، قال رسول الله ﷺ: «القرآنُ حُجَّةٌ لكَ، أو عليك». خرَّجه مسلم[٤].

فالواجبُ على مَن خَصَّه الله بحفظ كتابه أن يتلوَه حقَّ تلاوتِه، ويَتَدَبَّرَ حقائقَ عبارته، ويَتفهَّمَ عجائبَه، ويتبيَّنَ غرائبَه، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]. وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]. جعلَنا الله ممَّن يرعاه حَقَّ رعايتِه، ويَتَدَبَّرُه حقَّ تدبُّرِه، ويقومُ بقِسطِه، ويُوفي بشرطِه، ولا يلتمسُ الهُدَى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهرة، وأحكامِه

---

(١) سنن ابن ماجه (٢١٥)، وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: «أهلين من الناس»، وهو حديث حسن. وليس الحديث في القسم المطبوع من مسند البزار، وهو في مسند أحمد (١٢٢٧٩).
وأبو بكر البزار: هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، ومسنده المذكور (والمسمى بالبحر الزخار) طبع منه أجزاء. توفي سنة (٢٩٢هـ). السير ١٣/ ٥٥٤.

(٢) في (ظ): ينزجر.

(٣) في (ز) و(ظ): يذكر.

(٤) صحيح مسلم (٢٢٣)، وهو قطعة من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، وهو في مسند أحمد (٢٢٩٠٢).

القاطعةِ الباهرة، وجمعَ لنا به خَيْرَي[١] الدنيا والآخرة، فإنه أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة.

ثم جَعل إلى رسوله ﷺ بيانَ ما كان فيه[٢] مُجمَلاً، وتفسيرَ ما كان منه مُشكِلاً، وتحقيقَ ما كان له[٣] مُحتَمِلاً، ليكونَ له مع تبليغ الرسالة ظهورُ الاختصاص به، ومنزلةُ التفويض إليه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ثم جَعَلَ إلى العلماء بعد رسول الله ﷺ استنباطَ ما نبَّه على معانيه، وأشارَ إلى أصوله، ليتوصَّلوا بالاجتهاد فيه إلى عِلم المراد، فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصُّوا بثوابِ اجتهادهم. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. فصار الكتابُ أصلاً، والسنةُ له بياناً، واستنباطُ العلماء[٤] إيضاحاً وتبْياناً. فالحمد لله الذي جعل صدورَنا أوعِيةَ كتابِه، وآذانَنا مواردَ سُننِ نبيِّه، وهِمَمَنا مصروفةً إلى تعلُّمِهما، والبحثِ عن معانيهما وغرائبِهما، طالبين بذلك رِضا ربِّ العالمين، ومندرجين[٥] به إلى علم المِلَّة والدِّين.

وبعد: فلما كان كتابُ الله هو الكفيلَ بجميع علومِ الشرع، الذي استقلَّ بالسُّنَّة والفَرْض، ونزلَ به أمينُ السماء إلى أمين الأرض، رأيتُ أن أشتغلَ به مَدَى عُمُري، وأستفرغَ فيه مُنَّتِي[٦]، بأن أكتبَ فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمَّن نُكَتاً من التفسير واللغات، والإعرابِ والقراءات، والردَّ على أهل الزَّيغ والضلالات، وأحاديثَ كثيرةً شاهدةً لما نذكرُه من الأحكام ونزولِ الآيات، جامعاً بين معانيها، ومُبَيِّناً ما أشكلَ منها[٧]، بأقاويل السلف، ومَن تَبِعَهم من الخَلَف.

---

(١) في (د) و(ز) و(م): خير، والمثبت من (ظ).

(٢) في (م): منه، وفي (د) و(ز): ما كان صفة منه.

(٣) في (ظ): فيه، وفي (م): منه.

(٤) في (م): واستنباط العلماء له.

(٥) في (م): ومتدرجين.

(٦) المُنَّة، بالضم: القوة. القاموس (منن).

(٧) في (ظ) و(م): معانيهما... منهما.

وعملتُه تذكرةً لنفسي، وذخيرةً ليوم رَمْسِي[١]، وعملاً صالحاً بعد موتي. قال الله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]. وقال رسولُ الله ﷺ: «إذا ماتَ الإنسانُ انقَطَعَ عنه[٢] عملُه إلا مِن ثلاث: صدقةٍ جارية، أو عِلمٍ يُنتَفَعُ به، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدعُولَهُ»[٣].

وشرطي في هذا الكتاب: إضافةُ الأقوال إلى قائليها، والأحاديثِ إلى مُصنِّفيها، فإنه يقال: من بركة العِلم أن يُضافَ القولُ إلى قائله[٤]. وكثيراً ما يجيء الحديثُ في كتبِ الفقه والتفسير مُبهماً، لا يَعرِفُ مَن أخرجَه إلا مَن اطَّلعَ على كتبِ الحديث، فيَبقَى مَن لا خِبرةَ له بذلك حائراً، لا يَعرِف الصحيحَ من السقيم، ومعرفةُ ذلك علمٌ جسيم، فلا يُقبَلُ منه الاحتجاجُ به، ولا الاستدلالُ، حتى يُضيفَه إلى مَن خرَّجه من الأئمة الأعلام، والثقاتِ المشاهير من علماء الإسلام. ونحن نُشيرُ إلى جُمَلٍ من ذلك في هذا الكتاب، واللهُ الموفقُ للصواب.

وأُضرِبُ عن كثير من قصص المفسِّرين، وأخبارِ المؤرخين، إلَّا مالا بُدَّ منه، ولا غِنَى عنه للتبيين، واعتَضتُ من ذلك تبيينَ آيِ الأحكام، بمسائلَ تُسفر عن معناها، وتُرشد الطالبَ إلى مقتضاها، فَضَمَّنتُ كلَّ آية تتضمَّن حُكماً ـ أو حُكمين فما زاد ـ مسائلَ يتبيَّنُ[٥] فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول، والتفسيرِ الغريب، والحُكمِ، فإن لم تتضمن حُكماً، ذكرتُ ما فيها منَ التفسير والتأويل. هكذا إلى آخر الكتاب.

وسمَّيتُه بـ **«الجامع لأحكام القرآن، والمبيِّن لما تضمَّنه من السُّنةِ وآيِ الفُرقان»**.

جعلَه اللهُ خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به ووالديَّ، ومَن أراده، بمنِّه، إنه سميعُ الدعاء، قريبٌ مجيبٌ، آمين.

---

(١) في القاموس: الرَّمس: الدَّفن، والقبر.

(٢) قوله: عنه، ليس في المطبوع.

(٣) أخرجه أحمد (٨٨٤٤)، ومسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) لكن المصنف رحمه الله لم يلتزم بشرطه هذا، فقد يترك ذلك في بعض الحالات، كما سنشير إليه، على حسب ما يمكننا الوقوف عليه.

(٥) في (م): نبيِّن.

باب ذِكر جُمَلٍ من فضائل القرآن، والترغيبِ فيه، وفضلِ طالبِه وقارئِه، ومستمعِه، والعاملِ به

اِعلم أنَّ هذا البابَ واسعٌ كبير، ألَّفَ فيه العلماءُ كُتباً كثيرةً، نذكُر من ذلك نُكَتاً تدلُّ على فضله، وما أعدَّ اللهُ لأهله، إذا أخلصوا الطلبَ لوجهه، وعَمِلوا به.

فأوَّلُ ذلك أن يَستشعرَ المؤمنُ من فضلِ القرآن أنه كلامُ ربِّ العالَمين، غيرُ مخلوق، كلامُ مَن ليس كَمِثلِه شَيءٌ، وصِفةُ مَن ليس له شبيهٌ ولا نِدٌّ، فهو مِن نُور ذاتِهِ جلَّ وعَزَّ، وأنَّ القراءةَ أصواتُ القُرَّاء ونَغَماتُهم، وهي أكسابُهم[1] التي يُؤمَرون بها في حال إيجاباً في بعضِ العبادات، ونَدباً في كثير منَ الأوقات، ويُزجَرُون عنها إذا جَنُبُوا[2]، ويُثابون عليها، ويُعاقَبون على تركها. وهذا مما أجمع عليه المسلمون أهلُ الحقِّ، ونَطَقَت به الآثارُ، ودلَّ عليها المستفيضُ منَ الأخبار، ولا يتعلَّق الثوابُ والعقابُ إلا بما هو من أكسابِ العباد، على ما يأتي بيانُه.

ولولا أنه سبحانه جَعَلَ في قلوب عبادِه منَ القُوَّة على حَملِه ما جعلَه، ليتدبَّروه وليعتبروا به، وليتذكَّروا مافيه من طاعته وعبادته، وأداءِ حقوقه وفرائضه، لَضَعُفَت ولَانْدَكَّت بِثِقَله، أو لَتَضعضَعَت له. وأنَّى تُطِيقُه! وهو يقول ـ تعالى جَدُّه وقولُه الحقُّ ـ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ؟! فأين قُوَّةُ القُلوبِ من قوَّة الجبال ؟! ولكنَّ الله تعالى رَزَقَ عبادَه منَ القوَّة على حمله ما شاء أن يرزقَهم، فضلاً منه ورحمة.

وأما ما جاء من الآثار في هذا الباب:

فأوَّلُ ذلك ما خرَّجه الترمذيُّ، عن أبي سعيد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقول الربُّ تبارك وتعالى: مَنْ شَغَلَه قراءةُ القُرآن عن مَسألتي[3]، أعطيتُه أفضَلَ ما أُعطِي

(١) في (د) و(ز): اكتسابهم، وفي (ظ): اكتابهم، والمثبت من (م).
(٢) في (م): أجنبوا، وهما بمعنى، واضطربت العبارة في (د) و(ز).
(٣) في (م): من شغله القرآن وذكري عن مسألتي.

السَّائلين». قال: وفَضلُ كلامِ الله على سائرِ الكلام، كفَضلِ اللهِ على خَلْقِه. قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب[١].

وروى أبو محمد الدَّارِميُّ السَّمَرْقَنْديُّ[٢] في «مسنده» عن عبد الله قال: السَّبعُ الطُّوَل مِثلُ التوراة، والمِئونَ مِثلُ الإنجيل، والمَثاني مِثلُ الزَّبور، وسائرُ القرآنِ بعدُ فَضْلٌ[٣].

وأسند عن الحارث[٤]، عن عليٍّ رضي الله عنه ـ وخرَّجه الترمذيُّ[٥] ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ستكونُ فِتَنٌ كقِطَعِ الليلِ المُظلِم». قلت: يارسولَ الله، وما المَخرجُ منها؟ قال: «كتابُ الله تبارك وتعالى، فيه نَبَأُ مَن قَبلَكُم، وخبرُ ما بَعدَكُم، وحُكْمُ ما بَينَكم، هو الفَصْلُ، ليس بالهَزْل، مَن تَرَكَهُ مِن جَبَّارٍ، قَصَمَه اللهُ، ومَنِ ابتَغَى الهُدَى في غيره، أضلَّه اللهُ، هو حَبْلُ اللهِ المتينُ، ونورُه المبينُ، والذِّكْرُ الحكيمُ، وهو الصراطُ المستقيمُ، وهو الذي لا تَزِيغُ به[٦] الأهواءُ، ولا تَلتَبِسُ به الألسنةُ، ولا تَتَشعَّبُ معه[٧] الآراءُ، ولا يَشبَعُ منه العلماءُ، ولا يَمَلُّه الأتقياءُ، ولا

(١) سنن الترمذي (٢٩٢٦) بنحوه، وفي إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف. وفيه أيضاً محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، وهو ضعيف جداً. وذكر الذهبي هذا الحديث في الميزان ٣/ ٥١٥ وقال: حسَّنَه الترمذي، فلم يُحسِن. وقوله: فضلُ كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه، ذكره البخاري في خلق أفعال العباد ص١٩ ومحمد بن نصر المروزي (كما في مختصر قيام الليل ص٧٥) من قول أبي عبد الرحمن السُّلمي، وزاد ابنُ نصر نسبته إلى شهر بن حوشب. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٦٦: بيَّن العسكري أنها من قول أبي عبد الرحمن السُّلمي.

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، التميمي، صاحب التصانيف، توفي سنة (٢٥٥هـ). السير ١٢/ ٢٢٤.

(٣) سنن الدارمي (٣٤٠٠)، وأخرج الإمام أحمد نحوه في المسند (١٦٩٨٢) من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً، وإسناده حسن.
وسيتكلم المصنف على السبع الطول، والمثاني، آخر الباب الأول من سورة الفاتحة، وفي تفسير الآية (٨٧) من سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

(٤) سنن الدارمي (٣٣٣١) و(٣٣٣٢). الحارث: هو ابنُ عبد الله الأعور، الهمداني.

(٥) سنن الترمذي (٢٩٠٦)، وهو في مسند أحمد (٧٠٤).

(٦) في (ظ): فيه.

(٧) في (د) و(ز): به.

يَخلُقُ[١] عن[٢] كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبُه، وهو الذي لم تَنتَهِ الجنُّ إذ سَمِعَتْه أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، من عَلِمَ عِلمَه سَبَق، ومَن قال به صَدَق، ومَن حَكَمَ به عَدَل، ومَن عَمِلَ به أُجِر، ومَن دَعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم» خُذها إليك يا أعوَر[٣].

الحارث: رماه الشعبيُّ[٤] بالكذب، وليس بشيء، ولم يَبِنْ مِن الحارث كذِب، وإنما نُقِمَ عليه إفراطُه في حبِّ عليٍّ وتفضيلُه له على غيره. ومن هاهنا ـ والله أعلم ـ كذَّبه الشعبيُّ[٥]، لأن الشعبيَّ يذهَبُ إلى تفضيل أبي بكر، وإلى أنه أوَّلُ مَن أسلم. قال أبو عمر بنُ عبد البَرِّ[٦]: وأظنُّ الشعبيَّ عُوقب لقوله في الحارث الهَمدانيِّ: حدَّثني الحارثُ، وكان أحدَ الكذَّابين.

وأسند أبو بكر محمدُ بنُ القاسم بنِ بشار بن محمد الأنباريُّ[٧] النحويُّ اللغويُّ في كتاب «الردِّ[٨] على مَن خالف مصحفَ عثمان»، عن عبد الله بن مسعود قال: قال

---

(١) قال النووي في التبيان في الفصل العاشر منه: يَخلُق، بضم اللام، ويجوز فتحها، والياء فيهما مفتوحة، ويجوز ضم الياء مع كسر اللام، يقال: خَلُقَ الشيءُ، وخَلَقَ، وخَلِقَ، وأخلَقَ: إذا بَلِيَ.

(٢) في (م): على.

(٣) حديث ضعيف، فقد أعلَّه الترمذي بقوله: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وانظر علل الدارقطني ٣/ ١٣٧.

(٤) هو عامر بنُ شراحيل بن عبد، أبو عمرو الهمداني، رأى عليًّا رضي الله عنه وصلى خلفه، وروى عن عدد من الصحابة. توفي سنة (١٠٤هـ). السير ٤/ ٢٩٤.

(٥) وكذَّبه أيضا أبو إسحاق، وعلي ابنُ المديني، وضعَّفه أبو زرعة، وأبو حاتم، وابنُ عدي، والدارقطني. وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال في موضع آخر: ليس به بأس. ووثَّقه ابنُ مَعِين، وأحمد بن صالح المصري. كذا في التهذيب ٢/ ٢٦٤.

(٦) في جامع بيان العلم ص٤٤٥ وتمام القصة فيه. وابنُ عبد البَرِّ: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَرِّ، أبو عمر، النَّمَرِيُّ، الأندلسيُّ، القُرطبيُّ، المالكيُّ، صاحب التمهيد و الاستذكار وغيرهما. توفي سنة (٤٦٣هـ). السير ١٨/ ١٥٣.

(٧) كذا نسبه القرطبي، والذي في أغلب المصادر: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، وهو من أئمة القراءة والأدب، توفي سنة (٣٢٨هـ). السير ١٥/ ٢٧٤. وكتابُ الردّ الذي ذكره المصنف له لم يصلنا، وقد ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٢، وياقوت في معجم الأدباء ١٨/ ٣١٣، والداودي في طبقات المفسرين ٢/ ٢٢٩، وغيرهم.

(٨) في النسخ الخطية: الرد له، والمثبت من (م).

رسولُ الله ﷺ: «إنَّ هذا القرآنَ مأدُبَةُ الله، فتعلَّموا من مَأدُبَتِهِ ما استطعتُم، إنَّ هذا القرآنَ حَبْلُ الله، النورُ المبينُ[١]، والشفاءُ النافعُ، عِصمةٌ لمن[٢] تمسَّك به، ونجاةٌ لمن[٢] اتَّبعه، لا يَعْوَجُّ فيُقوَّم، ولا يزيغُ فيُستَعتب، ولا تنقضي عجائبُه، ولا يَخلُق عن كثرة الرَّدِّ، فاتلوه، فإنَّ الله يأجُرُكم على تلاوته بكل حرف عشرَ حسنات، أما إني[٣] لا أقول: «الم» حَرفٌ، ولا أُلْفِيَنَّ أحدَكم واضعاً إحدى رِجلَيه يَدَعُ أن يقرَأ سورةَ البقرة، فإنَّ الشيطانَ يَفِرُّ من البيتِ الذي تُقرَأُ فيه سورةُ البقرة، وإنَّ أصفَرَ البيوتِ لَجوفٌ أصفرُ من[٤] كتاب الله»[٥].

وقال أبو عبيد في «غريبه»[٦] عن عبد الله قال: إن هذا القرآنَ مَأدُبَةُ الله، فمن دخَلَ فيه فهو آمِن. قال: وتأويل الحديث أنه مَثَلٌ، شَبَّه القرآنَ بصنيعٍ صنعَه اللهُ عزَّ وجلَّ للناس، لهم فيه خيرٌ ومنافع، ثم دعاهم إليه. يقال: مَأدُبة ومَأدَبة، فمن قال: مَأدُبة، أرادَ الصنيعَ يصنعُه الإنسانُ، فيدعو إليه الناسَ. ومَن قال: مَأدَبَة، فإنه يذهَبُ

---

(١) في (م): وهو النور المبين.

(٢) في (د) و(ز) و(م): من، والمثبت من (ظ).

(٣) في (ظ): ألا إني، وفي (د): أما أنا.

(٤) في (م): وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من. . .

(٥) اختلف في رفعه ووقفه، والصواب أنه موقوف من قول ابن مسعود رضي الله عنه فيما ذكر الدارقطني وغيره. وقوله: «اتلوه، فإن الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: الم حرف» له حكم المرفوع، لأنه مما لايقال بالرأي، وسيكرره المصنف بنحوه قريباً (ص١٤). وقوله: «إن الشيطان يفرُّ من البيت الذي تقرأ فيه سورةُ البقرة» له شاهد صحيح من حديث أبي هريرة رفعه: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» أخرجه مسلم (٧٨٠)، وهو عند أحمد (٧٨٢١). وسنورد بعض أهم مصادر الحديث إجمالاً (دون تفصيل فيمن أخرجه بتمامه، أو مقطَّعاً، أو مرفوعاً، أو موقوفاً، بغية الاختصار)، فهو عند عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٩٣) و (٥٩٩٨) و (٦٠١٧)، وأبي عبيد في فضائل القرآن ص٢١ و ٢٥و ٢٦ و ٣٢، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٨٢ ـ ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٦، والدارمي (٣٣٠٧) و (٣٣٠٨) و (٣٣١٥) و (٣٣٢٢) و (٣٣٧٥) و (٣٣٧٧) و (٣٣٧٩)، والترمذي (٢٩١٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٧٣٣ ـ ١٠٧٣٥)، والدارقطني في العلل ٥/ ٣٢٦، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٤٥).

(٦) غريب الحديث ٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨. وأبو عبيد: هو القاسم بن سلَّام، وله من الكتب أيضاً: الأموال، وفضائل القرآن، والطُّهور، وغيرها. توفي بمكة سنة (٢٢٤هـ). السير ١٠/ ٤٩٠.

به إلى الأدب، يجعلُه «مَفْعَلَة» من الأدَب، ويحتجُّ بحديثه الآخر: «إن هذا القرآنَ مَأدَبةُ الله عزَّ وجلَّ، فتعلَّموا من مَأدَبته». وكان الأحمر[١] يجعلُهما[٢] لغتين بمعنًى واحد، ولم أسمع أحداً يقول هذا غيرَه. والتفسيرُ الأولُ أعجبُ إليَّ.

وروى البخاريُّ عن عثمانَ بنِ عفَّان، عن النبيِّ ﷺ قال: «خَيرُكم مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ وعَلَّمَهُ»[٣].

وروى مسلمٌ، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنِ الذي يَقرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الأُترُجَّة، رِيحُها طيِّب، وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرَأُ القرآنَ مَثَلُ التمرة، لا ريحَ لها، وطَعْمُها حُلْوٌ[٤]، ومَثَلُ المنافقِ الذي يقرَأ القرآنَ مَثَلُ الرَّيْحانة، ريحُها طيِّبٌ، وطَعْمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المنافق الذي لا يقرَأُ القرآنَ، كَمَثَل الحَنظَلة، لا ريحَ لها، وطَعْمُها مُرٌّ». وفي رواية: «مَثَلُ الفاجِر» بدل «المنافق»[٥].

وقال البخاريُّ: «مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرَأُ القرآنَ، ويعملُ به كالأُتْرُجَّة[٦]، طَعْمُها طَيِّبٌ، ورِيحُها طيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرَأُ القرآنَ كمَثَل التمرة» وذكر الحديث[٧].

وذكر أبو بكر الأنباريُّ: وقد أخبرنا أحمدُ بنُ يحيى الحلوانيُّ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا هشيم (ح) وأنبأنا إدريسُ، حدثنا خَلَفٌ، حدثنا هُشَيم، عن العوَّام بن حَوْشَب، أن أبا عبد الرحمن السُّلَميَّ، كان إذا ختَم عليه الخاتِمُ القرآنَ،

---

(١) هو عليُّ بن المبارك، وقيل: عليُّ بن الحسن، شيخ العربية، تلميذ الكسائي. توفي سنة (١٩٤هـ). سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٢.

(٢) في (ظ): يجعلها.

(٣) صحيح البخاري (٥٠٢٧)، وهو في مسند أحمد (٤١٢).

(٤) في (ظ): طيب.

(٥) صحيح مسلم (٧٩٧)، وهو في مسند أحمد (١٩٥٤٩). قوله: الأُترجّة، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٦٦: هو بضم الهمزة والراء، بينهما مثناة ساكنة، وآخره جيم ثقيلة، وقد تخفف، ويزاد قبلها نون ساكنة، ويقال بحذف الألف مع الوجهين.

(٦) في (م): يقرأ القرآن كمثل الأترجة.

(٧) صحيح البخاري (٥٠٥٩).

أجلَسه بين يديه، ووضَع يده على رأسه، وقال له: ياهذا، اتقِ الله، فما أَعرِفُ أحداً خيراً منك إنْ عَمِلْتَ بالذي عَلِمْتَ.

وروى الدارميُّ، عن وَهْب الذِّماريِّ[١] قال: مَنْ آتاهُ اللهُ القرآنَ، فقام به آناءَ الليل، وآناءَ النهار، وعَمِلَ بما فيه، وماتَ على الطاعة، بعثَه اللهُ يومَ القيامة مع السَّفَرَةِ والأحكام. قال سعيدٌ[٢]: السَّفَرة: الملائكة، والأحكامُ: الأنبياء[٣].

وروى مسلم عن عائشةَ قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهِرُ بالقرآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَة، والذي يقرأُ القرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران»[٤]. التَّتَعْتُعُ: التردُّدُ في الكلامِ عِيًّا وصعوبة، وإنما كان له أجرانِ من حيثُ التلاوةُ، ومن حيثُ المشقَّةُ. ودرجاتُ الماهر فوق ذلك كلِّه، لأنه قد كان القرآنُ مُتَعْتَعاً عليه، ثم تَرَقَّى عن ذلك إلى أن شُبِّه بالملائكة. والله أعلم[٥].

وروى الترمذيُّ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قرَأَ حَرْفاً مِن كتابِ الله، فله به حَسَنةٌ، والحَسَنةُ بعَشر أمثالها، لا أقول «الم» حَرْفٌ، ولكن ألِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ». قال: حديثٌ حَسنٌ صحيح، غريب من هذا الوجه، وقد رُوِيَ موقوفاً[٦].

وروى مسلم عن عُقبةَ بن عامر قال: خرَج علينا رسولُ الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة، فقال: «أيُّكم يُحِبُّ أن يَغدُوَ كلَّ يوم إلى بُطْحانَ، أو إلى العَقيق، فيأتيَ منه بناقتين كَوْمَاوَيْن في غير إثم، ولا قطيعةِ[٧] رَحِم ؟». فقلنا: يارسول الله، كلُّنا نحبُّ ذلك، قال: «أفلا يغدُو أحدُكم إلى المسجد، فيَعلَمَ، أو يَقرَأَ آيتَينِ من كتابِ الله عزَّ وجلَّ،

---

(١) هو وهب بن منبّه، أبو عبد الله، الصنعاني، يروي الكثير من الإسرائيليات، مات سنة (١١٠هـ). وقيل: سنة (١١٤). السير ٤/ ٥٤٤.

(٢) في النسخ الخطية: سعد، وهو خطأ، وهو سعيد بن عبد العزيز التنوخي، أحد رجال السند.

(٣) هو في سنن الدارمي (٣٣٦٩) بأتم منه، وهو مقطوع.

(٤) صحيح مسلم (٧٩٨)، وهو أيضاً عند البخاري (٤٩٣٧)، وفي مسند الإمام أحمد (٢٤٢١١).

(٥) المفهم ٢/ ٤٢٥.

(٦) سنن الترمذي (٢٩١٠)، وقد ذكره المصنف مطولاً ص١١ ـ ١٢.

(٧) في (م): قطع.

خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاث، وأربعٌ خيرٌ له من أربع، ومِن أعدادِهنَّ من الإبل»[١].

وعن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عن مُسلم كُربَةً من كُرَبِ الدُّنيا، نَفَّسَ الله عنه كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامة، ومَن يَسَّرَ على مُعْسِر، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن سَتَرَ مسلماً، سَتَرَه اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عَونِ العبد ما كانَ العبدُ في عَونِ أخيه، ومَن سلَكَ طريقاً يَلتَمِسُ فيه عِلماً، سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتَمَعَ قومٌ في بيت من بيوتِ الله، يتلُون كتابَ الله، ويَتَدارَسُونه بينهم، إلا نَزَلَت عليهمُ السكينةُ، وغَشِيَتهُم الرحمةُ، وحفَّتهمُ الملائكةُ، وذَكَرَهمُ اللهُ فيمَن عنده، ومَن بَطَّأَ[٢] به عَمَلُه، لم يُسرِعْ به نَسَبُه»[٣].

وروى أبو داودَ، والنسائيُّ، والدارميُّ، والترمذيُّ، عن عقبةَ بن عامر قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «الجاهِرُ بالقُرآن كالجاهِر بالصَّدَقة، والمُسِرُّ بالقرآن كالمُسِرِّ بالصَّدَقة». قال الترمذيُّ: حديث حسن غريب[٤].

وروى الترمذيُّ، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «يَجِيءُ صاحبُ القرآن[٥] يومَ القيامة، فيقول: يارَبِّ حَلِّهِ، فيُلبَسُ تاجَ الكرامة، ثم يقول: يارَبِّ زِده، فيُلبَسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يارَبِّ ارْضَ عنه، فيَرضى عنه، فيقال له: اقرَأ، وارقَ، ويُزاد بكلِّ آية حَسَنة». قال: حديث صحيح[٦].

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُقال لصاحبِ

---

(١) صحيح مسلم (٨٠٣)، وهو في مسند أحمد (١٧٤٠٨). قوله: بُطحان والعقيق: هما واديان بظاهر المدينة. وقوله: «كوماوَيْن»: هو مثنى كوماء، يعني الناقة العظيمة السَّنام.

(٢) في (م): أبطأ.

(٣) صحيح مسلم (٢٦٩٩)، وهو في مسند أحمد (٧٤٢٧).

(٤) سنن أبي داود (١٣٣٣)، والسنن الصغرى للنسائي ٣/ ٢٢٥ و ٥/ ٨٠ والكبرى (١٣٧٨) و (٢٣٥٣) وسنن الترمذي (٢٩١٩)، ولم نجده عند الدارمي، وهو في مسند أحمد (١٧٣٦٨).

(٥) كذا في النسخ الخطية، وتحفة الأحوذي ٨/ ٢٢٧. ووقع في مطبوع الترمذي وعارضة الأحوذي ١١/ ٣٧ وتحفة الأشراف ٩/ ٤٢٨: يجيء القرآن.

(٦) سنن الترمذي (٢٩١٥).

القرآن: اقْرَأ، وارْتَقِ، ورتِّل كما كنتَ تُرتِّلُ في الدنيا، فإنَّ منزلَتَك عند آخرِ آية تقرؤها»[١].

وأخرجه ابنُ ماجه في «سننه» عن أبي سعيد الخُدريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُقال لصاحبِ القرآنِ إذا دخَلَ الجنةَ: اقرَأ، واصْعَد، فيَقرَأُ، ويَصعَدُ بكلِّ آية درجة، حتى يقرَأَ آخِرَ شيء معه»[٢].

وأسند أبو بكر الأنباريُّ عن أبي أمامةَ الحمصيِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أُعطِيَ ثُلُثَ القرآن، فقد أُعطيَ ثُلثَ النبوَّة، ومَن أُعطيَ ثُلُثي القرآن، فقد أُعطيَ ثُلُثي النبوَّة، ومَن قَرَأَ القرآنَ كلَّه، فقد أعطيَ النبوَّةَ كلَّها، غيرَ أنه لا يُوحَى إليه، ويُقال له يوم القيامة: اقْرَأ، وارْقَ، فيَقرَأُ آية، ويصعدُ درجة، حتى يُنجِزَ ما معه من القرآن، ثم يقال له: اقبِض، فيَقبِضُ، ثم يقال له: اقبض، فيقبض[٣]، ثم يقال له: أتدري ما في يديك؟ فإذا في يده اليمنى الخُلْدُ، وفي اليُسرىٰ النعيمُ»[٤].

حدثنا إدريسُ، عن خَلَف[٥]، حدثنا إسماعيلُ بنُ عيَّاش، عن تمَّام، عن

---

(١) سنن أبي داود (١٤٦٤)، وهو في مسند أحمد (٦٧٩٩).

(٢) سنن ابن ماجه (٣٧٨٠)، وهو في مسند أحمد (١١٣٦٠).

(٣) قوله: «ثم يقال له: اقبض، فيقبض» لم يكرر في (م) و(د)، وهو ثابت في (ظ) و(ز) والمصادر، وجاء عند الأنباري وغيره: فيقبض بيده، بزيادة لفظ: «بيده» في الموضعين.

(٤) هو عند أبي بكر الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ١١، وعنده: «من قرأ» بدل: «من أُعطيَ» في كل المواضع. وأخرجه أيضاً ابن حبان في المجروحين ١/ ١٨٧ ـ ١٨٨، وابن عدي في الكامل ٢/ ٤٤٠ ـ ٤٤١، وأبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (٥٠)، والبيهقي في شُعب الإيمان (٢٥٨٩)، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٨٣، من طريق بشر بن نمير، عن القاسم، عن أبي أمامة، به. وبشرُ بن نُمير، قال فيه ابن حبان: منكر الحديث جداً. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وهو ضعيف. وقال ابن الجوزي: هذا الحديث لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ.
وأخرجه الآجري في أخلاق حملة القرآن (١٤)، والرازي (٤٩)، من طريق مسلمة بن عُلَيٍّ الخُشني، عن زيد بن واقد، عن مكحول، عن أبي أمامة. ومسلمة بن عُلَي متروك، ومكحول لم يثبت له سماع من أبي أمامة.

(٥) تحرف في النسخ و(م) إلى: حدثنا إدريس بن خلف، والصواب ما أثبتناه. إدريس: هو ابن عبد الكريم الحدَّاد، شيخ ابن الأنباري، وخَلَف: هو ابن هشام بن ثعلب البغدادي، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سُليم، عن حمزة. طبقات القراء ١/ ١٥٤ و٢٧٢ ـ ٢٧٣.

الحسن قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَخَذَ ثُلُثَ القرآنِ وعَمِلَ به، فقد أَخَذَ أمرَ ثُلُثِ[١] النبوَّة، ومَن أَخَذَ نِصفَ القرآن، وعَمِلَ به، فقد أَخَذَ أمرَ نِصفِ[٢] النُّبوَّة، ومَن أَخَذَ القرآنَ كُلَّه، فقد أَخَذَ النبوَّةَ كلَّها»[٣].

قال: وحدثنا محمدُ بنُ يحيى المَروَزيُّ، أخبرنا محمد ـ وهو ابن سعدان ـ حدثنا الحُسين[٤] بنُ محمد، عن حفص، عن كثير بن زاذان، عن عاصم بن ضَمرة، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قَرَأَ القرآنَ وتلاه وحَفِظَهُ، أدخلَه اللهُ الجنةَ، وشَفَّعَهُ في عَشَرَة من أهلِ بيتِهِ، كُلٌّ قد وَجَبت له النار»[٥].

وقالت أمُّ الدَّرداء[٦]: دخلتُ على عائشةَ رضي الله عنها، فقلت لها: ما فَضلُ مَن قَرَأَ القرآنَ على مَن لم يقرأه ممَّن دخلَ الجنة؟ فقالت عائشةُ رضي الله عنها: إنَّ عددَ آيِ القرآنِ على عَدَدِ دَرَج الجنة، فليس أحدٌ دخَلَ الجنةَ أفضلَ ممن قَرَأَ القرآن. ذكره أبو محمد مكيٌّ[٧].

وقال ابنُ عباس: مَن قَرأَ القرآنَ واتَّبعَ ما فيه، هداه الله من الضَّلالة، ووقاه يومَ القيامة سوءَ الحساب، وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ

---

(١) في (ظ): ثلث أمر.

(٢) في (د) و(ز): أخذ نصف.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩٢)، وهو مرسل. تمَّام: هو ابن نَجيح الأسَدي. والحَسَن: هو البصري.

(٤) في (د) و(ز): الحسن.

(٥) إسناده ضعيف. حفص ـ وهو ابنُ سليمان الأسدي، القارىء، صاحب عاصم ـ ضعيف الحديث، وكثير بن زاذان: مجهول. وأخرجه أحمد (١٢٦٨)، والترمذي (٢٩٠٥)، وابن ماجه (٢١٦). قال الترمذي: ليس إسناده بصحيح. اهـ. وقد رُوي من وجه آخر عن عائشة، وهو منكر. تاريخ بغداد ٤/ ٨١ و٤٣٠ و١١/ ٣٩٥.

(٦) هُجيمة بنت حيي الأوصابية الحميرية، الدمشقية، وهي أم الدرداء الصغرى، اشتهرت بالعلم والعمل والزُّهد، وليس لها صحبة، ماتت بعد سنة (٨١هـ). السير ٤/ ٢٧٧.

(٧) في الرعاية ص٦٤، ومكي: هو ابن أبي طالب، أبو محمد القيسي، القيرواني، ثم القرطبي، المقرىء، صاحب التصانيف، توفي سنة (٤٣٧هـ). السير ١٧/ ٥٩١.
وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٦، وابن نصر المروزي كما في مختصر قيام الليل ص٧٤، والآجري في أخلاق حملة القرآن (١١)، من طريق أم الدرداء، به.

﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾[١] [طه: ١٢٣]. قال ابن عباس: فضَمِنَ الله لمن اتَّبعَ القرآنَ ألَّا يَضِلَّ في الدُّنيا، ولا يَشقَى في الآخرة. ذكره مكيٌّ أيضاً[٢].

وقال الليث[٣]: يُقال: ما الرحمةُ إلى أحد بأسرعَ منها إلى مستمع القُرآن، لقول الله جلَّ ذِكرُه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. و «لَعَلَّ» من الله واجبةٌ[٤].

وفي «مُسنَد» أبي داودَ الطَّيَالسيِّ[٥] ـ وهو أولُ مُسنَد أُلِّفَ في الإسلام[٦] ـ عن عبدِ الله بنِ عمرو، عن رسولِ الله ﷺ قال: «مَن قامَ بِعَشرِ آيات، لم يُكتَب من الغافلين، ومَن قامَ بمئة آية، كُتِبَ من القانتين، ومن قامَ بألفِ آية، كُتِبَ من المُقَنطِرين»[٧]. والآثار في معنى هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرنا كفاية، والله الموفق للهداية.

باب كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى، وما يُكره منها وما يحرم، واختلاف الناس في ذلك

روى البخاريُّ عن قتادةَ[٨] قال: سألتُ أنَساً عن قراءةِ رسولِ الله ﷺ، فقال: كان

---

(١) الرعاية ص٦٤، وأخرجه عبد الرزاق (٦٠٣٣)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٧، وابن نصر المروزي كما في مختصر قيام الليل ص٧٦، والحاكم ٢/ ٣٨١. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) في الرعاية ص٦٤ و٦٥، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٧١، وابن نصر المروزي ص٧٦، وأبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (٨٤).

(٣) ابنُ سعد بنِ عبد الرحمن، أبو الحارث الفهمي، عالم الديار المصرية، مات سنة (٧٥هـ). السير ٨/ ١٣٦.

(٤) الرعاية ص٦٦.

(٥) سليمان بن داود بن الجارود، الفارسي، ثم الأسدي، الحافظ، مات سنة (٢٠٤هـ). السير ٩/ ٣٧٨.

(٦) في هذا الكلام نظر؛ قال السيوطي في تدريب الراوي ١/ ١٩٠: قيل: الذي حمل قائلَ هذا القولِ عليه تقدُّمُ عصر أبي داود في أعصار مَنْ صَنَّفَ المسانيد، فظنَّ أنه هو الذي صنَّفه، وليس كذلك، فإنما هو من جمع بعض الحفاظ الخُراسانيِّين، جمعَ فيه ما رواه يونس بن حبيب خاصة عنه، ويشبه هذا مسند الشافعي، فإنه ليس تصنيفَه، وإنما لقطه بعض الحفاظ النيسابوريّين من مسموع الأصمّ من الأمّ، وسمعه عليه.

(٧) لم نجده في مسند الطيالسي، وأخرجه أبو داود السجستاني (١٣٩٨)، وابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢)، والبيهقي في شُعب الإيمان (٢١٩٤)، وهو حديث حسن.

(٨) هو ابنُ دِعامة، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، قدوة المفسرين والمحدثين. مات سنة (١١٧هـ). السير ٥/ ٢٦٩.

يَمُدُّ مَدًّا. [ثم] قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمدُّ بسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمدُّ بالرحيم[١].

وروى الترمذيُّ عن أمِّ سَلَمةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُقَطِّعُ قراءتَه[٢]، يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثم يقفُ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، وكان يقرأ[٣]: ﴿مَٰلِكِ يومِ الدِّين﴾. قال: حديث غريب[٤]. وأخرجه أبو داودَ بنحوه[٥].

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أحسنُ الناسِ صَوتاً مَن إذا قرأ[٦]، رأيتَه يخشى الله تعالى»[٧].

ورُوي عن زياد النُّمَيريِّ أنه جاء مع القرَّاء إلى أنس بن مالك، فقيل له: اقرأ، فرفعَ صوتَه وطرَّب، وكان رفيعَ الصوت، فكشف أنسٌ عن وجهه ـ وكان على وجهه

(١) صحيح البخاري (٥٠٤٥) و (٥٠٤٦) وفيه: «يمدُّ ببسم الله» واستدركنا لفظة «ثم» منه. وهو في مسند أحمد (١٢١٩٨). وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/ ٩١ أن المرادَ بمد القراءة المدُّ الأصلي (يعني الطبيعي).

(٢) في (ظ): القراءة.

(٣) في (م): يقرؤها.

(٤) سنن الترمذي (٢٩٢٧)، وهو في مسند أحمد (٢٦٤٥١) و(٢٦٥٨٣).

(٥) سنن أبي داود (٤٠٠١).

(٦) في (ظ): قرأ القرآن.

(٧) حديث ضعيف. أخرجه عَبد بنُ حُميد في المنتخب (٨٠٢)، والبزار (٢٣٣٦) (زوائد)، وابن نَصر المَروَزي ـ كما في مختصر قيام الليل ص٥٩ ـ والطبراني في الأوسط (٢٠٩٥)، وابن عدي في الكامل ٢/ ٦٩٣، وتمَّام الرازي في فوائده (١٣١٩) (الرَّوض البسام)، وأبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (٢٤)، والخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٨ من حديث ابن عمر. وأخرجه ابنُ ماجه (١٣٣٩)، والآجُرِّي في أخلاق حَمَلَة القرآن (٨٩) من حديث جابر. وأخرجه ابن عدي ٢/ ٦٩٣، وأبو نُعَيم في الحِلية ٤/ ١٩، والبيهقي في شُعب الإيمان (٢١٤٥) من حديث ابن عباس. وأخرجه أبو نُعيم أيضاً في أخبار أصبهان ٢/ ٥٨ من حديث عائشة، وأخرجه ابنُ المبارك في الزهد (١١٣)، وعبد الرزاق (٤١٨٥)، وابن سلاَّم في فضائل القرآن ص٨٠، وسعيد بن منصور في تفسيره (٤٧)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٤، والدارمي (٣٤٨٩)، وابن عدي ٢/ ٦٩٣، والبيهقي (٢١٤٦) من حديث طاووس مرسلاً. وأخرجه ابن المبارك (١١٤)، والآجري (٩٠) من حديث الزهري مرسلاً. قال ابن عدي: والصحيح مرسل عن طاووس.

خِرقةٌ سوداء ـ فقال: ياهذا، ما هكذا كانوا يفعلون ! وكان إذا رأى شيئاً يُنكره، كشفَ الخِرقة عن وجهه[١].

ورُوي عن قيس بن عُبَاد[٢] أنه قال: كان أصحابُ رسول الله ﷺ يكرهون رفعَ الصوتِ عندَ الذِّكرِ[٣].

وممن رُوي عنه كراهةُ رفعِ الصوت عند قراءةِ القرآن: سعيدُ بنُ المُسيِّب[٤]، وسعيدُ بنُ جُبَير[٥]، والقاسمُ بنُ محمد[٦]، والحسنُ[٧]، وابنُ سِيرِين[٨]، والنَّخَعيُّ[٩]، وغيرُهم[١٠].

وكَرهه مالكُ بنُ أنس، وأحمدُ بنُ حنبل، كلُّهم كرهَ رَفعَ الصوتِ بالقرآن، والتَّطريبَ فيه.

ورُويَ عن سعيد بن المسيّب أنه سمع عمرَ بنَ عبد العزيز يَؤُمُّ الناس، فَطرَّبَ في قراءته، فأرسلَ إليه سعيدٌ يقول: أصلحكَ اللهُ، إنَّ الأئمةَ لا تقرأُ هكذا. فترك عمرُ التطريبَ بعدُ[١١].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٦، وزياد النُّميري ـ وهو ابن عبد الله ـ ضعيف.

(٢) القيسي، البصري، قدم المدينة في خلافة عمر. وهو من رجال التهذيب.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٤٧)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٥٣٠.

(٤) أبو محمد القرشي، المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، مات سنة (٩٤هـ). السير ٤/ ٢١٧.

(٥) أبو محمد الأسدي، الوالبي، مولاهم، الكوفي، الحافظ، المفسر، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ). السير ٤/ ٣٢١.

(٦) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، القرشي، التميمي، المدني، الحافظ، أحد فقهاء المدينة. مات سنة (١٠٦هـ). السير ٥/ ٥٣.

(٧) ابن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، مات سنة (١١٠هـ). السير ٤/ ٥٦٣.

(٨) محمد، أبو بكر الأنصاري، البصري، مولى أنس بن مالك، مات سنة (١١٠هـ). السير ٤/ ٦٠٦.

(٩) إبراهيم بن يزيد بن قيس، أبو عمران النخعي، اليماني، ثم الكوفي، فقيه العراق. مات سنة (٩٦هـ). السير ٤/ ٥٢٠.

(١٠) فضائل القرآن لابن سلّام ص٨٢ ـ ٨٤، ومصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥٣٠.

(١١) مصنف عبد الرزاق ٢/ ٤٨٤.

ورُوي عن القاسم بنِ محمد أن رجلاً قرأ في مسجد النبيِّ ﷺ، فَطَرَّب، فأنكرَ ذلك القاسمُ، وقال: يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢] الآية[١].

ورُويَ عن مالك أنه سُئل عن النَّبْر في قراءة القرآن[٢] في الصلاة، فأنكر ذلك، وكَرهه كراهةً شديدة، وأنكَر رَفعَ الصوت به.

ورَوى ابنُ القاسم[٣] عنه، أنه سُئِلَ عن الألحان في الصلاة، فقال: لا يُعجبُني، وقال: إنَّما هو غِناءٌ يَتَغَنَّوْنَ به ليأخذوا عليه الدَّراهم.

وأجازت طائِفةٌ رفعَ الصوت بالقرآن، والتطريبَ به؛ وذلك لأنه إذا حَسَّنَ الصوتَ به، كان أوقعَ في النفوس، وأسمعَ في القلوب.

واحتجُّوا بقوله عليه السلام: «زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتِكم» رواه البَرَاء بن عازب. أخرجه أبو داود والنَّسائي[٤]. وبقوله عليه السلام: «ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن». أخرجه مسلم[٥]. وبقول أبي موسى للنبي ﷺ: لو أعلمُ[٦] أنك تستمِعُ لقراءتي لَحَبَّرْتُهُ لك تَحْبِيراً[٧]. وبما رواه عبدُ الله بن مُغَفَّل قال: قرأ رسولُ الله ﷺ عامَ الفَتح في مسير له سورةَ الفتح على راحلته، فَرَجَّعَ في قراءته[٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/٤٦٦.

(٢) يعني رفع الصوت به.

(٣) هو عبد الرحمن بن القاسم أبو عبد الله العُتَقي مولاهم، المصري، صاحب مالك، عالم الديار المصرية ومفتيها، توفي سنة (١٩١هـ). سير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٠.

(٤) سنن أبي داود (١٤٦٨)، والسنن الصغرى للنسائي ٢/ ١٧٩، وهو في مسند أحمد (١٨٤٩٤)، وهو حديث صحيح.

(٥) ليس في صحيح مسلم، وأخرجه البخاري (٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة. وأخرجه أحمد (١٤٧٦)، وأبو داود (١٤٦٩) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٦) في (ظ): علمتُ.

(٧) قطعة من حديث أخرجه ابن حبان (٧١٩٧). وأصل الحديث في صحيح البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣)، وأخرجه أحمد (٨٦٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٨) أخرجه أحمد (١٦٧٨٩)، والبخاري (٥٠٤٧)، ومسلم (٧٩٤)، وسيذكر المصنف معنى الترجيع في القراءة ص٣٠.

وممن ذهبَ إلى هذا أبو حنيفة وأصحابُه، والشافعيُّ، وابنُ المبارك[١]، والنَّضْرُ بنُ شُمَيل[٢]، وهو اختيارُ أبي جعفر الطبري[٣]، وأبي الحسن بن بَطّال[٤]، والقاضي أبي بكر بن العربي[٥]، وغيرِهم.

قلت: القولُ الأوَّل أصحُّ لما ذكرناه، ويأتي.

وأما ما احتجّوا به من الحديث الأول، فليس على ظاهره، وإنما هو من باب المقلوب، أي: زَيِّنُوا أصواتكم بالقرآن.

قال الخَطابي[٦]: وكذا فسَّره غيرُ واحد من أئمة الحديث: زَيِّنُوا أصواتكم بالقرآن، وقالوا: هو من باب المقلوب، كما قالوا: عَرَضتُ الناقةَ على الحَوض، وإنما هو: عرضتُ الحَوضَ على النَّاقة[٧]. قال: ورواه مَعمَر، عن منصور، عن طلحة، فقدَّم الأصوات على القرآن، وهو الصحيح.

قال الخطَّابي: ورواه طلحة، عَن عبد الرحمن بن عَوْسَجة، عن البَرَاء أنَّ رسول الله ﷺ قال: «زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم»[٨]. أي: الهَجُوا بقراءته، واشغَلُوا به

---

(١) هو عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن الحنظلي، المروزي، الحافظ، عالم زمانه، توفي سنة (١٨١هـ). السير ٨/ ٣٧٨.

(٢) أبو الحسن المازني، البصري، الحافظ، نزيل مرو وعالمُها، توفي سنة (٢٠٤هـ) السير ٩/ ٣٢٨.

(٣) محمد بن جرير، صاحب التفسير، والتاريخ، وتهذيب الآثار. توفي سنة (٣١٠هـ). السير ١٤/ ٢٦٧.

(٤) هو علي بن خلف بن بطّال القرطبي، يعرف بابن اللَّجَّام، شارح صحيح البخاري، توفي سنة (٤٤٩هـ). السير ١٨/ ٤٧.

(٥) هو محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي، الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، له: عارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، وأحكام القرآن. توفي سنة (٥٤٣هـ). السير ٢٠/ ١٩٧.

(٦) في معالم السنن ١/ ٢٩٠. والخطَّابي: هو أبو سليمان، حَمْدُ بنُ محمد بن إبراهيم، البُستي، الحافظ، اللغوي، صاحب التصانيف. توفي سنة (٣٨٨هـ). السير ١٧/ ٢٣.

(٧) اضطربت العبارة في (ز)، ووقعت مقلوبة في (م) والتذكار للمصنف ص١٤٨. والمثبت من (ظ) و(د)، وهو الموافق لمعالم السنن ١/ ٢٩٠، وانظر الصحاح واللسان (عرض).

(٨) كذا قال القرطبي، وهو وهم منه رحمه الله، فإن الخطابي بعد أن أشار إلى رواية طلحة، وذكر أن فيها تقديم الأصوات على القرآن، أخرج روايته، فقال: أخبرناه محمد بن هاشم، حدثنا الدَّبَري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن منصور، عن طلحة، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء أن رسول الله ﷺ قال: «زيِّنوا أصواتكم بالقرآن». فجعلهما القرطبي روايتين، وقال أيضاً: «زيِّنوا القرآن بأصواتكم»، وصوابُه في هذا الموضع لفظ: «زيِّنوا أصواتكم بالقرآن».

أصواتَكُم، واتَّخِذوه شعاراً وزينة.

وقيل: معناه الحَضُّ على قراءة القرآن والدُّؤوب عليه. وقد رُويَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «زَيِّنُوا أصواتَكم بالقرآن»[١].

ورُويَ عن عمر أنه قال: حَسِّنُوا أصواتَكم بالقرآن[٢].

قلتُ: وإلى هذا المعنى يرجعُ قولُه عليه السلام: «ليس منَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآن». أي: ليس منَّا من لم يُحَسِّن صَوتَه بالقرآن، كذلك تأوَّلَه عبدُ الله بنُ أبي مُلَيكَةَ[٣]. قال عبد الجبار بنُ الوَرد: سمعتُ ابنَ أبي مُلَيكَة يقول: قال عُبيد الله[٤] بن أبي يزيد: مرَّ بنا أبو لُبَابة[٥]، فاتَّبَعناه حتى دخلَ بيتَه، فإذا رجلٌ رَثُّ الهيئة، فسمعتُه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليس منَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآن». قال: فقلتُ لابنِ أبي مُلَيكة: يا أبا محمد، أرأيتَ إذا لم يكن حَسَنَ الصوت؟ قال: يُحَسِّنُهُ ما استطاع. ذكره أبو داود[٦].

وإليه يرجع أيضاً قولُ أبي موسى للنبيِّ ﷺ: إنِّي لو علمتُ أنَّك تستمعُ لقراءتي، لَحَسَّنتُ صوتي بالقرآن، وزيَّنتُه به[٧]، ورتَّلتُه. وهذا يدلُّ أنه كان يَهُذُّ في قراءته[٨] مع حُسنِ الصوت الذي جُبِل عليه. والتَّحبيرُ: التزيين والتَّحسين. فلو علم

(١) لم نجده بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة، إنما أخرجَ ابنُ حبان (٧٥٠) حديثَ أبي هريرة بلفظ حديث البراء المذكور أعلاه: «زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتكم». وأخرجَ عبد الرزاق عن معمر (٤١٧٦) لفظَ: «زَيِّنُوا أصواتكم بالقرآن» من حديث البراء أيضاً، وأخرجه كذلك الحاكم في المستدرك ١/ ٥٧١ و٥٧٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٤٦٤.

(٣) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُليكة، أبو بكر وأبو محمد، القرشي، التميمي، المكي، القاضي، توفي سنة (١١٧هـ). السير ٥/ ٨٨.

(٤) وقع في (م): عبد الله، وفي (ز): عبد الحق، والمثبت من (ظ) و(د)، وهو الصواب.

(٥) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، صحابي مختلف في اسمه، فقيل: اسمه بَشِير، وقيل: رفاعة، مات في خلافة علي رضي الله عنه، وقيل غير ذلك. الإصابة ١١/ ٣٢٢.

(٦) سنن أبي داود (١٤٧١).

(٧) لفظة: به، من (د) و(ز).

(٨) أي: يسرع فيها. القاموس (هذَّ).

أنَّ النبيَّ ﷺ كان يسمعُه، لَمَدَّ في قراءته، ورتَّلَها، كما كان يقرأُ على النبيِّ ﷺ، فيكون ذلك زيادة في حُسن صوتِه بالقراءة. ومعاذ الله أن يتأوَّل على رسول الله ﷺ أن يقول: إن القرآن يُزَيَّن بالأصوات، أو بغيرها، فَمن تأوَّلَ هذا، فقد واقع أمراً عظيماً أن يُحْوِجَ القرآنَ إلى من يُزَيِّنُهُ، وهو النُّور والضِّياء، والزَّيْنُ[1] الأعلى لمن أُلبِسَ بهجتَه، واستَنارَ بضيائه.

وقد قيل: إن الأمرَ بالتَّزيين اكتسابُ القراءات وتزيينُها بأصواتنا، وتقدير ذلك أي: زيِّنوا القراءةَ بأصواتكم؛ فيكون القرآن بمعنى القراءة، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: قراءةَ الفجر، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] أي: قراءته. وكما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عَمرو قال: إنَّ في البحر شياطينَ مَسْجُونةً، أوثقَها سليمانُ عليه السلام، يُوشِكُ أن تَخرُجَ، فتقرأَ على النَّاسِ قُرآناً[2]. أي: قراءةً.

وقال الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

ضَحَّوْا بأشمَطَ عُنوانُ السجودِ به ... يُقَطِّعُ الليلَ تَسبِيحاً وقُرآنا[3]

أي: قراءة، فيكون معناه على هذا التأويل صحيحاً، إلاَّ أن يُخرِجَ القراءةَ ـ التي هي التلاوةُ ـ عن حدِّها ـ على ما نبيِّنُه ـ فيمتنِع.

وقد قيل: إنَّ معنى «يتغنَّى به»: يستغني به، من الاستغناء الذي هو ضِدُّ الافتقار، لا من الغِناء؛ يقال: تغنَّيتُ وتغانيت، بمعنى: استغنيتُ. وفي «الصحاح»: تَغَنَّى الرجلُ، بمعنى استَغنَى، وأغنَاهُ الله. وتَغَانَوا، أي: استَغنَى بعضُهم عن بعض. قال

(١) في النسخ الخطية: الدين، والمثبت من (م).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٢. وهو موقوف على ابن عمرو رضي الله عنهما، وكان قد رَوَى عن أهل الكتاب، كما ذكر الذهبي في السير ٣/ ٨١، وقال أبو العباس القرطبي في المفهم ١/ ١٢٠: هذا ونحوه لا يُتوصَّل إليه بالرأي والاجتهاد، بل بالسمع، والظاهر أن الصحابة إنما تستند في هذا للنبي ﷺ، مع أنه يحتمل أن يُحدِّثَ به عن بعض أهل الكتاب.

(٣) البيت لحسان بن ثابت، وهو في ديوانه ص٤٦٩. قوله: الأشمط، يعني المختلط سوادُ شعرِه ببياض.

المغيرة بن حَبناء التميمي[١] وأجاد[٢]:

كلانا غنيٌّ عن أخيهِ حياتَه ونحن إذا متنا أشدُّ تغانيا[٣]

وإلى هذا التأويل ذهبَ سفيان بن عُيَينَةَ، ووَكيع بنُ الجرَّاح[٤]، ورواه سفيان عن سعد بن أبي وَقاص[٥].

وقد رُوي عن سفيان أيضاً وجه آخر، ذكره إسحاق بن رَاهَوَيه[٦]، أي: يستغني به عماسواه من الأحاديث.

وإلى هذا التأويل ذهب البخاري محمد بن إسماعيل لإتباعه الترجمة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[٧] [العنكبوت: ٥١]. والمرادُ الاستغناءُ بالقرآن عن علم أخبار الأمم. قاله أهل التأويل.

وقيل: إن معنى يتغنى به: يتحزَّن به، أي: يَظهرُ على قارئه الحُزنُ ـ الذي هو ضدُّ السُّرور ـ عند قراءته وتلاوته، وليس من الغُنية؛ لأنه لو كان من الغُنية لقال: يَتَغانى

(١) من شعراء الدولة الأموية، له مدائح في المهلَّب بن أبي صُفرة وطلحة الطلحات. الشعر والشعراء ١/ ٤٠٦ و الأغاني ١٣/ ٨٤.

(٢) قوله: وأجاد، من (ظ).

(٣) نسبه صاحب اللسان إلى المغيرة بن حَبناء، ونسبه المبرِّد في الكامل ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ونقله عنه البغدادي في شرح أبيات المغني ٤/ ٢٦٦، وذكر في ٤/ ٢٧٠ أن هذا البيت وقع في عدة أشعار لشعراء. وأوردهم.

(٤) أخرجه عنهما أبو داود (١٤٧٢). وسفيان بن عيينة: هو أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، انتهى إليه علو الإسناد، توفي سنة (١٩٨هـ). السير ٨/ ٤٥٤.
ووكيع بن الجراح: هو أبو سفيان الرؤاسي، محدث العراق، له كتاب الزهد. توفي سنة (١٩٧هـ). السير ٩/ ١٤٠.

(٥) رواية سفيان لحديث سعد بن أبي وقاص عند أبي داود (١٤٧٠)، ورواية وكيع لحديث سعد عند أحمد (١٤٧٦)، وجاء أيضاً تفسير سفيان للتغني بالاستغناء في صحيح البخاري إثر روايته لحديث أبي هريرة (٥٠٢٨): «ما أذن الله لشيء....».

(٦) هو إسحاق بن إبراهيم، أبو يعقوب، سيد الحفاظ، صاحب المسند، وراهويه لقبٌ لُقِّب به أبوه، لأنه ولد في طريق مكة، توفي سنة (٢٣٨هـ). السير ١١/ ٣٥٨.

(٧) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، ولفظ الترجمة: باب من لم يتغن بالقرآن. وينظر الفتح ٩/ ٦٨.

به، ولم يقل: يتغنَّى به. ذهب إلى هذا جماعة من العلماء، منهم الإمام أبو [حاتم] محمد بنُ حِبَّان البُستي[(١)].

واحتجوا بما رواه مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير عن أبيه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يُصلِّي، ولصدرِه أزِيزٌ كأزيز المِرجَل من البكاء[(٢)]. الأزيز، بزايين: صَوتُ الرعد وغَلَيانُ القِدر. قالوا: ففي هذا الخبر بيانٌ واضحٌ على أن المراد بالحديث التحزُّن. وعَضَدُوا هذا أيضاً بما رواه الأئمة عن عبد الله قال: قال لي[(٣)] النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ». فقرأتُ عليه سورةَ النساء، حتَّى إذا بلغتُ[(٤)]: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [الآية: ٤١] فنظرتُ إليه، فإذا عيناه تَدْمَعان[(٥)].

فهذه أربعُ تأويلات، ليس فيها ما يدلُّ على القراءة بالألحان والترجيع فيها.

وقال أبو سعيد بنُ الأعرابي[(٦)] في قوله ﷺ: «ليس منَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بالقرآن» قال: كانت العرب تُولَعُ بالغِناء والنَّشيد في أكثر أقوالها، فلمَّا نزلَ القرآنُ، أحبُّوا أن يكون القرآنُ هِجِّيراهم[(٧)] مكان الغِناء، فقال: «ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن»[(٨)].

التَّأويل الخامس: ما تأوَّلَه مَنِ استَدَلَّ به على التَّرجيع والتَّطريب، فذكر عمرُ بن شَبَّة[(٩)] قال: ذكرتُ لأبي عاصم النَّبيل[(١٠)] تأويلَ ابنِ عُيَينَة في قوله: «يتغنَّى»:

---

(١) في صحيحه بإثر الحديث (٧٥١) (الإحسان). وابنُ حِبَّان: هو الإمام الحافظ شيخ خراسان، توفي بسجستان سنة (٣٥٤هـ). سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٣٢١)، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي ٣/ ١٣، وهو حديث صحيح.

(٣) لفظة: لي، من (ز) و(ظ).

(٤) في (د): حتى بلغت.

(٥) أخرجه أحمد (٣٦٠٦)، والبخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠).

(٦) أحمد بن زياد، أبو سعيد، المحدِّث، نزيل مكة وشيخ الحرم، صنف المعجم في الحديث، وطبقات النساك وغيرهما، توفي سنة (٣٤٠هـ). سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠٧.

(٧) يعني دأبهم وشأنهم.

(٨) نقل الخطابي كلام ابن الأعرابي هذا في معالم السنن ١/ ٢٩١.

(٩) أبو زيد النميري البصري النحوي، الحافظ، نزيل بغداد، له تاريخ المدينة وأخبار الكوفة وغيرهما، توفي سنة (٢٦٢هـ). السير ١٢/ ٣٦٩.

(١٠) هوالضَّحَّاك بن مَخْلَد البصري، أجلُّ شيوخ البخاري وأكبرهم، توفي سنة (٢١٢هـ). السير ٩/ ٤٨٠.

يستغني، فقال: لم يصنَع ابنُ عُيَينَة شيئاً.

وسُئلَ الشافعيُّ عن تأويلِ ابنِ عُيَينَةَ، فقال: نحن أعلمُ بهذا، لو أراد النبيُّ ﷺ الاستغناء، لقال: مَن لم يَسْتَغْنِ، ولكن لمَّا قال: «يتغنَّى[1]»، علمنا أنَّه أراد التغنِّي.

قال الطبري: المعروفُ عندنا في كلام العرب أن التغني إنما هو الغِناء الذي هو حُسنُ الصوت بالتَّرجيع. وقال الشاعر:

تَغَنَّ بالشِّعرِ مهما كُنتَ قائلَه ... إنَّ الغِناء لهذا[2] الشِّعر مِضمارُ[3]

قال: وأمَّا ادِّعاءُ الزَّاعمِ أنَّ «تغنَّيتُ» بمعنى «استَغنَيتُ» فليس في كلام العرب وأشعارِها، ولا نعلمُ أحداً من أهل العلم قاله. وأمَّا احتجاجُه بقولِ الأعشى[4]:

وكنتُ امرأً زَمَناً بالعِراق ... عفيفَ المُناخِ طَويلَ التَّغَنّ[5]

وزعم أنه أراد الاستغناء، فإنَّهُ غلَطٌ مِنه، وإنَّما عَنَى الأعشى في هذا الموضع الإقامةَ، من قولِ العَرب: غَنِيَ فلانٌ بمكان كذا، أي: أقام، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ [الأعراف: ٩٢]. وأما استشهاده بقوله:

ونحنُ إذا مِتْنَا أشدُّ تَغانيا

فإنَّه إغفالٌ منه، وذلك أنَّ التَّغانيَ تفاعلٌ من نَفْسَين، إذا استغنى كلُّ واحد منهُما عن صاحبه، كما يقال: تضاربَ الرَّجُلان: إذا ضربَ كلُّ واحد منهما صاحبَه. ومن قال هذا في فعل الاثنين، لم يجز أن يقول مثله في الواحد، فغير جائز أن يقال: تغانى زيد، وتضاربَ عمرو. وكذلك غيرُ جائز أن يُقال: تغنى، بمعنى: استغنى.

قلت: ما ادَّعاهُ الطبري من أنَّه لم يَرد في كلام العرب تغنَّى بمعنى: استغنى، فقد

---

(١) في (م): يتغن، وفي (ظ): يتغنى به.

(٢) في (م): بهذا.

(٣) قائله حسان، كما في شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ١٠، وهو في اللسان وتاج العروس (غنى).

(٤) هو ميمون بن قيس، أبو بصير، شاعر جاهلي قديم، أدرك الإسلام في آخر عمره، ولم يسلم، ويُسمَّى صنَّاجة العرب. الشعر والشعراء ١/ ٢٥٧.

(٥) ديوانه ص٧٥، قوله: المُناخ، يعني محل الإقامة.

ذكره الجوهريُّ[١] كما ذكرنا، وذكره الهَرَوي[٢] أيضاً.

وأمَّا قوله: إنَّ صيغة فاعل إنما تكون من اثنين، فقد جاءت من واحد في مواضعَ كثيرة، منها قولُ ابن عمر: وأنا يومَئذ قد ناهزتُ الاحتلام[٣]. وتقول العرب: طارقتُ النعلَ، وعاقبتُ اللِّصَّ، وداوَيتُ العليل. وهو كثير، فيكون «تَغَانَى» منها. وإذا احتَمَلَ قولُه عليه الصلاة والسلام: «يتغنَّ» الغِناءَ والاستغناءَ، فليس حملُه على أحدِهما بأولى من الآخر، بل حملُه على الاستغناء أولَى، لو لم يكن لنا تأويلٌ غيره، لأنَّه مرويٌّ عن صحابي كبير، كما ذكر سفيان. وقد قال ابنُ وَهْب[٤] في حقِّ سفيان: ما رأيتُ أحداً[٥] أعلمَ بتأويل الأحاديث من سفيانَ بن عُيَينَة. ومَعلومٌ أنَّه رأى الشافعيَّ وعاصَرَه.

وتأويلٌ سادس: وهو ماجاء من الزِّيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنَّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «ما أذِنَ اللهُ لِشَيء ما أذِنَ لنبيٍّ حَسَنِ الصَّوتِ يتغنَّى بالقرآن يَجهَرُ به»[٦].

قال الطبريُّ: ولو كان كما قال ابنُ عُيَينة، لم يكن لذِكرِ حُسنِ الصَّوتِ والجهرِ به معنى.

---

(١) إسماعيل بن حماد، أبو نصر الفارابي، مصنف كتاب الصحاح، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، قيل: إنه اختلط في آخر عمره، ومات مترديا من سطح داره بنيسابور في حدود سنة أربع مئة. السير ١٧/ ٨٠.

(٢) في غريب الحديث ٢/ ١٦٩ ـ ١٧٢.

(٣) كذا وقع في النسخ: ابن عمر، ولم نجد هذا القول له فيما بين أيدينا من مصادر، وسيكرره المصنف عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]. وهذا القولُ مرويٌّ عن ابن عباس فيما أخرجه أحمد (٣١٨٥)، والبخاري (٧٦)، ومسلم (٥٠٤) من حديثه قال: أقبلتُ راكباً على أتان، وأنا يومئذ قد ناهزتُ الاحتلام، ورسولُ الله ﷺ يصلي بالناس بمنى، فمررتُ بين يدي الصف، فنزلتُ، فأرسلتُ الأتان ترتع، ودخلتُ في الصف، فلم ينكر ذلك عليَّ أحد.

(٤) هو عبد الله بن وَهْب بن مسلم، أبو محمد الفِهري مولاهم، المصري الحافظ، لقي بعض صغار التابعين، له: الجامع، وتفسير غريب الموطأ، توفي سنة (١٩٧هـ). السير ٩/ ٢٢٣.

(٥) قوله: أحداً، من (ز) و(ظ).

(٦) صحيح مسلم (٧٩٢) (٢٣٣)، وعنى المصنف بالزيادة قولَه: يجهر به. والحديث في صحيح البخاري (٥٠٢٣) بلفظ: «لم يأذنِ اللهُ لشيء ما أذنَ لنبيٍّ أن يتغَنى بالقرآن». وقال صاحبٌ له: يريد: يجهرُ به. وهو في مسند أحمد (٧٨٣٢).

قلنا: قوله: «يَجهَرُ به» لا يخلو[١] أن يكون من قول النبيِّ ﷺ، أو من قول أبي هريرة، أو غيرِه، فإن كان الأوَّل ـ وفيه بُعدٌ ـ فهو دليلٌ على عَدمِ التَّطريب والتَّرجيع، لأنَّه لم يقُل: يُطَرِّبُ به، وإنما قال: يَجهَرُ به، أي: يُسمِعُ نفسَه ومَن يليه، بدليل قوله عليه السلام للَّذي سمعَهُ وقد رفع صوتَه بالتَّهليل: «أيُّها الناس، اربَعُوا على أنفُسِكم، فإنَّكُم لستُم تدعُونَ أصمَّ ولا غائباً» الحديث، وسيأتي[٢]. وكذلك إن كان من صحابيٍّ أو غيره، فلا حُجَّةَ فيه[٣] على ما رَامُوه. وقد اختار هذا التأويلَ بعضُ علمائنا[٤]، فقال: وهذا أشبَهُ، لأن العرب تُسمِّي كلَّ مَن رفع صوته ووالَى به غانياً، وفِعلَه ذلك غِناءً، وإن لم يُلحِّنْهُ بتلحين الغِناء. قال: وعلى هذا فسَّرهُ الصَّحابي، وهو أعلم بالمقال، وأقعَدُ بالحال.

وقد احتَجَّ أبو الحسن بن بَطَّال لمذهب الشافعي، فقال: وقد رفعَ الإشكالَ في هذه المسألة ما رواه ابنُ أبي شيبة قال: حدثنا زيدُ بنُ الحُبَاب، قال: حدثنا موسى بن عُلَي بن رَباح، عن أبيه، عن عُقبةَ بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَلَّمُوا القرآنَ، وغَنُّوا به، واكتُبوه، فوالذي نفسي بيدِه لَهُوَ أشدُّ تَفَصِّياً من المخَاض من العُقُل»[٥].

قال علماؤنا[٦]: وهذا الحديث، وإن صَحَّ سنَدُه، فيردُّه ما يُعلَمُ[٧] على[٨] القَطع والبتاتِ[٩] من أنَّ قراءةَ القرآن بَلَغَتْنا متواتِرةً عن كافة المشايخ، جِيلاً فجيلاً إلى العصر الكريم، إلى رسولِ الله ﷺ، وليس فيها تلحينٌ، ولا تَطريبٌ، مع كثرة

---

(١) في (ظ): لا يخلو إما.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٥٢٠)، والبخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري، وسيذكره المصنف عند تفسير الآية (٥٥) من سورة الأعراف.

(٣) في (ظ): لهم.

(٤) المفهم ٢/ ٤٢٣.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٥٠٠، وفيه: «واتلوه»، بدل: «وغنُّوا»، وهو في مسند أحمد (١٧٣١٧)، وفيه: وتَغَنَّوا. وهو حديث صحيح. قوله: تفصِّياً أي: خروجاً. النهاية (فصى).

(٦) المفهم ٢/ ٤٢٢.

(٧) في (ظ): نعلم.

(٨) في (د) و(ز): من.

(٩) في (ظ): البيان، وفي (ز) و(د): الثبات، والمثبت من (م).

المتعمِّقين في مخارج الحروف، وفي المدِّ والإدغام والإظهار، وغير ذلك من كيفيَّةِ القراءات.

ثم إنَّ في التَّرجيع والتَّطريب هَمْزَ ما ليس بمهموز، ومدَّ ما ليس بممدود، فترجعُ الألِفُ الواحدة ألفات، والواو الواحدة واوات، والشُّبهةُ الواحِدةُ شُبُهات[١]، فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنُوع، وإن وافقَ ذلك موضعَ نَبْر وهَمْز، صيَّروهما[٢] نَبَرات وهَمَزَات. والنَّبرةُ حيثُما وقعت من الحروف، فإنما هي همزةٌ واحدة لا غير، إمَّا ممدودةٌ وإمَّا مقصورة.

فإن قيل: فقد روى عبدُ الله بنُ مُغَفَّل قال: قرأ رسولُ الله ﷺ في مسير له سورةَ الفتح على راحلتِه، فرجَّعَ في قراءته، وذكره البخاري، وقال في صفة التَّرجيع: آ،آ،آ، ثلاث مرات[٣]. قلنا: ذلك محمولٌ على إشباع المَدِّ في موضعِه. ويحتمل أن يكون حِكَايةَ صَوتِهِ عند هَزِّ الرَّاحِلَة. كما يعتري رافعَ صوتِه إذا كان راكباً من انضغاطِ صوتِه وتقطيعِه لأجل هَزِّ المركوبِ. وإذا احتمل هذا، فلا حُجَّةَ فيه.

وقد خَرَّج أبو محمد عبدُ الغني بنُ سعيد الحافظُ[٤] من حديث قتادة، عن عبد الرَّحمن بن أبي بَكْرة[٥]، عن أبيه قال: كانت قراءةُ رسولِ الله ﷺ المدَّ، ليس فيها ترجِيع[٦].

---

(١) يريد: الحروف، كما صرح به ص١٠٨، باب ذكر معنى السورة والآية.

(٢) في (ز) و(ظ) و(م): صيروها، والمثبت من (د).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٤٧) و(٧٥٤٠)، وسلف ص٢١ ـ ٢٢.

(٤) محدِّثُ الديار المصرية، له كتاب المؤتلف والمختلف، توفي سنة (٤٠٩هـ). السير ١٧/ ٢٦٨.

(٥) تحرف في (ظ) و(د) و(م) إلى: أبي بكر، والمثبت من (ز)، وهو الصواب.

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٤٤)، وابنُ عدي في الكامل ٧/ ٢٥٤٤ (في ترجمة الوليد بن القاسم الهمداني)، وفي إسناده عمر بن موسى، المعروف بابن وجيه. قال ابن عدي: يضع الحديث. وأورده الذهبي في ميزانه ٤/ ٣٤٤ (في ترجمة الوليد المذكور) وقال: تفرَّد به عمر، وهو متهم. وحسَّنه السيوطي في الجامع الصغير! فتعقبه المناوي في «الفيض» ٥/ ١٧٣ بقوله: وليس كما ظنَّ، فقد قال الهيثمي [في المجمع ٢/ ٢٦٦]: فيه عمر بن وجيه، وهو ضعيف. اهـ وقد وجَّه ابن الأثير هذه الرواية في النهاية ٢/ ٢٠٢، فقال: وجهُه أنه لم يكن حينئذ راكباً، فلم يحدث في قراءته الترجيع. قلنا: وقد صحَّ من حديث أنس رضي الله عنه أن قراءة النبي ﷺ كانت مدًّا، فيما أخرجه أحمد (١٢٢٨٣)، والبخاري (٥٠٤٦) وغيرهما، وسلف ص ١٨ ـ ١٩.

وروى ابنُ جُرَيج[١]، عن عطاء[٢]، عن ابن عبَّاس قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذِّنٌ يُطرِّبُ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الأذانَ سَهْلٌ سَمْحٌ، فإذا كان أذانُكَ سمحاً سَهلاً، وإلَّا، فلا تُؤذِّن». أخرجه الدارقُطني[٣] في «سُننه»[٤]. فإذا كان النبيُّ ﷺ قد منعَ ذلك في الأذان، فأحرى ألا يُجوِّزَه في القرآن الذي حفظَهُ الرَّحمن، فقال ـ وقولُه الحقُّ ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قُلتُ: وهذا الخِلافُ إنَّما هو ما لم يُفهم معنى القُرآن، بترديد الأصواتِ، وكثرةِ الترجيعات، فإن زادَ الأمر على ذلك حتى لا يُفهم معناهُ، فذلك حرامٌ باتفاق، كما يفعل القرَّاء بالدِّيار المصريَّة الذين يقرؤون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز، ضلَّ سَعيُهُم، وخابَ عملُهم، فيستحلُّون بذلك تغييرَ كتابِ الله، ويُهوِّنُونَ على أنفسهم الاجتِراءَ على الله، بأن يَزيدُوا في تنزيله ما ليس فيه، جهلاً بدينهم، ومُرُوقاً عن سُنَّة نَبيِّهم، ورفضاً لسيرِ الصَّالحين فيه من سَلَفِهم، ونُزوعاً إلى ما يُزيِّنُ لهم الشيطانُ من أعمالهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، فهم في غَيِّهم يَتَردَّدُون، وبكتاب الله يتَلاعَبُون، فإنَّا لله وإنَّا إليه رَاجِعون، لكن قد أخبَر الصَّادقُ أنَّ ذلك يكون، فكان كما أخبر ﷺ: ذكر الإمامُ الحافظُ أبو الحسن[٥] رَزِين[٦]، وأبو عبد الله التِّرمذي الحكيم في «نوادر الأصول»[٧]، من حَديث حُذيفة أنَّ

---

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج، أبو الوليد القرشي، الإمام، وهو أول من دوَّن العلم بمكة. توفي سنة (١٥٠هـ). السير ٦/ ٣٢٥.

(٢) هو عطاء بن أبي رباح، أبو محمد القرشي، مفتي الحرم، مات سنة (١١٥هـ). السير ٥/ ٧٨.

(٣) علي بن عمر بن أحمد، أبو الحسن البغدادي، الحافظ، صاحب التصانيف، منها: السنن، والعلل، مات سنة (٣٨٥هـ). السير ١٦/ ٤٤٩.

(٤) ٢/ ٨٦، وفي إسناده إسحاق بن أبي يحيى الكَعبي الراوي عن ابن جُرَيج، قال الذهبي في الميزان ١/ ٢٠٥: هالكٌ يأتي بالمناكير عن الأثبات، وذكر له هذا الحديث.

(٥) في (م): أبو الحسين، وهو خطأ.

(٦) هو رَزِينُ بنُ معاوية بن عمَّار، العَبدريُّ، الأندلسيُّ، السَّرَقُسطي، المحدِّثُ، له كتاب تجريد الصحاح. توفي سنة (٥٣٥هـ). السِّيَر ٢٠/ ٢٠٤.

(٧) ص٣٣٤، والحكيم الترمذي: هو محمد بن علي بن الحسن، له مصنفات وحكم ومواعظ، قدم نيسابور وحدث بها سنة (٢٨٥هـ)، توفي نحو سنة (٣٢٠)هـ. السير ١٣/ ٤٣٩.

رسولَ الله ﷺ قال: «اقرؤُوا القرآنَ بلُحُون العرب وأصواتِها، وإيَّاكم ولُحُونَ أهلِ العِشْق[١]، ولُحونَ[٢] أهلِ الكتابَين، وسَيَجيءُ بعدي قَومٌ يُرَجِّعُون بالقُرآنِ ترجيعَ الغِناء والنَّوح، لا يُجاوِزُ حَناجِرَهم، مَفتُونَةٌ قلوبُهُم، وقُلوبُ الذين يُعجِبُهم شأنُهم». اللُّحونُ: جَمعُ لَحْن، وهو التَّطرِيبُ، وتَرجِيعُ الصَّوتِ، وتحسينُه، بالقراءة والشِّعر والغِناء[٣].

قال علماؤنا: ويُشبِهُ أن يكونَ هذا الذي يفعلُه قراءُ زمانِنا بين يَدَيِ الوُعَّاظِ، وفي المجالس، من اللُّحونِ الأعجمية التي يقرؤون بها ما نَهى عنه رسولُ الله ﷺ.

والترجيعُ في القراءَةِ: ترديدُ الحروف، كقراءة النصارى. والترتيلُ في القراءة: هو التَّأنِّي فيها، والتَّمهُّلُ، وتَبيينُ الحروف والحركاتِ، تشبيهاً بالثَّغر المُرَتَّل، وهو المُشَبَّه بنَوْر الأُقحُوان، وهو المطلوب في قراءة القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

وسُئلت أمُّ سَلَمةَ عن قراءة رسول الله ﷺ وصَلاتِه، فقالت: مالكم وصَلاتَه؟ ثم نَعَتَت قراءتَه، فإذا هي تَنْعَتُ قراءَةً مُفَسَّرةً حَرفاً حَرفاً. أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب[٤].

بابُ تحذيرِ أهلِ القرآنِ والعلم من الرِّياء وغيرِه

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

روى مُسلمٌ عن أبي هُريرةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقضَى عليه يَومَ القِيامَةِ رَجُلٌ استُشهِدَ، فأُتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَها. قال: فما عَمِلتَ

(١) في فضائل أبي عبيد، وشُعب الإيمان، والعلل المتناهية: الفِسق.

(٢) في (ظ): وترجيع.

(٣) حديث ضعيف، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٨٠، والطبراني في الأوسط (٧٢١٩)، وابنُ عدي في الكامل ٢/ ٥١٠ ـ ٥١١، والبيهقي في شُعب الإيمان (٢٦٤٩) و(٢٦٥٠)، وابنُ الجوزيِّ في العلل المتناهية (١٦٠). وقال: هذا حديثٌ لا يصحُّ.

(٤) سنن النسائي ٢/ ١٨١ و٣/ ٢١٤، وسنن أبي داود (١٤٦٦)، وسنن الترمذي (٢٩٢٣)، وهو في المسند (٢٦٥٢٦).

فيها ؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استُشهِدتُ. قال: كَذَبتَ، ولَكِنَّك قَاتَلتَ ليقال[١]: جَرِيءٌ، فقد قِيل. ثُمَّ أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وَجهِهِ حَتَّى أُلقِيَ في النَّار.

ورجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وعَلَّمَهُ، وَقَرأَ القُرآنَ، فأُتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَها. قال: فما عَمِلتَ فيها ؟ قال: تَعلَّمتُ العِلمَ وَعَلَّمتُه، وَقَرأتُ فيك القُرآنَ. قال: كَذَبتَ، ولَكنَّك تَعَلَّمتَ العِلمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقرأتَ القُرآنَ لِيُقالَ: هُو[٢] قارِىءٌ، فقد قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وَجهِهِ حَتَّى أُلقِيَ في النَّار.

ورجلٌ وَسَّعَ اللهُ عليه، وأَعطاهُ مِن أصنافِ المالِ كُلِّه، فَأُتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَها، قال: فما عَمِلتَ فيها ؟ قال: ماتَرَكتُ مِن سَبِيلٍ تُحبُّ أن يُنفَقَ فيها إلا أَنفَقتُ فيها لك. قال: كَذَبتَ، وَلَكنَّك فَعَلتَ لِيُقال: هو جَوادٌ، فقد قِيل. ثُمَّ أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وَجهِهِ، ثُمَّ[٣] أُلقِيَ في النَّار»[٤].

وقال التِّرمِذي في هذا الحديث: ثُمَّ ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ على رُكبتي، فقال: «يا أبا هُريرة، أُولئك الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلقِ الله، تُسَعَّرُ بهم النَّارُ يومَ القِيامة»[٥]. أبو هريرة: اسمُه عبدُ الله، وقيل: عبدُ الرَّحمن، وقال: كُنِّيتُ أبا هُرَيرةَ لأنِّي حَمَلتُ هِرَّة في كُمِّي، فرآني رسولُ الله ﷺ فقال: «ما هذه» ؟ قلتُ: هِرَّة، فقال: «يا أبا هُرَيرَة»[٦].

قال ابنُ عبدِ البَرِّ: وهذا الحديثُ فيمَن لَم يُرِد بِعمَلِه وعِلمِه وَجهَ الله تعالى[٧].

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن طَلَبَ العِلمَ لِغَيرِ الله، أو أرادَ به غَيرَ الله، فَلْيَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّار»[٨].

---

(١) في (م): لأن يقال.

(٢) كلمة هو، ليس في (د).

(٣) في (ظ): حتى.

(٤) صحيح مسلم (١٩٠٥)، وهو في المسند برقم (٨٢٧٧).

(٥) سنن الترمذي (٢٣٨٢).

(٦) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أبي هريرة ١٢/ ١٧١ (بهامش الإصابة).

(٧) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٤٠.

(٨) أخرجه الترمذي (٢٦٥٥)، والنسائي في الكبرى(٥٨٧٩)، وابن ماجه (٢٥٨)، وابن عدي في الكامل ٥/ ١٨٢٧ من طريق خالد بن دُرَيك عن ابن عمر. قال الترمذي: حديث حسن غريب. اهـ وإسناده منقطع، فقد ذكر المِزِّي في تهذيب الكمال أن خالد بن دُرَيك روى عن عبد الله بن عمر ولم يدركه.

وخرَّجَ ابنُ المُبارك في «رقائقه»[١] عن العَبَّاس بنِ عبدِ المُطَّلب قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَظهَرُ هذا الدِّينُ حتَّى يُجاوِزَ البِحار، وحَتَّى تُخاضَ البِحارُ بالخَيل في سبيل الله تبارَكَ وتعالى، ثُمَّ يَأتي أقوامٌ يقرؤون القُرآنَ، فإذا قَرؤوه قالُوا: مَن أقرَأُ مِنَّا ؟ مَن أعلَمُ مِنَّا ؟» ثمَّ التفَتَ إلى أصحابه، فقال: «هل تَرَونَ في أولئكم مِن خَير ؟» قالوا: لا. قال: «أُولئكَ مِنكم، وأولئِكَ مِن هَذه الأُمَّة، وأولئك هُم وَقُودُ النَّار».

وروى أبو داود والتِّرمذيُّ عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن تَعَلَّمَ عِلماً مِمَّا يُبتَغَى به وَجهُ الله، لا يَتَعَلَّمُهُ إلَّا لِيُصِيبَ به عَرَضاً من الدُّنيا، لم يَجِد عَرْفَ الجَنَّةِ يَومَ القيامة». يعني ريحَها. قال التِّرمذي: حديثٌ حسن[٢].

ورَوَى عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَعَوَّذُوا باللهِ من جُبِّ الحَزَن» قالوا: يارسولَ الله، وما جُبُّ الحَزَن ؟ قال: «وَادٍ في جَهَنَّم، تتعوَّذُ منه جَهَنَّمُ في كُلِّ يَوم مئةَ مَرَّة». قيل: يارسولَ الله، ومَن يَدخُلُهُ ؟ قال: «القُرَّاءُ المراؤون بأعمالهم». قال: هذا حديث غريب[٣].

وفي كتاب أسَدِ بن مُوسى[٤] أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في جَهَنَّمَ لَوادِيا، إنَّ جَهَنَّمَ لَتَتَعَوَّذُ من شَرِّ ذلك الوادي كُلَّ[٥] يَوم سَبعَ مَرَّات، وإنَّ في ذلك الوادي لَجُبًّا، إنَّ جهنم وذلك الوادي، لَيَتعوَّذُون بالله مِن شَرِّ ذلك الجُبِّ[٦]، وإنَّ في ذلك[٧] الجُبِّ

(١) الزهد والرقائق (٤٥٠)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦ وقال: فيه موسى بن عُبيدة الرَّبَذي، وهو ضعيف.

(٢) سنن أبي داود (٣٦٦٤)، وليس في سنن الترمذي كما ذكر المصنف، انظر تحفة الأشراف ١٠/ ٧٧ ـ ٧٨. وهو في المسند برقم (٨٤٥٧).

(٣) سنن الترمذي (٢٣٨٣)، وفي إسناده أبو معان (ويقال: أبو معاذ) وهو مجهول، وعمار بن سيف وهو ضعيف. تنزيه الشريعة ٢/ ٣٨٥.

(٤) هو أبو سعيد القرشي الأموي، ذو التصانيف، ويقال: هو أول من صنف المسند. توفي سنة (٢١٢هـ). السير ١٠/ ١٦٢.

(٥) في (م): في كل.

(٦) في (ظ) زيادة: سبع مرات.

(٧) في (م): وإن في الجبّ.

لَحَيَّةً، وإن جهنم والواديَ والجُبَّ لَيتعوَّذُون بالله من شَرِّ تلك الحَيَّةِ سبعَ مرَّات، أَعَدَّها الله للأشقياء مِن حَمَلَةِ القرآن، الذين يَعصُونَ الله»[١].

فَيَجبُ على حامل القرآن وطالبِ العِلم أن يَتَّقيَ الله في نفسه، ويُخلِصَ العملَ لله. فإن كانَ تَقَدَّمَ له شيءٌ ممَّا يَكرهُ، فَليُبَادِرِ التوبةَ والإنابةَ، ولْيَبتَدِىء الإخلاصَ في الطلب[٢] وعمله. فالذي يلزمُ حاملَ القرآن من التَّحفُّظِ أَكثَرُ ممَّا يلزمُ غيرَه، كما أنَّ له من الأجرِ ما ليس لغيره، روى التِّرمذي عن أبي الدَّرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلَ اللهُ في بَعضِ الكُتُبِ ـ أو أوحَى إلى بعض الأنبياء ـ: قُل للَّذين يَتَفَقَّهُون لِغَير الدِّين، ويتَعَلَّمون لِغَيرِ العَمَل، ويطلُبون الدُّنيا بعمل الآخرة، يَلبَسُون للناس مُسُوكَ الكِباش، وقُلُوبُهم كقلوب الذِّئاب، أَلسِنَتُهم أحلَى من العَسَل، وقلوبُهم أمَرُّ من الصَّبر، إيَّايَ يُخادِعون وبي يَستَهزِؤون ؟! لأُتِيحَنَّ لهم فِتنَةً تَذَرُ الحليمَ فيهم حَيرَان»[٣].

وخرَّج الطَّبري في كتاب «آداب النُّفوس»[٤]: حدَّثنا أبو كُرَيب محمَّد بنُ العَلاء، حدَّثنا المُحاربي، عن عَمرو بن عامر البَجَليِّ، عن ابن صَدَقة، عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ، أو مَن حدَّثه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُخادِعِ الله، فإنَّه مَن يُخَادِعِ الله، يَخدَعْهُ الله، ونَفسَه يَخدَعُ لو يَشعُر». قالوا: يارسولَ الله، وكيف يُخادَعُ الله ؟ قال: «تَعمَلُ بما أمَرك اللهُ به، وتطلُبُ به غيرَه، واتَّقُوا الرِّياءَ فإنَّه الشِّركُ، وإنَّ المُرائي يُدعَى

(١) وذكره مكي في الرعاية ص ٧٤، وقد نقل الحافظ ابن حجر في تهذيبه عن ابن يونس قوله في أسد بن موسى: حدَّثَ بأحاديث منكرة، وأحسبُ الآفة من غيره.

(٢) في (د): التوبة.

(٣) لم يخرجه الترمذي، إنما أخرج نحوه (٢٤٠٤) من حديث أبي هريرة، وفي إسناده يحيى بن عبيد الله، وهو متروك الحديث، وبرقم (٢٤٠٥) من حديث ابن عمر، وفي إسناده حمزة بن أبي محمد، وهو ضعيف. وأما حديث أبي الدرداء (الذي أورده المصنف) فقد أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٢٢٩، وفي إسناده عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو متروك الحديث أيضاً. ومثل هذه الطرق لا تتقوَّى ببعضها، فالحديث ضعيف.

(٤) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٤ أن للطبري كتاب ترتيب العلماء، ابتدأه بآداب النفوس، ولم يتمَّه، وذكر له صاحب هدية العارفين ٦/ ٢٧ كتاب الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة، ولعله هو.

يومَ القيامة على رؤوس الأشهاد بأربَعَةِ أسماء يُنسَبُ إليها: يا كافر، ياخاسر، ياغادر، يافاجر، ضَلَّ عَمَلُك، وبَطَلَ أجرُكَ، فلا خَلاقَ لك اليَوم، فالتَمِس أَجرَكَ ممَّن كُنتَ تَعمَلُ له يامُخادِع»[١].

وروى عَلقَمَةُ[٢]، عن عبد الله بن مَسعُود قال: كيفَ أنتُم إذا لَبِسَتْكُم[٣] فِتنةٌ يَربُو فيهاالصَّغِير، ويَهرَمُ الكَبِير، وتُتَّخَذُ سُنَّةٌ مُبتَدَعَةٌ، يجري عليها النَّاسُ، فإذا غُيِّرَ منها شَيءٌ قيل: قد غُيِّرتِ السُّنَّة. قيل: متَى ذلك يا أبا عبد الرَّحمن؟ قال: إذا كَثُر قُرَّاؤكم، وقَلَّ فُقَهاؤكم، وكَثُرَ أُمَراؤكم، وقَلَّ أُمَناؤكم، والتُمِسَتِ[٤] الدُّنيا بعَمَلِ الآخِرة، وتُفُقِّه لِغَيرِ الدِّين[٥].

وقال سُفيانُ بنُ عُيَينَة: بلَغَنا عن ابن عَبَّاس أنَّه قال: لو أنَّ حَمَلَةَ القُرآن أخَذُوه بحَقِّه وما يَنْبَغِي، لأَحَبَّهُمُ الله، ولَكِنْ طَلَبُوا به الدُّنيا، فأبغَضَهُمُ الله، وهانُوا على النَّاس[٦].

ورُوي عن أبي جعفر محمَّد بن عليٍّ[٧] في قول الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ

(١) المحاربي ـ وهو عبد الرحمن بن محمد ـ وثقه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: يروي عن المجهولين أحاديث منكرة. (كذا في التهذيب). وعمرو بن عامر البجلي؛ قال الحافظ في التقريب: مقبول. اهـ يعني حيث يُتابَع، وإلا فليِّن الحديث. وابنُ صدقة ـ وهو صخر ـ لم يُذكر له روايةٌ عن الصحابة، وذكره ابن حبان في الثقات ٨/ ٣٢٢ وقال: يروي المقاطيع. وقد أورد السيوطي هذاالخبر في الدر المنثور ١/ ٣٠، وضعَّفه.

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي، أبو شبل، فقيه الكوفة ومقرئها، روى عن كثير من الصحابة، توفي سنة (٦٢هـ) وقيل غير ذلك. السير ٤/ ٥٣.

(٣) في (د) و(ز): لبستم.

(٤) في (د): والتمستم.

(٥) أخرجه الدارمي (١٨٦)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٢٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٢٢٨ من طريق علقمة، عن ابن مسعود. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ١٥/ ٢٤، والدارمي (١٨٥)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥١٤ ـ ٥١٥ من طريق شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود، وهو صحيح إليه.

(٦) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٢٢٨.

(٧) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، مات سنة بضع عشرة ومئة. السير ٤/ ٤٠١.

﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٩٤] قال: قَومٌ وَصَفُوا الحقَّ والعَدلَ بألسنتهم، وخالفوه[١] إلى غيره[٢].

وسيأتي لهذا الباب مَزيدُ بيان في أثناء الكتاب، إن شاء الله تعالى.

باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذَ نفسَه به، ولا يغفلَ عنه

فأولُ ذلك أن يُخلِصَ في طَلَبِه لله جَلَّ وعَزَّ، كما ذكرنا، وأن يأخُذَ نفسَه بقراءةِ القرآن في ليله ونهارِه، في الصلاة، أو في غير الصلاة، لئلا ينساه. روى مسلمٌ عن ابنِ عمر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنما مَثَلُ صاحِبِ القرآنِ كَمَثَلِ صاحِبِ الإبلِ المُعَقَّلَةِ، إن عاهَدَ عَلَيها، أمسَكَها، وإن أطلَقَها ذَهَبَت، وإذا قامَ صاحبُ القرآن، فقرأه بالليل والنهار، ذَكَره، وإذا لم يقم به، نَسِيَه»[٣].

وينبغي له أن يكونَ لله حامداً، وَلِنِعَمِه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه مُتوكِّلاً، وبه مُستعيناً[٤]، وإليه راغباً، وبه مُعتَصِماً، وللموتِ ذَاكراً، وله مُستعدًّا.

وينبغي له أن يكونَ خائفاً من ذنبه، راجياً عَفوَ ربِّه، ويكونَ الخوفُ في صحته أغلَبَ عليه، إذ لا يَعلمُ بما يُختَمُ له، ويكونَ الرجاءُ عند حضورِ أجَلِه أقوى في نفسه، لِحُسنِ الظَّنِّ بالله، قال رسول الله ﷺ: «لا يَمُوتَنَّ أحَدُكُم إلا وهو يُحسِنُ بالله الظَّنَّ»[٥]. أي أنه يرحمُه ويغفرُ له.

وينبغي له أن يكون عالماً بأهل زمانِه، مُتَحَفِّظاً من سلطانه، ساعياً في خلاصِ نفسِه، ونجاةِ مُهجَتِه، مقدِّماً بين يديه ما يَقدِرُ عليه من عَرَض دنياه، مُجاهِداً لنفسه في ذلك ما استطاع.

وينبغي له أن يكونَ أهمَّ أمورِه عندَه الوَرَعُ في دينه، واستعمالُ تقوى الله ومراقبتُه فيما أمره به، ونهاه عنه.

---

(١) في (د): وخالفوا.

(٢) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٢٣٨.

(٣) صحيح مسلم (٧٨٩)، وهو في مسند أحمد (٤٦٦٥).

(٤) في (د): مستغيثاً.

(٥) أخرجه أحمد (١٤٤٨١)، ومسلم (٢٨٧٧) وغيرهما من حديث جابر رضي الله عنه.

وقال ابنُ مسعود: ينبغي لقارىء القُرآنِ أن يُعرَفَ بِلَيلِهِ إذا الناسُ نائمون، وبِنهارِه إذا الناسُ مُفطِرُون[١]، وببكائِه إذا الناسُ يَضحَكون، وَبِصَمتِه إذا الناسُ يَخُوضُون، وبخشوعه[٢] إذا الناسُ يَختالُون، وبِحُزنِه إذا الناسُ يَفرَحُون[٣].

وقال عبد الله بنُ عمرو[٤]: لا ينبغي لحاملِ القرآنِ أن يَخُوضَ معَ مَن يخُوضُ، ولا يجهلَ مع مَن يَجهَلُ، ولكن يعفُو ويصفحُ، لِحقِّ القرآن، لأنَّ في جوفه كلامَ الله تعالى[٥].

وينبغي له أن يأخذَ نفَسه بالتَّصاون عن طُرُق الشُّبُهات، ويُقِلَّ الضحك والكلامَ في مجالس القرآنِ وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذَ نفسَه بالحِلم والوَقار.

وينبغي له أن يتواضعَ للفقراء، ويَتَجنَّبَ التَّكَبُّر والإعجابَ، ويَتَجافَى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويتركَ الجِدال والمِراء، ويأخذَ نفسَه بالرِّفق والأدب.

وينبغي له أن يكونَ ممَّن يُؤمَنُ شَرُّه، ويُرجَى خَيرُه، ويُسلَمُ مِن ضَرِّه، وألا يَسمَع ممَّن نَمَّ عندَه، ويُصاحِبَ مَن يُعاونُه على الخير، ويَدُلُّه على الصِّدقِ ومكارم الأخلاق، ويَزِينُه ولايَشِينُه.

وينبغي له أن يتعلمَ أحكامَ القرآن، فيفهمَ عن الله مُرادَه، وما فَرَضَ عليه، فينتفعَ بما يقرأُ، ويعملَ بما يتلُو، فما أقبحَ لحاملِ القُرآن أن يَتلُوَ فرائضَه وأحكامَه عن ظَهرِ قلب، وهو لا يَفهَمُ ما يتلُو، فكيف يعملُ بما لا يَفهَمُ معناه ؟! وما أقبحَ أن يُسألَ عن فِقهِ ما يتلوه ولا يَدرِيه! فما مَثَلُ مَن[٦] هذه حالتُه إلَّا كَمَثَلِ الحمار يَحمِلُ أسفَاراً.

وينبغي له أن يعرفَ المَكِّيَّ منَ المَدَنِيِّ، لِيُفرِّقَ بذلك بين ما خاطب الله به عبادَه

---

(١) في (م): مستيقظون، وهو خطأ.

(٢) في (م): وبخضوعه.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٥٢، وأحمد في الزهد ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ والآجري في أخلاق حملة القرآن (٣٩) والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٠٧).

(٤) في (د): عمر.

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٥٣ بنحوه أطول منه.

(٦) في النسخ الخطية: فما من، والمثبت من (م).

في أوَّلِ الإسلام، وما نَدَبَهم إليه في آخِرِ الإسلام، وما افترضَ اللهُ في أولِ الإسلام، وما زادَ عليه منَ الفرائض في آخِره. فالمَدَنيُّ هو الناسخُ للمكِّيِّ في أكثرِ القرآن، ولا يمكنُ أن يَنسَخَ المَكِّيُّ المَدَنيَّ؛ لأن المنسوخَ هو المتقدِّمُ في النزول قبل الناسخ له.

ومِن كمالهِ أن يَعرِفَ الإعرابَ والغَرِيبَ، فذلك مما يُسَهِّلُ عليه معرفةَ ما يقرأُ، ويُزِيلُ عنه الشكَّ فيما يتلُو. وقد قال أبو جعفر الطبريُّ[١]: سمعتُ الجَرمِيَّ[٢] يقول: أنا منذ ثلاثينَ سنةً أُفتي الناسَ في الفقه من كتاب سِيبويه، قال محمد بنُ يزيد[٣]: وذلك أن أبا عمر الجَرمِيَّ كان صاحبَ حديث، فلما عَلِمَ كتابَ سيبويه، تَفَقَّه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يُتعلَّمُ منه النظرُ والتفسير.

ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فبها يصلُ الطالبُ إلى مراد الله عزَّ وجلَّ في كتابه، وهي تفتحُ له أحكام القرآن فتحاً، وقد قال الضَّحَّاك[٤] في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال: حَقٌّ على كلِّ مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ أن يكونَ فَقِيهاً.

وذكر ابنُ أبي الحواريِّ[٥] قال: أتينا فُضَيلَ بنَ عِياض[٦] سنة خمس وثمانين ومئة ونحن جماعة، فَوقَفنا على الباب، فلم يَأذَن لنا بالدخول، فقال بعض القوم: إن كان خارجاً لشيء، فسيخرجُ لتلاوة القرآن، فأمَرْنا قارئاً فقرأ، فاطَّلعَ علينا من كُوَّة، فقلنا: السلامُ عليك ورحمةُ الله، فقال: وعليكم السلام، فقلنا: كيف أنت يا أبا عليٍّ ؟

---

(١) أحمد بن محمد بن رستم الطبري النحوي، كان متصدرا لإقراء النحو. له: غريب القرآن والمقصور والممدود وغيرهما. إنباه الرواة ١/ ١٢٨، وذكر أنه سُمع منه ببغداد سنة (٣٠٤هـ).

(٢) هو صالح بن إسحاق البصري، أبو عمر الجَرمي، إمام العربية، صاحب التصانيف، له: الأبنية، والعروض، وغريب سيبويه وغير ذلك، توفي سنة (٢٢٥هـ). السير ١٠/ ٥٦٠، وقد ذكره الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين ص٧٤ ـ ٧٥ وذكر له هذه القصة.

(٣) أبو العباس المبرد، البصري، إمام النحو، صاحب الكامل. مات سنة (٢٨٦هـ). السير ١٣/ ٥٧٦، طبقات النحويين واللغويين ص١٠١.

(٤) ابنُ مُزاحم الهلالي، أبو محمد، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجوّد لحديثه، وهو صدوق في نفسه، توفي سنة (١٠٢هـ) وقيل غير ذلك. السير ٤/ ٥٩٨.

(٥) أحمد بن عبد الله بن ميمون، شيخ أهل الشام، أصله من الكوفة، توفي سنة (٢٤٦هـ). السير ١٢/ ٨٥.

(٦) هو أبو علي التميمي، اليربوعي، الخراساني، توفي سنة (١٨٧هـ). السير ٨/ ٤٢١.

وكيف حالُك ؟ فقال: أنا مِنَ الله في عافية، ومنكم في أذًى، وإنَّ ما أنتم فيه حَدَثٌ في الإسلام، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ما هكذا كنَّا نطلبُ العِلمَ، ولكنَّا كنَّا نأتي المَشيخَةَ، فلا نَرَى أنفسَنا أهلاً للجلوس معهم، فنجلسُ دونَهم، ونَسترِقُ السَّمعَ، فإذا مَرَّ الحديثُ سألناهم إعادتَه، وقَيَّدناه، وأنتم تطلبون العِلمَ بالجهل، وقد ضَيَّعتُم كتابَ الله، ولو طلبتُم كتابَ الله، لوجدتُم فيه شِفاءً لما تريدون. قال: قلنا[1]: قد تَعَلَّمنا القرآن، قال: إنَّ في تعلُّمكم القرآنَ شُغلاً لأعماركم، وأعمارِ أولادِكم. قلنا: كيف يا أبا عليٍّ ؟ قال: لَن تَعَلَّمُوا القرآنَ حتى تعرفوا إعرابَه، ومُحْكَمَه من مُتَشابِهِه، وناسِخَهُ مِن مَنسُوخِه، إذا عرفتُم ذلك، استَغنَيتُم عن كلام فُضَيل وابنِ عُيَينَة. ثم قال: أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم[2]، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧ ـ ٥٨].

قلت: فإذا حَصَلَت هذه المراتبُ لقارىء القرآن، كان ماهراً بالقرآن، وعالِماً بالفُرقان، وهو قريبٌ على مَن قَرَّبَه الله عليه[3]، ولا ينتفعُ بشيء مما ذكرنا[4] حتى يُخلِصَ النيةَ فيه للهِ ـ جلَّ ذِكرُه ـ عند طلبه، أو بعدَ طلبه، كما تقدَّم. فقد يبتدئُ الطالبُ للعلم يريدُ به المباهاةَ والشرفَ في الدنيا، فلا يزالُ به فَهمُ العلم حتى يتبيَّنَ أنه على خطأ في اعتقاده، فيتوبَ من ذلك، ويخلصَ النيةَ لله تعالى، فينتفعَ بذلك، ويَحسن حالُه. قال الحسن: كنا نطلبُ العلمَ للدنيا، فَجَرَّنا إلى الآخرة. وقاله سفيان الثَّوري[5]. وقال حبيب بنُ أبي ثابت[6]: طَلَبنا هذا الأمرَ وليس لنا فيه نِيَّة، ثم جاءتِ النيةُ بعدُ[7].

---

(١) في (د): قالوا كنا، وفي (ظ): قالوا فعلنا.

(٢) في (د) و(ظ): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(٣) في (م): قرّبه عليه.

(٤) في (ظ): علم.

(٥) هو سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله، الكوفي، إمام الحفاظ، توفي سنة (١٢٦هـ). السير ٧/ ٢٢٩.

(٦) أبو يحيى القرشي، الأسدي مولاهم، فقيه الكوفة، توفي سنة (١١٩هـ). السير ٥/ ٢٩٠.

(٧) المحدث الفاصل للرامهرمزي ص١٨٣، والجامع لأخلاق الراوي (٦٩٨) و(٧٧٧)...(٧٨٢)، وجامع بيان العلم ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

باب ماجاء في إعراب القرآن وتعليمه والحثِّ عليه وثوابِ مَن قَرأَ القرآنَ مُعرَباً

قال أبو بكر بنُ الأنباري[١]: جاء عن النبيِّ ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم ـ رضوانُ الله عليهم ـ من تفضيلِ إعرابِ القرآن، والحضِّ على تعليمِه، وذمِّ اللَّحنِ وكراهيتِهِ، ما وجبَ به على قُرَّاء[٢] القرآن أن يأخذُوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلُّمه[٣].

من ذلك ما حدثنا سليمان بن يحيى[٤] الضَّبِّيُّ قال: حدثنا محمد ـ يعني ابنَ سعدان[٥] ـ قال: حدثنا أبو معاوية، عن عبد الله بن سعيد المَقبُري، عن أبيه، عن جدِّه، عن أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ قال: «أعرِبُوا القُرآنَ، والتَمِسُوا غَرائِبَه»[٦].

حدثني أبي قال: حدثنا إبراهيم بنُ الهيثم قال: حدثنا آدمُ ـ يعنى ابنَ أبي إياس ـ قال: حدثنا أبو الطَّيِّب المَرْوَزيُّ قال: حدثنا عبد العزيز بنُ أبي رَوَّاد، عن نافع، عن ابن عمرَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قَرأَ القُرآنَ، فلم يُعرِبْهُ، وُكِّلَ به مَلَكٌ، يَكتُبُ له كما أُنزلَ بكلِّ حَرف عَشرَ حَسَنات، فإنْ أَعرَبَ بَعضَه، [ولم يُعربْ بعضَه][٧]، وُكِّلَ به مَلَكانِ، يكتُبانِ له بكلِّ حرف عشرينَ حسنة، فإن أَعرَبَه، وُكِّلَ به أربعةُ أملاك، يكتُبُون له بكلِّ حَرف سَبعينَ حَسَنة»[٨].

---

(١) في كتابه إيضاح الوقف والابتداء ١/ ١٤، وقد نقل عنه المصنف ما أورده في هذا الباب.

(٢) في (ظ): أهل.

(٣) في (ز) و(ظ): تعليمه.

(٤) في النسخ الخطية و (م): يحيى بن سليمان، والتصويب من الإيضاح ١/ ١٥، وترجمته في تاريخ بغداد ٩/ ٦٠، وطبقات القراء ١/ ٣١٧.

(٥) في (د) و(ز) و(م): ابن سعيد، وهو خطأ. والمثبت من (ظ). وترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ٣٢٤، وطبقات القراء ٢/ ١٤٣.

(٦) إسناده ضعيف جداً. عبد الله بن سعيد المقبري متروك الحديث. وأخرجه أيضاً أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٠٨، وابنُ أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٤٥٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٩، وقال: صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي بقوله: بل أُجمع على ضعفه.

(٧) ما بين حاصرتين من مصادر الحديث.

(٨) إسناده تالف. أبو الطيب المروزي (وهو الحربي) قال ابن حبان في المجروحين ٣/ ١٦٠: يروي عن عبد العزيز بن أبي روَّاد الأعاجيب، لا يجوز الاحتجاج به بحال. ثم أخرج له هذا الحديث، ونقل=

ورَوَى جُوَيبِر، عن الضَّحَّاك قال: قال عبد الله بنُ مسعود: جَوِّدُوا القرآنَ، وزَيِّنُوه بأحسنِ الأصواتِ، وأعرِبُوه، فإنه عَرَبِيٌّ، واللهُ يحبُّ أن يُعرَبَ به.

وعن مجاهد[١]، عن ابن عمر قال: أعرِبُوا القرآنَ.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد[٢] قال: قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: لَبَعضُ إعرابِ القرآنِ، أَحَبُّ إلينا مِن حِفظِ حروفِه.

وعن الشعبي قال: قال عمر رحمه الله: مَن قَرَأَ القُرآنَ، فأعرَبَه، كانَ له عند الله أجرُ شَهِيد.

وقال مكحول[٣]: بلغني أنَّ مَن قَرَأَ بإعراب، كان له مِنَ الأجرِ ضِعفانِ ممَّن قرأ بغير إعراب.

وروى ابنُ جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحِبُّوا[٤] العَرَبَ لثلاث: لأنِّي عربيٌّ، والقرآنَ عَربيٌّ، وكلامَ أهلِ الجنة عَرَبيٌّ»[٥].

وروى سفيان، عن أبي حمزة قال: قيل للحسن في قوم يَتَعَلَّمونَ العربيَّة، قال: أحسَنُوا، يتعلَّمون لغةَ نبيِّهم ﷺ[٦].

وقيل للحسن: إن لنا إماماً يَلحَنُ، قال: أَخِّروه.

= الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٥٤١ قول ابن معين فيه: كان في الحديث كذَّاباً. وأخرجه أيضاً أبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (١١٠).

(١) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، شيخ القراء والمفسرين، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس، توفي سنة (١٠٢هـ) وقيل غير ذلك. السير ٤/ ٤٤٩.

(٢) في إيضاح الوقف والابتدا ص٢٠: عن زيد.

(٣) أبو عبد الله بن أبي مسلم، الدمشقيُّ، عالم أهل الشام، من أقران الزهري، توفي سنة (١١٣هـ) وقيل غير ذلك. السير ٥/ ١٥٥.

(٤) في (د) و(ظ): أُحبُّ.

(٥) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٣/ ٣٤٨، والحاكم في المستدرك ٤/ ٨٧، وفي معرفة علوم الحديث ص ١٦١ ـ ١٦٢، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٤٨. قال العقيلي: منكر لا أصل له، وقال الحاكم: حديث صحيح، فتعقبه الذهبي بقوله: هو من رواية العلاء بن عمرو الحنفي وليس بعمدة.. وأظن الحديث موضوعاً، وأورد الحديث أيضاً في ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٣ وقال: هذا موضوع، قال أبو حاتم: هذا كذب.

(٦) سفيان: هو الثوري، وأبو حمزة: لعله الأعور، واسمه ميمون، والحسن: هو البصري.

وعن ابنِ أبي مُلَيكَةَ قال: قَدِمَ أعرابيٌّ في زمان عمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه، فقال: مَن يُقرِئُني مما أُنزل على محمد ﷺ ؟ قال: فأقرأَهُ رجلٌ «براءة»، فقال: «أن الله بريءٌ من المشركين ورسوله» بالجرِّ، فقال الأعرابيُّ: أوَقَد بَرِئَ الله مِن رسوله ؟! فإن يكنِ الله بَرِئَ من رسولِهِ، فأنا أبرأُ منه، فبلغَ عُمرَ مقالةُ الأعرابيِّ، فدعاه، فقال: يا أعرابيُّ، أتبرأُ من رسول الله ﷺ ؟! فقال: يا أمير المؤمنين، إني قَدِمتُ المدينةَ، ولا عِلمَ لي بالقرآن، فسألتُ: مَن يُقرِئُني ؟ فأقرأني هذا سورةَ براءة فقال: «أن الله بريءٌ من المشركين ورسوله»، فقلت: أوَقَد بَرِئَ اللهُ مِن رَسولِهِ ؟ ! إن يكنِ اللهُ بَرِئَ من رسولِهِ، فأنا أبرأُ منه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابيُّ، قال: فكيف هي يا أميرَ المؤمنين ؟ قال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾، فقال الأعرابيُّ: وأنا والله أبرأُ مما بَرِئَ الله ورسولُه منه. فأمر عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه ألا يُقرِئَ الناسَ إلا عالمٌ باللغةِ، وأمرَ أبا الأسودِ، فوضَع النَّحو.

وعن عليِّ بنِ الجَعد[١] قال: سمعتُ شُعبةَ[٢] يقول: مَثَلُ صاحِبِ الحديثِ الذي لا يعرفُ العربية، مَثَلُ الحمار، عليه مِخلاةٌ، لا عَلَفَ فيها.

وقال حمَّاد بنُ سَلَمة[٣]: مَن طَلَبَ الحديثَ، ولم يتعلَّمِ النَّحو ـ أو قال: العربية ـ فهو كَمَثَلِ الحمارِ، تُعلَّقُ عليه مِخلاةٌ، ليس فيها شعير[٤].

قال ابنُ عَطِيَّة: إعرابُ القرآنِ أَصلٌ في الشَّريعة، لأنَّ بذلك تَقومُ[٥] معانيه التي هي الشَّرع[٦].

---

(١) هو أبو الحسن البغدادي، الجوهري، مُسند بغداد، توفي سنة (٢٣٠هـ). السير ١٠/ ٤٥٩.

(٢) هو شعبة بن الحجاج، أبو بسطام الأزدي العتكي مولاهم، الواسطي، عالم أهل البصرة. توفي سنة (١٦٠هـ). السير ٧/ ٢٠٢.

(٣) أبو سلمة البصري، الإمام، النحوي، ابن أخت حُميد الطويل، توفي سنة (١٦٧هـ). السير ٧/ ٤٤٤.

(٤) أخرج الأخبار السالفة ابنُ الأنباري في الوقف والابتداء ١/ ١٥ ـ ٦١ ونقلها المصنف عنه كما صرح به أول الباب.

(٥) في (ظ): ذلك يقوم.

(٦) المحرر الوجيز (تفسير ابن عطية) ١/ ٤٠، ومؤلفه: هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية. توفي سنة (٥٤١هـ) وقيل: (٥٤٢). السير ١٩/ ٥٨٧.

قال ابنُ الأنباريِّ[١]: وجاء عن أصحابِ النبيِّ ﷺ وتابعيهم رضوانُ الله عليهم من الاحتجاجِ على غريب القرآن ومُشكِلِه باللغةِ والشِّعر، ما بَيَّنَ صحةَ مذهبِ النَّحوِيين في ذلك، وأوضحَ فسادَ مَذهبِ مَن أنكرَ ذلك عليهم.

من ذلك ما حدَّثنا عُبَيدُ بنُ عبد الواحد بنِ شَريك البزاز قال: حدَّثنا ابنُ أبي مريم قال: أنبأنا ابنُ فَرُّوخ قال: أخبرني أسامة قال: أخبرني عكرمة أنَّ ابنَ عباس قال: إذا سألتموني عن غَريبِ القرآنِ، فالتَمِسُوه في الشِّعر، فإن الشِّعر ديوانُ العرب.

وحدثنا إدريس بنُ عبد الكريم قال: حدثنا خَلَفٌ قال: حدثنا حمَّاد بنُ زيد، عن عليِّ بن زيد بن جُدعان قال: سمعتُ سعيدَ بنَ جُبَير ويوسفَ بنَ مِهرانَ يقولان: سمعنا ابنَ عباس يُسألُ عن الشيء من القرآن، فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول فيه كذا وكذا[٢].

وعن عكرمة، عن ابن عباس، وسألَه رجلٌ عن قوله الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] قال: لا تَلبَس ثيابَك على غَدر، وتَمثَّلَ بقول غَيلانَ الثَّقَفيِّ[٣]:

فإنِّي بحَمدِ الله لا ثَوبَ غادِرٍ ... لَبِستُ ولا مِن سَوأة أتَقَنَّعُ[٤]

وسأل رجل عِكرِمَةَ عن الزَّنِيم، فقال[٥]: هو ولدُ الزِّنَى، وتمثَّلَ ببيت شعر:

زَنِيمٌ ليس يُعرفُ مَن أبوه ... بَغِيُّ الأمِّ ذو حَسَبٍ لئيم[٦]

وعنه[٧] أيضاً: الزَّنيم: الدَّعِيُّ الفاحش اللئيم، ثم قال:

---

(١) في الوقف والابتداء ١/ ٦١. وما بعدها، مما نقله عنه المصنف حتى آخر الباب.

(٢) في (م): يُسألُ عن الشيء بالقرآن، فيقول فيه هكذا وهكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا. والمثبت من النسخ، غير قوله: فيقول فيه كذا وكذا، فمن إيضاح الوقف والابتداء ص٦٢.

(٣) هو غَيلانُ بنُ سَلَمة بن معتب بن مالك الثقفي، أسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، وهو شاعر مقلّ، وقد روى عنه ابنُ عباس شيئاً من شعره. الأغاني ١٣/ ٢٠٠، والإصابة ٨/ ٦٣.

(٤) ذكره ابنُ قتيبة في تفسير غريب القرآن ص٤٩٥ عند الآية ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، وكذا الطبري ٢٣/ ٤٠٦، والماوردي ٦/ ١٣٦، وابن منظور في اللسان (طهر).

(٥) في (ظ) و(م): قال.

(٦) ذكره الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ ٢٣/ ١٦٤.

(٧) أي: عن عكرمة، والخبر في الإيضاح ص٦٥: عن عكرمة عن ابن عباس.

زَنِيمٌ تداعاهُ الرِّجالُ زيادةً كما زِيد في عَرضِ الأدِيم أكارعُه[١]

وعنه في قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] قال: ذواتا ظلٍّ وأغصان، ألم تسمع إلى قول الشاعر:

ما هاجَ شوقَكَ من هَدِيلِ حمامةٍ تَدعُو على فَنَنِ الغُصونِ حَماما
تَدعُو أبا فَرْخَيْنِ صادَفَ طائراً ذا مِخْلَبَيْنِ من الصُّقُور قَطاما[٢]

وعن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] قال: الأرض. قال[٣] ابن عباس: وقالَ أُمَيةُ بنُ أبي الصَّلت[٤]:

عِندَهُم لحمُ بحر ولحمُ ساهِرة

قال ابنُ الأنباريِّ: والرواة يروون هذا البيت:

وفيها لحمُ ساهِرة وبَحر وما فاهُوا به لهُمُ مُقِيمُ[٥]

وقال نافع بن الأزرق[٦] لابن عباس: أخبرني عن قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ

(١) كذا في النسخ الخطية، وإيضاح الوقف والابتداء ١/ ٦٥ (والكلام منه)، ووقع في حاشيته وفي المصادر الآتية: الأكارع. وقد ذكره المبرد في «الكامل» ٣/ ١١٤٦، وابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٤٨ ونسباه إلى حسان بن ثابت، وذكره ابن إسحاق (كما في سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١)، وابن بري (كما في اللسان) (زنم) ونسباه إلى الخطيم التميمي.

(٢) ذكرهما الطبري في التفسير ٢٢/ ٢٤٠، والماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٣٨، ونسبهما الأصفهاني في الأغاني ١٤/ ٢٦٢ لثابت قطنة. وعندهما: صادف ضارياً، وأورد الأول منهما ابن منظور في اللسان (هدل) عن ابن بري.

(٣) في (م): قاله، وهو خطأ.

(٤) شاعر جاهليٌّ أدرك الإسلام ولم يُسلِم. قال ابنُ قُتيبة في الشعر والشعراء ص٤٥٩: قد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأن نبياً يُبعث قد أظلَّ زمانه، ويؤمِّل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ وقصتُه، كفرَ حَسَداً له. وذكر البغدادي في خزانته ١/ ٢٥٢ أنه مات في السنة التاسعة، وقال: لم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً. اهـ. وقد أنشد الشَّريدُ بنُ سُوَيد رسولَ الله ﷺ مئة بيت من شعر أمية. كما في صحيح مسلم (٢٢٥٥). فقال رسول الله ﷺ: «إن كادَ لَيُسلِمُ».

(٥) البيت في ديوانه ص ١٢١. وذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٣٢، والطبري في تفسيره ٢٤/ ٧٤، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٩٦، وسيكرر المصنف هذا البيت وما سلف من الأبيات قبله في المواضع من الآيات المذكورة.

(٦) من رؤوس الخوارج، وإليه تنسب طائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية. له أسئلة عن ابن عباس، أخرج الطبراني بعضها في الكبير. لسان الميزان ٦/ ١٤٤.

سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ما السِّنة ؟ قال: النُّعاس، قال زُهير بنُ أبي سُلمَى[١]:

لاسِنَةٌ في طَوالِ اللَّيلِ[٢] تأخُذُهُ ولا يَنامُ ولا في أمرِه فَنَدُ

باب ماجاء في فضل تفسير القرآنِ وأهلِهِ

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وأما ما جاء في فضل التفسير عن الصحابة والتابعين:

فمن ذلك أن عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه ذكر جابرَ بنَ عبد الله، ووصفَه بالعلم، فقال له رجل: جُعلتُ فداءك، تصف جابراً بالعلم، وأنت أنت ! فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

وقال مجاهد: أحَبُّ الخلق إلى الله تعالى أعلمُهم بما أنزل.

وقال الحسن: والله ما أنزلَ الله آيةً إلا أحَبَّ أن يُعلم فيما[٣] أُنزلت، وما يَعني بها.

وقال الشعبيُّ: رَحَلَ مسروق[٤] إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذي يُفسِّرُها رَحَلَ إلى الشام[٥]، فَتَجَهَّزَ، ورَحَلَ إلى الشام حتى عَلِمَ تفسيرَها[٦].

وقال عكرمة[٧] في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠]: طلبتُ اسمَ هذا الرجلِ أربعَ عَشرةَ سنة حتى وجدتُه[٨].

---

(١) شاعر جاهلي، لم يدرك الإسلام، وكان من المقدَّمين على سائر الشعراء. الشعر والشعراء ١/ ١٤١.

(٢) في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٧٨: في طوال الدهر.

(٣) في (د) و(ز): أعلم فيمن.

(٤) ابن الأجدع، أبو عائشة الوادعي، الهمداني، الكوفي، عداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، توفي سنة (٦٢هـ) وقيل: سنة (٦٣هـ). السير ٤/ ٦٣.

(٥) في (د): رجل بالشام.

(٦) أورد ابن عطية هذه الأخبار في تفسيره ١/ ٤٠.

(٧) أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدني، البربري الأصل، الحافظ المفسر، لازم ابن عباس وأخذ عنه العلم، توفي سنة (١٠٥هـ). السير ٥/ ١٢.

(٨) أورده ابنُ عبد البر في الاستيعاب في ترجمة ضمرة بن العيص بن ضمرة (بهامش الإصابة ٥/ ٢٠٢ - ٢٠٣).

وقال ابنُ عبد البَرّ: هو ضَمرَةُ[١] بنُ حَبِيب، وسيأتي[٢].

وقال ابن عباس: مَكَثتُ سَنَتَين[٣] أُريد أن أسألَ عُمرَ عن المرأتين اللتَينِ تَظاهَرَتا على رسول الله ﷺ، ما يمنعني إلا مهابتُه، فسألتُه، فقال: هي حفصة وعائشة.

وقال إياس بن معاوية[٤]: مَثَلُ الذين يقرؤون القرآنَ وهم لا يعلمون تفسيرَه، كمَثَل قوم جاءهم كتابٌ من مَلِكِهِم ليلاً، وليس عندَهم مصباح، فتدَاخَلَتهُم رَوْعَة، ولا يَدْرُون ما في الكتاب، ومَثَلُ الذي يعرفُ التفسيرَ كَمَثلِ رجل جاءهم بمصباح، فقرؤوا ما في الكتاب.

باب ما جاء في حامل القرآن، ومَن هو، وفيمن عاداه

قال أبو عمر[٥]: رُوِيَ من وجوه فيها لِينٌ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مِن تَعظيم جَلالِ الله إكرامُ ثلاثة: الإمام المُقسِطِ، وذي الشَّيبةِ المُسلِمِ، وحامِلِ القرآن غيرِ الغالي فيه، ولا الجافي عنه»[٦].

وقال أبو عمر: وحَمَلَةُ القرآنِ هم العالِمونَ بأحكامِه، وحَلالِهِ وحَرامِه، والعامِلُون بما فيه. ورَوَى أنسٌ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «القُرآنُ أفضَلُ من كلِّ شيء، فَمَن

(١) في (ز) و(ظ): ضميرة.

(٢) سيذكر المصنف الاختلاف في اسمه عند تفسير الآية المذكورة من سورة النساء، وينظر الإصابة ٥/ ١٩٧ ترجمة ضمرة بن ابي العيص.

(٣) في (ظ): سنين، وفي صحيح البخاري (٤٩١٣) وصحيح مسلم (١٤٧٩): مكثت سنة.

(٤) أبو واثلة قاضي البصرة، كان يُضرب به المَثَلُ في الدهاء والعقل، توفي سنة (١٢١هـ). السير ٥/ ١٥٥. وقد أورد ابن عطية قوله في المحرر الوجيز ١/ ٤٠.

(٥) هو ابنُ عبد البر، ولعل قوله هذا في كتابه البيان عن تلاوة القرآن، الذي ذكره هو في الاستذكار ٨/ ٢٤ و٢٦، والذهبي في السير ١٨/ ١٥٩.

(٦) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري: البخاريُّ في الأدب المفرد (٣٥٧)، وأبو داود (٤٨٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٨٥) و(١٠٩٨٦)، وحسَّنه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٥٦٥، والنووي في التبيان ص٣٤. وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٧٣٢)، وابنُ عدي في الكامل ٤/ ١٥٩٦، والبيهقي في الشعب (٢٦٨٧) من حديث جابر. وأخرجه البيهقي في الشعب أيضاً من حديث ابن عمر موقوفاً. وأخرجه الفريابي في فضائل القرآن (٩١) من حديث طلحة بن عبيد الله بن كَرِيز مرسلاً.

وَقَّرَ القرآنَ، فقد وَقَّرَ الله، ومَنِ استَخَفَّ بالقرآن، استَخَفَّ بحقِّ الله تعالى، حَمَلَةُ القُرآنِ هم المحفُوفُون[١] برحمةِ الله، المُعظَّمون كلامَ الله، المُلبَسون نورَ الله، فَمن وَالَاهم فقد وَالَى الله، ومن عاداهم فقدِ استخفَّ بحقِّ الله تعالى»[٢].

باب ما يلزمُ قارئَ القرآنِ وحاملَه من تعظيم القرآنِ وحُرمَتِه

قال الترمذيُّ الحكيمُ أبو عبد الله في «نوادر الأصول»[٣]: فَمِن حُرمَةِ القرآن ألَّا يَمَسَّه إلا طاهراً.

ومِن حُرْمَتِه أن يقرأَه وهو على طهارة.

ومِن حُرْمَتِه أن يَستاكَ ويتخلَّلَ، فيُطَيِّبَ فاهُ، إذ هو طريقُه. قال يزيد بن أبي مالك[٤]: إن أفواهَكم طُرُقٌ من طُرقِ القرآن، فَطَهِّرُوها ونَظِّفُوها ما استطعتُم.

ومن حُرْمَتِه أن يستويَ له قاعداً إن كان في غير صلاة، ولا يكون متكئاً[٥].

ومِن حُرْمَتِه أن يَتَلَبَّسَ له[٦]، كما يَتَلَبَّسُ للدخول على الأمير، لأنه مُناجٍ.

ومِن حُرْمَتِه أن يستقبلَ القِبلَةَ لقراءته. وكان أبو العالية[٧] إذا قرأ اعتَمَّ، ولبسَ وارتَدَى، واستقبلَ القِبلَةَ.

---

(١) في مصادر الحديث: المخصوصون.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٤٢ (في ترجمة داود بن محمد المعيوفي الحجوري) وفي إسناده أكثرُ من علة، وأورده ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة ١/ ٢٩٤، وقال: فيه علي بن الحسن السامي. اهـ. وعليٌّ هذا؛ قال ابن حبان في المجروحين: لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل التعجب، وقال ابن عدي في الكامل ٥/ ١٨٥٤: ضعيف جداً. وانظر كشف الخفا ١/ ٢٠.

(٣) في الأصل (٢٥٣) منه، ص ٣٣٣.

(٤) يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الهمداني، قاضي دمشق في عهد هشام بن عبد الملك، توفي سنة (١٣٠هـ). السير ٥/ ٤٣٧، وقوله هذا الذي أورده له المصنف ليس في المطبوع من نوادر الأصول، وهو في الرعاية لمكي ص٨٢.

(٥) قوله: ومن حرمته أن يستوي له قاعداً... إلى هذا الموضع، ليس في (م).

(٦) لفظة: له، ليست في (م).

(٧) هو رُفَيعُ بنُ مِهران، أبو العالية الرِّياحي البصري، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين، مات سنة تسعين. تهذيب الكمال ٩/ ٢١٤.

ومن حُرْمَتِه أن يتمضمضَ كلَّما تنخَّع. روى شعبةُ، عن أبي حمزة[١]، عن ابن عباس: أنه كان يكون بين يديه تَوْر[٢]، إذا تَنَخَّع مَضمَضَ، ثم أخَذَ في الذِّكر، وكان كلَّما تنخَّعَ مَضمَضَ.

ومِن حُرْمَتِهِ إذا تثاءَبَ أن يُمسِكَ عن القراءة، لأنه إذا قرأ، فهو مُخاطِبٌ ربَّه ومُناجٍ، والتثاؤبُ من الشيطان.

قال مجاهد: إذا تَثاءَبتَ وأنتَ تقرأُ القرآن، فأمسِك عن القرآن[٣] تعظيماً حتى يذهبَ تثاؤبُك. وقاله عكرمة. يريدُ أنَّ في ذلك الفعل إجلالاً للقرآن.

ومن حُرْمَتِهِ أن يستعيذَ بالله عند ابتدائهِ للقراءةِ من الشيطانِ الرجيم، ويقرأ «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم» إن كانَ ابتدأَ قراءته من أولِ السورةِ، أو من حيثُ بلَغَ.

ومن حُرْمَتِه إذا أخذَ بسورة، لم يشتغل بشيء حتى يَفرَغَ منها إلا من ضرورة[٤].

ومِن حُرْمَتِه إذا أخذَ في القراءة، لم يَقطَعها ساعة فساعة بكلامِ الآدميين من غير ضرورة.

ومِن حُرْمَتِه أن يَخلُوَ بقراءتهِ حتى لا يقطعَ عليه أحدٌ بكلام، فيخلِطَه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك، زالَ عنه سلطانُ الاستعاذةِ الذي استعاذ في البَدء.

ومِن حُرْمَتِه أن يقرأَه على تُؤَدَة وتَرسِيل[٥] وترتيل.

ومن حُرْمَتِه أن يستعملَ فيه ذِهنَه وفَهمَه حتى يَعقِلَ ما يُخاطَبُ به.

ومن حُرْمَتِه أن يقفَ على آيةِ الوَعدِ، فيرغَبَ إلى الله تعالى، ويسألَه من فضلِه، وأن يقفَ على آيةِ الوَعيد، فيستجيرَ بالله منه.

ومن حُرْمَتِه أن يقفَ على أمثاله، فَيمتَثِلَها.

ومن حُرْمَتِه أن يلتمسَ غَرائبَه.

---

(١) هو عمران بن أبي عطاء الأسدي، أبو حمزة القصاب، الواسطي، قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق له أوهام.

(٢) التَّور إناء يُشرب فيه.

(٣) في (ز) و(د): القراءة.

(٤) قوله: ومن حرمته إذا أخذ بسورة... إلى هذا الموضع، ليس في (م).

(٥) التَّرسِيلُ في القراءة: الترتيل. القاموس (رسل).

ومن حُرْمَتِه أن يُؤدِّيَ لكلِّ حرف حقَّه من الأداءِ، حتى يبرزَ الكلامُ باللفظ تماماً، فإنَّ له بكلِّ حرف عَشرَ حسنات.

ومن حُرْمَتِه إذا انتَهَت قراءتُه، أن يُصَدِّقَ ربَّه، ويَشهَدَ بالبلاغِ لرسولهِ ﷺ، ويَشهدَ على ذلك أنه حقٌّ، فيقولَ: صَدَقتَ ربَّنا، وبَلَّغتْ رُسُلُك، ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهمَّ اجعَلنا من شهداءِ الحقِّ، القائمين بالقِسط. ثم يدعوَ بدعوات.

ومِن حُرْمَتِه إذا قرأه ألا يَلتَقِطَ الآيَ من كلِّ سورة، فيقرأها، فإنه رُويَ لنا عن رسول الله ﷺ أنه مَرَّ ببلال وهو يقرأُ من كلِّ سورة شيئاً، فأَمَرَه أن يقرأ السورةَ كلَّها[1]. أو كما قال عليه السلام.

ومِن حُرْمَتِه إذا وَضَعَ المصحفَ[2] ألا يتركَه منشوراً، وألا يضعَ فوقَه شيئاً من الكُتبِ، حتى يكونَ أبداً عالياً لسائرِ الكتبِ، عِلماً كان أو غيرَه.

ومن حُرْمَتِه أن يضعَه في حِجرِه إذا قرأه، أو على شيء بين يديه، ولا يضعَه بالأرض.

ومن حُرْمَتِه ألا يمحوَه من اللَّوح بالبُصاق، ولكن يغسِلُه بالماء.

ومِن حُرْمَتِه إذا غَسَلَه بالماء، أن يَتَوَقَّى النجاساتِ من المواضعِ والمواقع التي تُوطَأُ، فإنَّ لتلك الغُسالة حُرمةً، وكان مَن قَبلَنا مِنَ السلفِ، منهم مَن يستشفي بغُسَالَتِه.

ومِن حُرْمَتِه ألا يتخذَ الصحيفةَ إذا بَلِيَت ودَرَسَت وقايةً للكتب، فإنَّ ذلك جفاءٌ عظيم، ولكن يمحوها بالماء.

ومِن حُرْمَتِه ألا يُخلِيَ يوما من أيامه من النظرِ في المصحف مَرَّة، وكان أبو موسى [الأشعريُّ] يقول: إني لأستحيي ألا أنظرَ كلَّ يوم في عهدِ ربي مَرَّة.

ومِن حُرْمَتِه أن يُعطِيَ عينَيه حظَّهما منه، فإنَّ العينَ تؤدي إلى النفس، وبين النفس

---

(١) في النسخ الخطية: أن يقرأ على السور، والمثبت من (م)، وفي نوادر الأصول ص٣٣٣ (والكلام منه): يقرأ السور كلها، وأخرج الخبر ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٥٣٢ و١٠/ ٥٥١ . ٥٥٢ عن سعيد بن المسيب وزيد بن يُثيع مرسلاً وفيه: السورة على نحوها.

(٢) في النسخ الخطية: الصحيفة، والمثبت من (م).

والصَّدر حجابٌ، والقرآنُ في الصدر، فإذا قرأه عن ظهرِ قلب، فإنما يُسمِعُ أُذنَه، فتؤدِّي إلى النفس، فإذا نَظَرَ في الخطِّ، كانت العينُ والأذنُ قد اشترَكتا في الأداءِ، وذلك أوفرُ للأداء، وكانت العين قد أخذت حظَّها[١] كالأُذن. رَوَى زيدُ بنُ أسلمَ[٢]، عن عطاء بن يَسار[٣]، عن أبي سعيد الخُدرِيِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أعطُوا أَعيُنَكُم حَظَّها من العبادةِ». قالوا: يارسول الله، وما حظُّها من العبادة؟ قال: «النَّظَرُ في المصحفِ، والتفكُّرُ فيه، والاعتبارُ عند عجائبِهِ»[٤]. ورَوَى مكحولٌ، عن عُبَادةَ بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضَلُ عبادةِ أُمتي قراءةُ القرآن نظراً»[٥].

ومِن حُرْمَتِه ألا يتأوَّلَه عندما يَعرِضُ له شيءٌ من أمر الدنيا. حدثنا عمرو بنُ زياد الحنظليُّ قال: حدثنا هُشَيمُ بنُ بَشِير، عن المغيرة، عن إبراهيم قال: كان يكره أن يُتأوَّلَ شيءٌ من القرآن عندما يَعرِضُ له شيءٌ من أمر الدنيا[٦]. والتأويلُ: مثلُ قولك للرجل إذا جاءك: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠]، ومثل قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] هذا عند حضور الطعام، وأشباهِ هذا.

ومِن حُرْمَتِه ألا يقال: سورة كذا، كقولك: سورةُ النحل، وسورة البقرة، وسورة النساء، ولكن يقال: السورة التي يُذكر فيها كذا.

قلت: هذا يعارضُه قولُه ﷺ: «الآيتانِ مِن آخِرِ سورةِ البقرةِ، مَن قَرَأَ بهما في ليلة

---

(١) في (د) و(ز) و(م): وكان قد أخذت العين حظها، والمثبت من (ظ).

(٢) أبو عبد الله العدوي، العمري، المدني، الفقيه، حدث عن جمع من الصحابة، وله تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، توفي سنة (١٣٦هـ). السير ٥/ ٣١٦.

(٣) المدني، مولى ميمونة، كان فقيهاً واعظاً ثبتاً، وهو أخو سليمان بن يسار، توفي سنة (١٠٣هـ)، ويقال: قبل المئة. السير ٤/ ٤٤٨.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٢) وقال: إسناده ضعيف. وضعفه أيضا الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ٤٢٤.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢٢) (دون قوله: نظراً) من حديث النعمان بن بشير، ونسبه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١/ ٢٧٣ إلى أبي نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن أنس، وضعفه.

(٦) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٥٨ عن هشيم، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥١٥ عن جرير، عن مغيرة بنحوه. هُشَيم: هو ابنُ بشير، ومُغيرة: هو ابنُ مِقسَم الضَّبِّي.

كَفَتَاه». خرَّجه البخاريُّ ومُسلم، من حديث عبد الله بن مسعود[١].

ومِن حُرْمَتِه ألا يُتلَى منكوساً، كفعل مُعلِّمي الصِّبيان، يلتمسُ أحدُهم بذلك أن يُرِيَ الحِذقَ من نفسه والمَهارَة، فإن تلك مَجانَة[٢].

ومِن حُرْمَتِه ألا يُقَعِّرَ في قراءته، كفعلِ هؤلاء الهمزيِّين المبتدعين، المتنطِّعين في إبرازِ الكلام من تلك الأفواه المنتِنة تكلُّفاً، فإن ذلك مُحدَثٌ، ألقاه إليهمُ الشيطانُ فقَبِلُوه عنه[٣].

ومِن حُرْمَتِه ألا يقرأه بألحانِ الغِناءِ، كلحونِ أهلِ الفِسق[٤]، ولا بترجيعِ النَّصارى، ولا نَوحِ الرَّهبانيَّة، فإنَّ ذلك كلَّه زَيغٌ. وقد تقدَّم[٥].

ومن حُرْمَتِه أن يجلل تخطيطَه إذا خطَّه. وعن أبي حُكَيمَة أنه كان يكتبُ المصاحف بالكوفة، فمر عليٌّ رضي الله عنه، فنظرَ إلى كتابتِه، فقال له: أُجْلُ[٦] قَلمَكَ، فأخذتُ القلمَ فقَطَطتُه[٧] من طَرَفِهِ قَطًّا، ثم كتبتُ وعليٌّ رضي الله عنه قائمٌ ينظرُ إلى كتابتي، فقال: هكذا، نَوِّرْه كما نوَّرَه الله عزَّ وجلَّ[٨].

---

(١) صحيح البخاري (٤٠٠٨)، وصحيح مسلم (٨٠٧).

(٢) من المُجون، وهو قلة الحياء وخلط الجدّ بالهزل، ووقع في (م): مخالفة.

(٣) في (د) و(ظ): فتلقوه عنه، والمثبت من (م)، ومن قوله: ومن حرمته ألا يقعر في قراءته... إلى هذا الموضع، لم يرد في المطبوع من نوادر الأصول. والمقصود بالهمزيين مَن يَغلُون في تلاوتهم لحمزة، وقد نقل الذهبي في تاريخ الإسلام ٦/ ١٧٥ عن الإمام حمزة قوله: إن لهذا التحقيق حدًّا ينتهي إليه، ثم يكون قبيحاً، وعنه قال: إنما الهمز رياضة، فإذا حسَّنَها الرجل سَهَّلَها. اهـ ثم ذكر الذهبي أن الإجماع انعقد على ثبوت قراءة حمزة وصحتها، وقال: وبالجملة إذا رأيتَ الإمامَ في المحراب لَهِجا بالقراءات، وتَتَبُّع غريبها، فاعلم أنه فارغٌ من الخشوع، مُحِبٌّ للشهرة والظهور، نسأل الله السلامة في الدين. وانظر جمال القراء لعلم الدين السخاوي ٢/ ٥٦٥ ـ ٥٧٤.

(٤) في (ظ): العشق.

(٥) ص٣١ ـ ٣٢.

(٦) في نوادر الأصول ص٣٣٤ (والكلام منه): اجلل.

(٧) في (ظ) ونوادر الأصول ص٣٣٤: فقططت.

(٨) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٤٣، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤، والدولابي في الكنى ١/ ١٥٥، والبيهقي في الشعب (٢٦٦٣). أبو حُكَيمة ـ بالتصغير كما في تبصير المنتبه ١/ ٤٥٠ ـ هو عِصمة البصري. وجاء عند الدولابي: فقططتُ من قلمي ثم كتبت أجلى من ذلك... وترجم له أبو عبيد بقوله: باب كتابة المصاحف، وما يستحب من عظمها، ويكره من صغرها. اهـ وقوله: فقططتهُ، يعني قَطَعْهُ عرضاً.

ومن حُرْمَتِه ألا يَجهَرَ بعضٌ على بعض في القراءة، فيفُسدَ عليه، حتى يُبغِّضَ إليه ما يسمع، ويكونَ كهيئةِ المُغالبةِ.

ومِن حُرْمَتِه ألا يُمارِيَ، ولا يجادلَ فيه في القراءات، ولا يقولَ لصاحبه: ليس هكذا هو، ولعله أن تكونَ تلك القراءةُ صحيحةً جائزةً من القرآن، فيكونَ قد جحدَ كتابَ[1] الله.

ومِن حُرْمَتِه ألا يقرأ في الأسواقِ، ولا في مواطن اللَّغَط واللَّغو، ومَجمَعِ السفهاء، ألا تَرَى أنَّ الله تعالى ذَكَرَ عبادَ الرَّحمن، وأثنى عليهم، بأنَّهم إذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كِراماً ؟! هذا لمرورِه بنفسهِ، فكيف إذا مَرَّ بالقرآن الكريمِ تلاوةً بين ظَهرانَي أهلِ اللَّغو ومجمعِ السفهاء ؟!

ومِن حُرْمَتِه ألا يَتوسَّدَ المصحفَ، ولا يَعتمِدَ عليه، ولا يَرمِيَ به إلى صاحبه إذا أرادَ أن يُناوِلَه.

ومِن حُرْمَتِه ألا يُصَغِّرَ المصحفَ. روى الأعمش، عن إبراهيم، عن علي رضي الله عنه قال: لا يُصغَّرُ المصحف[2].

قلت: ورُوي عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً في يد رجل، فقال: مَن كتبَه ؟ قال: أنا، فضرَبَه بالدِّرَّة، وقال: عَظِّمُوا القرآن[3]. ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يقال: مُسَيْجِد، أو مُصَيْحِف[4].

ومِن حُرْمَتِه: ألا يخلطَ فيه ما ليس منه.

ومِن حُرْمَتِه ألا يُحَلَّى بالذَّهبِ، ولا يُكتبَ بالذَّهب، فتُخلَطَ به زينةُ الدنيا. وروى مغيرةُ، عن إبراهيم[5]، أنه كان يكرهُ أن يُحَلَّى المصحفُ، أو يُكتَبَ بالذهبِ، أو

---

(١) في (ظ): كلام.

(٢) أخرج نحوه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٤٤.

(٣) أخرجه أبو عبيد في الفضائل ص٢٤٣.

(٤) لم يصح مرفوعاً، فيما ذكر ابن عدي في الكامل ١/ ٣٢٥، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥٤٤، وابن أبي داود في المصاحف ١٥٢ ـ ١٥٣، والبيهقي في الشعب من قول مجاهد، وأخرجه ابن أبي داود أيضاً في المصاحف ص١٥٣ من قول إبراهيم النخعي. وينظر ميزان الاعتدال ١/ ٢٠٠، و٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ترجمة إسحاق بن نجيح الملطي، وعيسى بن إبراهيم بن طهمان.

(٥) مغيرة: هو ابنُ مِقسَم الضَّبِّي، وإبراهيم: هو ابن يزيد النخعي.

يعلَّم عند رؤوس الآي، أو يُصَغَّرَ. وعن أبي الدرداء قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا زَخْرَفتُم مَساجِدَكم وحَلَّيتُم مَصاحِفَكم، فالدَّبارُ عليكم»[١]. وقال ابن عباس وقد رأى مصحفاً زُيِّنَ بفضَّة: تُغْرُونَ به السارقَ، وزِينتُه في جوفه.

ومن حُرْمَتِه ألا يُكتبَ على الأرض، ولا على حائط، كما يُفعل بهذه[٢] المساجد المُحْدَثَة. حدثنا محمد بنُ علي الشَّقيقيُّ، عن أبيه، عن عبد الله بن المبارك، عن سفيانَ، عن محمد بن الزبير قال: سمعتُ عمرَ بن عبد العزيز يحدثُ قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ بكتاب في أرض، فقال لشابٍّ من هُذَيل: «ما هذا ؟» قال: من كتاب الله، كتبه يهوديٌّ، فقال: «لعنَ اللهُ مَن فعلَ هذا، لا تضعوا كتابَ اللهِ إلا مَوضِعَه»[٣]. قال محمدُ بن الزبير: رأى عمرُ بنُ عبد العزيز ابناً له يكتبُ القرآنَ على حائط، فضربَه.

ومن حُرْمَتِه أنه إذا اغتَسَلَ بكتابته مُستشفياً من سَقَم، ألا يَصُبَّه على كُناسَة، ولا في موضع نجاسة، ولا على موضع يُوطَأ، ولكن ناحية من الأرض في بُقعة، لا يطؤه الناس، أو يَحفِرَ حَفِيرة في موضع طاهر حتى ينصبَّ من جسده في تلك الحَفيرة، ثم يَكبِسُها، أو في نهرٍ كبير يختلطُ بمائه، فيجري.

ومِن حُرْمَتِه أن يَفتَتِحَه كلَّما ختمَه، حتى لا يكونَ كهيئة المهجور، وكذلك كان رسولُ الله ﷺ إذا ختمَ، يقرأُ من أوَّل القرآنِ قَدرَ خَمسِ آيات، لئلا يكونَ في هيئة المهجور[٤]. وروى ابنُ عباس قال: جاء رجلٌ، فقال: يارسولَ الله، أيُّ العمل أفضلُ ؟ قال: «عليك بالحالِّ المُرتَحِل». قال: وما الحالُّ المُرتَحِلُ ؟ قال: «صاحِبُ القرآن، يَضرِبُ من أوَّلِه حتى يَبلُغَ آخِرَه، ثم يَضرِبُ في أوَّله، كلَّما حَلَّ ارتَحَلَ»[٥].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٩٧)، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٤٢، وابن أبي داود في المصاحف ص١٥٠ عن أبي الدرداء موقوفاً. قال الشوكاني في الفوائد المجموعة ص٢٥: لا يصح رفعه. اهـ. قوله: الدَّبار، بالفتح: الهلاك. النهاية (دبر).

(٢) في (م): به في.

(٣) إسناده ضعيف جداً. محمد بن الزبير. وهو الحنظلي. متروك، ثم إن الخبر مرسل، فعمر بن عبد العزيز. أمير المؤمنين. من التابعين.

(٤) ذكر نحوه مكي في الرعاية ص٥٦.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٩٤٨)، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٦٠، وأبو الفضل الرازي في فضائل القرآن (٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٠١). قال الترمذي: حديث حسن غريب... وإسناده ليس بالقوي. =

قلتُ: ويستحبُّ له إذا ختم القرآنَ أن يَجمَعَ أهلَه:

ذكر أبو بكر الأنباري: أنبأنا إدريسُ، حدثنا خَلَف، حدثنا وكيعٌ، عن مِسعَر، عن قتادةَ، أن أنسَ بن مالك كان إذا ختم القرآنَ، جمع أهلَه، ودعا[١]. وأخبرنا إدريسُ، حدثنا خَلَفٌ، حدثنا جريرٌ، عن منصور، عن الحَكَم قال: كان مجاهدٌ وعَبْدَةُ بنُ أبي لُبابَةَ[٢] وقومٌ يَعرِضُون المصاحفَ، فإذا أرادُوا أن يَختِمُوا، وجَّهُوا إلينا: أُحضُرُونا، فإنَّ الرحمةَ تَنزِلُ عند خَتمِ القرآن[٣]. وأخبرنا إدريسُ، حدثنا خَلَفٌ، حدثنا هُشَيم، عن العوَّام، عن إبراهيم التَّيميِّ قال: مَن خَتَمَ القرآنَ أوَّلَ النهار، صَلَّت عليه الملائكةُ حتى يُمسِيَ، ومَن خَتَمَ أوَّلَ الليل، صَلَّت عليه الملائكةُ حتى يُصبِحَ. قال: فكانوا يَستحبُّون[٤] أن يَختِمُوا أوَّلَ الليل، وأوَّلَ النهار[٥].

ومِن حُرْمَتِه ألا تَكتُبَ التعاويذَ منه، ثم تَدخُلَ به في الخلاء، إلا أن يكونَ في غلاف من أَدَم، أو فِضَّة، أو غيره، فيكونَ كأنَّه في صدرك.

ومِن حُرْمَتِهِ إذا كتبَه وشَرِبَه، سَمَّى اللهَ على كل نَفَس، وعَظَّمَ النيةَ فيه، فإنَّ اللهَ يُؤتيهِ على قَدْرِ نيَّته. روى ليث، عن مجاهد قال: لا بأس أن يكتبَ القرآنَ، ثم يسقيَه[٦] المريضَ. وعن أبي جعفر قال: مَن وَجَدَ في قلبه قساوة، فَلْيَكتُب «يس» في جامٍ بزعفران، ثم يشربه[٧].

= وأخرجه الترمذي من وجه آخر عن ابن عباس مرسلاً، وقال: وهذا عندي أصح.

(١) أخرجه في فضائل القرآن أبو عبيد ص٤٨، والفريابي (٨٥) (٨٦)، وابن الضُّريس (٨٤). وإسناده صحيح.

(٢) أبو القاسم الأسدي، ثم الغاضري مولاهم، الكوفي التاجر، أحد الأئمة، نزل دمشق، توفي في حدود سنة (١٢٧هـ). السير ٥/ ٢٢٩.

(٣) أخرجه في فضائل القرآن أيضاً أبو عُبيد ص ٤٧ ـ ٤٨، والفريابي في (٨٧) و(٨٨) و(٨٩)، وابنُ الضُّريس (٨١)، وهو أثر صحيح.

(٤) في (د): يستحسنون.

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٤٩، والدارمي في السنن (٣٤٧٧)، وابن الضُّريس في فضائل القرآن (٥٠).

(٦) في (م): تكتب... تسقيه.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٦٨) وقال بإثره: وكان إبراهيم يكره ذلك، ولو صحَّ الحديثُ لم يكن للكراهة معنى، إلا أن في صحته نظراً، والله أعلم. اهـ. أبو جعفر: هو الباقر. وقوله: جام: هو إناء من فضة.

قلتُ: ومن حُرْمَتِه ألا يقال: سورة صغيرة. وكره أبو العالية أن يقال: سورةٌ صغيرة، أو كبيرة، وقال لمن سمعه قالها: أنت أصغرُ منها، وأما القرآنُ، فكلُّه عظيم. ذكره مكيٌّ رحمه الله[١].

قلتُ: وقد روى أبو داود ما يُعارضُ هذا من حديث عَمرِو بنِ شُعَيب[٢]، عن أبيه، عن جدِّه، أنه قال: مامِنَ المُفَصَّلِ سُورةٌ، صغيرةٌ ولا كبيرةٌ، إلا قد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَؤُمُّ بها الناسَ في الصلاة[٣].

باب ماجاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي والجُرأة على ذلك، ومراتب المفسرين

رُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: ما كان رسولُ الله ﷺ يُفسِّرُ من كتاب الله إلا آياً بعدد، عَلَّمَهُ إيَّاهنَّ جبريلُ[٤].

قال ابنُ عطية: ومعنى هذا الحديثِ في مُغيَّبات القرآن، وتفسيرِ مُجمَلِهِ، ونحو هذا مما لا سبيلَ إليه إلا بتوقيف[٥] من الله تعالى، ومن جملةِ مُغَيَّباته ما لم يُعلِمِ اللهُ به، كوقت قيامِ الساعة، ونحوِها مما يُستَقرَأُ من ألفاظه، كعدد النَّفَخات في الصور، وكرتبةِ خَلقِ السماوات والأرض[٦].

رَوى الترمذيُّ، عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «اتَّقُوا الحديثَ عليَّ إلا ما

---

(١) الرعاية ص٨٣.

(٢) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، أبو إبراهيم، ويقال: أبو عبد الله. ورواية أبيه عن جده إنما يعني بها جدَّه الأعلى عبد الله بن عمرو لا محمد بن عبد الله. تهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٩.

(٣) سنن أبي داود (٨١٤). قوله: المفصَّل؛ ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢/ ٢٥٩ أنها من سورة ق إلى آخر القرآن على الصحيح، وذكر الإمام النووي في شرح مسلم ٦/ ١٠٦ أنه سمي مفصلاً لقصر سوره، وقرب انفصال بعضهن من بعض.

(٤) أخرجه أبو يعلى (٤٥٢٨)، والبزار (٢١٨٥) (زوائد). وإسناده ضعيف، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٧٠٣ وقال: فيه راو لم يتحرر اسمه عند واحد منهما، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٥) في (م): بتوفيق، وهو خطأ.

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٤١.

علمتُم، فَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعمِّداً، فَلْيَتَبوَّأ مَقْعَدَه منَ النَّار، ومَن قالَ في القرآن برأيه، فَليتبوَّأ مَقعَدَه مِنَ النَّار»[١]. ورَوَى أيضاً عن جُنْدُب[٢] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قالَ في القرآن[٣] برأيه، فأصابَ، فقد أخطأ». قال: هذا حديثٌ غريبٌ، وأخرجه أبو داود، وتُكُلِّمَ في أحد رواته[٤]. وزاد رَزِين: ومَن قال برأيه، فأخطأ، فقد كفرَ.

قال أبو بكر محمدُ بن القاسم بنِ بشار بنِ محمد الأنباريُّ النَّحويُّ اللغويُّ في كتاب «الردّ»: فُسِّرَ حديثُ ابنِ عباس تفسيرَين: أحدهما: مَن قالَ في مُشكِلِ القرآنِ بما لايَعرِفُ مِن مَذهبِ الأوائل من الصحابة والتابعين، فهو مُتعرِّضٌ لِسَخَطِ الله. والجوابُ الآخَر ـ وهو أثبتُ القولَين وأصحُّهُما معنى ـ: مَن قالَ في القرآن قولاً يعلَمُ أنَّ الحقَّ غيرُه، فَليتبوَّأ مَقعَدَهُ من النار. ومعنى يَتَبَوَّأ: يَنزِلُ ويَحُلُّ. قال الشاعر[٥]:

وبُوِّئَتْ في صَميمِ مَعْشَرِها ... فَتَمَّ في قَومِها مُبَوَّؤُها

وقال في حديث جُنْدُب: فحملَ بعضُ أهلِ العلمِ هذا الحديثَ على أنَّ الرأيَ معنيٌّ به الهَوَى، مَن قالَ في القرآن قولاً يُوافِقُ هواه، لم يأخُذْه عن أَئمَّةِ السَّلَف، فأصابَ، فقد أخطأ، لِحُكمه على القرآن بما لا يعرفُ أصلَه، ولا يقفُ على مذاهب أهلِ الأثر والنَّقل فيه.

وقال ابنُ عطية: ومعنى هذا أَن يُسأَل الرجلُ عن معنًى من[٦] كتاب الله عزَّ وجلَّ،

---

(١) سنن الترمذي (٢٩٥١) وقال: حديث حسن. وفيه: «اتقوا الحديث عني...». وهو في المسند برقم (٢٩٧٤). وسيذكره المصنف مختصراً ص ١٢٦. وقوله: «مَن كَذَبَ عليَّ متعمِّداً، فليتبوأ مقعدَه من النار» من الأحاديث المتواترة. فتح الباري ١/ ٢٠٣، والأزهار المتناثرة (٢).

(٢) هو جندب بن عبد الله بن سفيان، أبو عبد الله البجلي العلقي، الصحابي، نزل الكوفة والبصرة، وعاش إلى حدود سنة (٧٠هـ). السير ٣/ ١٧٤.

(٣) في (د): بالقرآن.

(٤) سنن الترمذي (٢٩٥٢)، وسنن أبي داود (٣٦٥٢)، وفي إسناده سهيل بن أبي حزم (مِهران أبو عبد الله) القُطَعي، ضعَّفه البخاري وأبو حاتم الرازي والنسائي.

(٥) هو إبراهيم بن هَرْمة القُرشي، من شعراء الدولتين. الأموية والعباسية. السير ٦/ ٢٠٧، والبيت في ديوانه ص٥٧. وأورده الخليل في العين ٨/ ٤١١، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة ١/ ٣١٢ باب الباء والواو (بوأ)، وابن منظور في اللسان (بوأ).

(٦) في (م): في.

فَيَتَسوَّرَ[١] عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماءُ، واقتَضَته قوانينُ العلم، كالنحو والأصول. وليس يدخلُ في هذا الحديث أن يُفسِّرَ اللغويون لغتَه، والنَّحويون نحوَه، والفقهاءُ معانيَه، ويقولَ كلٌّ واحد باجتهاده المبنيِّ على قوانينِ علم ونَظَر، فإنَّ القائلَ على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرَّدِ رأيِه[٢].

قلتُ: هذا صحيحٌ. وهو الذي اختاره غيرُ واحد من العلماء، فإنَّ مَن قال فيه بما سَنَحَ في وَهمه، وخَطَر على باله، من غير استدلال عليه بالأصول، فهو مخطىءٌ، وإنَّ مَنِ استَنبَطَ معناه بحَملِهِ على الأصول المُحكَمَةِ المتَّفَقِ على معناها، فهو ممدوحٌ.

وقال بعضُ العلماء: إنَّ التفسيرَ موقوفٌ على السماع، لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وهذا فاسدٌ، لأن النهيَ عن تفسير القرآن لا يَخلُو: إمَّا أن يكونَ المرادُ به الاقتصارَ على النقل والمسموع، وتَركَ الاستنباط، أو المرادُ به أمراً آخرَ. وباطلٌ أن يكونَ المرادُ به ألا يَتَكلَّمَ أحدٌ في القرآن إلا بما سَمِعَه، فإنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم قد فسَّروا[٣] القرآنَ، واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كلُّ ماقالوه سمعوه من النبيِّ ﷺ، فإنَّ النبيَّ ﷺ دعا لابن عباس، وقال: «اللَّهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ، وعَلِّمْهُ التأويلَ»[٤]. فإن كان التأويلُ مسموعا كالتنزيل، فما فائدةُ تخصيصه بذلك ؟! وهذا بيِّنٌ لا إشكالَ فيه، وسيأتي لهذا مزيدُ بيان في سورة النساء إن شاء الله تعالى[٥].

وإنما النَّهيُ يُحمَلُ على أحدِ وجهين:

أحدهما: أن يكونَ له في الشيء رأيٌ، وإليه مَيلٌ من طبعه وهواه، فيتأوَّلَ القرآنَ على وَفقِ رأيِه وهواه، ليحتجَّ على تصحيح غرضه، ولو لم يكُن له ذلك الرأيُ والهوى، لكان لا يلوحُ له من القرآن ذلك المعنى.

---

(١) في (ظ): فيتبور.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٤١.

(٣) في (م): قرؤوا.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٣) دون قوله: «وعلمه التأويل»، من حديث ابن عباس، وأخرجه مسلم من حديثه (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فَقِّهْهُ»، وأخرجه بتمامه أحمد (٢٣٩٧).

(٥) في تفسير الآية المذكورة منها.

وهذا النوعُ يكون تارةً مع العلم، كالذي يحتجُّ ببعض آياتِ القرآنِ على تصحيح بِدعَتِه، وهو يعلمُ أن ليس المرادُ بالآية ذلك، ولكنَّ مقصودَه أن يَلبِسَ على خَصمِه. وتارة يكونُ مع الجهل، وذلك إذا كانت الآيةُ مُحتمِلة، فيميلُ فهمُه إلى الوجه الذي يوافقُ غَرَضَه، ويُرجِّحُ ذلك الجانبَ برأيه وهواه، فيكون قد فسَّر برأيه، أي رأيُه حملَه على ذلك التفسير، ولولا رأيُه لما كان يترجَّح عنده ذلك الوجهُ. وتارة يكون له غرضٌ صحيح، فيطلبُ له دليلاً من القرآن، ويستدلُّ عليه بما يَعلم أنه ما أُريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي، فيقول: قال الله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه، ويومئُ إلى أنه المرادُ بفرعون.

وهذا الجنسُ قد يستعملُه بعضُ الوعَّاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام، وترغيباً للمستمع، وهو ممنوعٌ، لأنه قياسٌ في اللغة، وذلك غيرُ جائز. وقد تستعملُه الباطنيَّةُ في المقاصد الفاسدة، لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينزِّلون القرآنَ على وَفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غيرُ مُرادَة. فهذه الفنونُ أحدُ وَجهَي المنع من التفسير بالرأي.

الوجه الثاني: أن يتسارعَ إلى تفسير القرآنِ بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلقُ بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المُبهَمَةِ والمُبدَلة، وما فيه من الاختصار، والحذفِ والإضمار، والتقديم والتأخير، فمن لم يُحكِم ظاهرَ التفسير، وبادرَ إلى استنباط المعاني بمجرَّد فَهمِ العربية، كَثُرَ غَلَطُه، ودخلَ في زُمرةِ مَن فَسَّر القرآنَ بالرأي.

والنقلُ والسماع لابُدَّ له منه في ظاهر التفسير أوَّلاً ليتَّقيَ به مواضعَ الغَلَط، ثم بعد ذلك يتَّسعُ الفهمُ والاستنباط.

والغرائبُ التي لا تُفهم إلا بالسماع كثيرةٌ، ولا مَطمَعَ في الوصول إلى الباطن قبلَ إحكام الظاهر، ألا ترى أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] معناه: آية مُبصِرَة، فظلموا أنفسَهم بقتلها. فالناظرُ إلى ظاهر العربية يظنُّ أنَّ المرادَ به أنَّ الناقةَ كانت مُبصِرة، ولا يدري بماذا ظلمُوا، وأنهم ظلموا غيرَهم وأنفسَهم، فهذا من الحذف والإضمار. وأمثالُ هذا في القرآن كثيرٌ، وما عدا هذين الوجهين، فلا يتطرَّقُ النهيُ إليه. والله أعلم.

قال ابن عطية[١]: وكان جِلَّةٌ من السلف الصالح، كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبيِّ، وغيرِهما، يُعظِّمُون تفسيرَ القرآن، ويتوقَّفُون عنه تورُّعاً، واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم وتقدُّمهم.

قال أبو بكر الأنباريُّ: وقد كان الأئمةُ من السلف الماضي يتورَّعون عن تفسير المُشكِلِ من القرآن، فبعضٌ يُقَدِّرُ أنَّ الذي يُفسِّرُه لا يوافقُ مُرادَ الله عزَّ وجلَّ، فَيُحجِمُ عن القول. وبعضٌ يُشفِقُ من أن يُجعَلَ في التفسير إماماً يُبنَى على مذهبه، ويُقتفَى طريقُه، فلعلَّ متأخِّراً أن يُفسِّرَ حرفاً برأيه، ويُخطىءَ فيه، ويقولَ: إمامي في تفسير القرآن بالرأي فلانٌ الإمامُ من السَّلَف.

وعن ابن أبي مُلَيكَةَ قال: سُئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير حرف من القرآن، فقال: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني، وأيُّ أرض تُقِلُّني، وأين أذهَبُ، وكيف أصنعُ، إذا قلتُ في حرف من كتاب الله بغير ما أرادَ تبارك وتعالى[٢].

قال ابنُ عطية: وكان جِلَّةٌ منَ السَّلَف كثيرٌ عددُهم يُفَسِّرون القرآنَ، وهم أبْقَوْا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم. فأما صَدرُ المفسِّرين والمؤيَّد فيهم، فعليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه، ويتلُوه عبدُ الله بنُ عباس، وهو تَجرَّدَ للأمر وكمَّله، وتَبِعَهُ[٣] العلماءُ عليه، كمجاهد، وسعيد بنِ جُبير، وغيرِهما. والمحفوظُ عنه في ذلك أكثرُ من المحفوظ عن عليٍّ. وقال ابنُ عباس: ما أخذتُ من تفسير القرآن، فعن عليِّ بن أبي طالب. وكان عليٌّ رضي الله عنه يُثنِي على تفسير ابنِ عباس، ويَحُضُّ على الأخذِ منه[٤]، وكان ابنُ مسعود[٥] يقول: نِعم تَرجَمانُ القرآنِ عبدُ الله بنُ عباس[٦]. وقال عنه عليٌّ رضي الله عنه: ابنُ عباس؛ كأنما ينظرُ إلى الغَيب من سِتر رقيق.

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٤١.

(٢) أورده البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٧٩)، وهو منقطع. ابن أبي مُليكة ـ وهو عبد الله بن عبيد الله ـ ليس له رواية عن أبي بكر.

(٣) في (د): وتفقه.

(٤) في (م): عنه.

(٥) في (م): ابن عباس، وهو خطأ.

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٦٦، والطبري في تهذيب الآثار (٢٦٨) (مسند ابن عباس).

ويتلوه عبدُ الله بنُ مسعود، وأُبَيُّ بنُ كَعب، وزيدُ بنُ ثابت، وعبدُ الله بنُ عَمرو بنِ العاص. وكلٌّ ما أُخِذَ عن الصحابة، فَحَسنٌ مقدَّمٌ[١]، لشهودهم التنزيلَ، ونزولِهِ بلغتهم.

وعن عامر بن واثلةَ[٢] قال: شَهِدتُ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه يخطُبُ، فسمعتُه يقولُ في خُطبته: سلوني، فوالله، لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتُكم به، سلُوني عن كتاب الله، فوالله، ما من آية إلا أنا أعلمُ أبِلَيلٍ نزلَت أم بنهار، أم في سَهلٍ نزلَت أم في جَبَل، فقامَ إليه ابنُ الكَوَّاء، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما الذَّاريات ذَرْواً ؟ وذكر الحديث[٣].

وعن المِنهال بن عمرو قال: قال عبدُ الله بنُ مسعود: لو أعلمُ أحداً أعلمَ بكتاب الله مني تَبلُغُه المَطِيُّ، لأتيتُه، فقال له رجلٌ: أما لَقِيتَ عليَّ بنَ أبي طالب ؟ فقال: بلى، قد لَقِيتُه[٤].

وعن مسروق قال: وجدتُ أصحابَ محمد ﷺ مِثلَ الإخاذ: يُروِي الواحدَ، والإخاذُ يُروِي الاثنين، والإخاذُ لو وردَ عليه الناسُ أجمعون لأَصْدَرَهُم، وإنَّ عبدَ الله بنَ مسعود من تلك الإخاذ[٥]. ذكر هذه المناقبَ أبو بكر الأنباريُّ في كتاب «الرَّدّ»، وقال: الإخاذُ عند العرب: الموضع الذي يَحبِسُ الماءَ، كالغدير.

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٤١.

(٢) هو أبو الطفيل الليثي، الكناني، الحجازي، آخر من رأى النبي ﷺ في حجة الوداع، توفي بمكة سنة (١١٠هـ). السير ٣/ ٤٦٧.

(٣) أخرجه بتمامه ومختصراً عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٤١، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٣٨، والطبري في التفسير ٢١/ ٤٨١، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧، والضياء المقدسي في المختارة ٢/ ١٧٦. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ابن الكوَّاء: هو عبد الله؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ٣/ ٣٢٩: له أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويُعيِيه في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج، وعاود صحبة علي.

(٤) قوله: عن المنهال بن عمرو قال: قال عبد الله، فيه نظر، فقد ذكر ابن سعد الخبر في الطبقات ٦/ ٢٠٢ وقال: المنهال، وليس بابن عمرو، سمع عبد الله يقول: لو أن أحداً أعلم... فذكره. والمنهال بن عمرو، من رجال البخاري وأصحاب السنن، وروايته عن كبار التابعين. وقد أخرج الخبر بأتم منه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣) من طريق مسروق، عن عبد الله، دون ذكر الرجل.

(٥) قال ابن الأثير في النهاية: جمعهُ أُخُذ، مثل كتاب وكتب، وقيل: هو جمع الإخاذة. قال: يعني أن فيهم الصغير والكبير، والعالم والأعلم.

قال أبو بكر: حدثنا أحمدُ بنُ الهيثم بن خالد، حدثنا أحمدُ بنُ عبد الله بن يونس، حدثنا سلَّام، عن زيدٍ العَمِّي، عن أبي الصدِّيق الناجي، عن أبي سعيد الخُدريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أرحمُ أمتي بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأقضاهم عليٌّ، وأفرضُهم زيدٌ، وأقرؤهم لكتاب الله عزّ وجلّ أُبَيُّ بن كعب، وأعلمُهم بالحلال والحرام معاذُ بن جَبَل، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح، وأبو هريرةَ وِعاءٌ من العلم، وسلمانُ بحرٌ من علم لا يُدرَك، وما أظَلَّتِ الخَضْراءُ، ولا أقلَّتِ الغَبْراءُ ـ أو قال: البطحاء ـ من ذي لَهجَة أصدَقَ من أبي ذرٍّ»[1].

قال ابن عطية: ومن المبرِّزين في التابعين: الحسنُ البصريُّ، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جُبير، وعَلقَمَةُ. قرأ مجاهدٌ على ابنِ عباس قراءةَ تَفَهُّمٍ، ووقوفٍ عند كلِّ آية. ويتلوهم عِكرمةُ، والضَّحَّاكُ، وإن كان لم يلقَ ابنَ عباس، وإنما أخَذَ عن ابنِ جُبير. وأما السُّدِّي[2]، فكان عامرٌ الشَّعبِيُّ يَطعُنُ عليه، وعلى أبي صالح، لأنه كان يراهما مُقَصِّرَيْنِ في النَّظَر[3].

---

(١) في هذا الحديث تفصيل، فإن إسناده ضعيف جدا. سلَّام ـ وهو ابنُ سَلْم الطويل ـ متروك الحديث، وزيد العَمِّي ضعيف. وقد أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» ٢/ ١٥٩ من طريق سلام بالإسناد الذي أورده المصنف. وقوله منه: «أرحم أمتي بها أبو بكر...» إلى قوله: «وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»: أخرجه أحمد (١٢٩٠٤)، والترمذي (٣٧٩١) (دون قوله: وأقضاهم علي)، وابن ماجه (١٥٤) (١٥٥) من حديث أنس بن مالك. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقوله منه: «وما أظلَّت الخضراء...»: أخرجه أحمد (٦٥١٩)، والترمذي (٣٨٠١) وحسَّنه، وابن ماجه (١٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه أيضاً أحمد (٢١٧٢٦) و(٢٧٤٩٣) من حديث أبي الدرداء. وأما قوله: «وأبو هريرة وعاء من العلم، وسلمانُ بحر من علم لا يُدرك» فضعيف.
وقد أخرج البخاري (٢٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩) من حديث أنس مرفوعاً: «إنَّ لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح». وانظر ما ذكره البيهقي في السنن ٦/ ٢١٠، والحافظ ابن حجر في الفتح ٧/ ٩٣ حول وصل الحديث وإرساله. وقد أخرج البخاري (٤٤٨١) عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: أقرؤنا أُبيّ، وأقضانا علي.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد الحجازي، وهو السُّدِّي الكبير، المفسِّر، مات سنة (١٢٧هـ) السير ٥/ ٢٦٤.

(٣) المحرَّر الوجيز ١/ ٢٤. أبو صالح: هو باذام ـ ويقال: باذان ـ مولى أم هانئ بنت أبي طالب.

قلتُ: وقال يحيى بن مَعِين[١]: الكَلبيُّ[٢] ليس بشيء. وعن يحيى بن سعيد القَطَّان[٣]، عن سفيانَ قال: قال الكلبيُّ: قال أبو صالح: كلُّ ما حدَّثتُك كَذِبٌ. وقال حَبِيبُ بنُ أبي ثابت: كنا نسميه الدرُوغزَن[٤]. يعني أبا صالح مولى أمِّ هانىء. والدرُوغزَن: هو الكذابُ بلغة الفُرس.

ثم حمل تفسيرَ كتاب الله تعالى عدولُ كلِّ خَلَف، كما قال ﷺ: «يَحمِلُ هذا العِلمَ مِن كُلِّ خَلَف عُدُولُه، يَنفُونَ عنه تَحرِيفَ الغالِين، وانْتِحالَ المُبْطِلِين، وتأويلَ الجاهلين». خرَّجه أبو عمر وغيره[٥].

قال الخطيبُ أبو بكر أحمدُ بن علي البغدادي[٦]: وهذه شهادةٌ من رسول الله ﷺ بأنهم أعلامُ الدِّين، وأئمةُ المسلمين، لحفظهم الشريعةَ من التحريفِ، والانتحالِ للباطل، وردِّ تأويل الأبلَهِ الجاهلِ، وأنه يجبُ الرجوعُ إليهم، والمعوَّلَ في أمر الدِّين عليهم، رضي الله عنهم.

قال ابن عطية: وألَّفَ الناسُ فيه، كعبدِالرزاق[٧]، والمُفَضَّل[٨]، وعليِّ بن أبي طلحة[٩]،

---

(١) أبو زكريا، البغدادي، الحافظ، المجتهد، مات في طريق الحج سنة (٢٣٣هـ). السير ١١/ ٧١.

(٢) محمد بن السائب بن بشر، أبو النضر الكوفي، النسَّابة المفسر. قال ابن عدي في الكامل: رضُوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير.

(٣) التميمي البصري، أمير المؤمنين في الحديث، مات سنة (١٩٨هـ). السير ٩/ ١٧٥.

(٤) في (ظ): الدروغي. وهي نسبة إلى دروغ، بالفارسية، وتعني الكذب، ولم تجود اللفظة في (د) و(ز)، والمثبت من (م).

(٥) أخرجه أبو عمر بن عبد البر في التمهيد ١/ ٥٩، والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص١١ و٢٩ من حديث أبي هريرة وغيره، ونقل الخطيب البغدادي تصحيحه عن الإمام أحمد.

(٦) صاحبُ تاريخ بغداد وغيره من التصانيف، التي بلغَ عددُها ستة وخمسين مصنفاً. توفي سنة (٤٦٣هـ). سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠.

(٧) هو ابنُ همَّام، أبو بكر الصنعاني، صاحب المصنف، توفي سنة (٢١١هـ). ذكره الداودي في طبقات المفسرين ١/ ٢٩٦، وترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٣.

(٨) هو ابنُ سَلَمة، أبو طالب، توفي بعد التسعين ومئتين، ذكره الداودي في طبقات المفسرين ٢/ ٣٢٨، وله ترجمة في السير ١٤/ ٣٦٢.

(٩) قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب: روى عن ابن عباس، ولم يسمع منه، وقال: نقل البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح، عنه، عن ابن عباس شيئاً كثيراً في التراجم وغيرها، ولكنه لا يسميه. مات سنة (١٤٣هـ).

والبخاري، وغيرهم. ثم إنَّ محمد بنَ جَرِير رحمه الله، جَمَعَ على الناس أشتاتَ التفسير، وقَرَّبَ البعيدَ منها، وشَفَى في الإسناد. ومن المُبَرِّزين من المتأخرين أبو إسحاق الزَّجَّاج[١]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[٢]. وأما أبو بكر النقَّاشُ[٣]، وأبو جعفر النحاسُ[٤]، فكثيراً ما استدركَ الناسُ عليهما. وعلى سَنَنِهِما مكيُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه. وأبو العباس المَهدَوِيّ[٥] متقنُ التأليف، وكلُّهم مجتهدٌ مأجورٌ، رحمهم الله، ونَضَّرَ وجوهَهم[٦].

باب تبيين الكتاب بالسنة، وما جاء في ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وفَرَضَ طاعتَه في غير آية من كتابه، وقَرَنَها بطاعته عزَّ وجلَّ، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

ذكر ابنُ عبد البَرِّ في كتاب «العلم» له، عن عبد الرحمن بن يزيد[٧]: أنه رأى مُحْرِماً عليه ثيابُه، فنهى المُحرِمَ، فقال: ايتني بآية من كتاب الله تَنزِعُ ثيابي، قال:

---

(١) إبراهيم بن محمد بن السري البغدادي، النحوي، صاحب التصانيف، منها معاني القرآن. مات سنة (٣١١هـ)، ذكره الداودي في طبقات المفسرين ١/ ٧، وترجمته في السير ١٤/ ٣٦٠.

(٢) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، صاحب الحجة وغيره من التصانيف، مات سنة (٣٧٧هـ). السير ١٦/ ٣٧٩.

(٣) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي، له شفاء الصدور في التفسير، مات سنة (٣٥١هـ)، ذكره الداودي في طبقات المفسرين ٢/ ١٣١.

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب إعراب القرآن وغيره من التصانيف، مات سنة (٣٣٨هـ)، أورده الداودي في طبقات المفسرين ١/ ٦٨، وله ترجمة في السير ١٥/ ٤٠١.

(٥) أحمد بن عمار المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، توفي بعد (٤٣٠هـ). ذكره الداودي في طبقات المفسرين ١/ ٥٢.

(٦) المحرر الوجيز١/ ٤٢.

(٧) النخعي، الفقيه، حدث عن عمر وعثمان، وثقه ابن معين، مات بعدالثمانين وقد شاخ. السير ٤/ ٧٨.

فقرأ عليه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. وعن هشام بنِ حُجَير[١] قال: كان طاوسٌ[٢] يُصَلِّي ركعتين بعدَ العصر، فقال ابنُ عباس: اترُكهُما، فقال: إنما نهى عنهما أنْ تُتَّخَذا سنة، فقال ابن عباس: قد نهى رسولُ الله ﷺ عن صلاة بعدَ العصر، فلا أدري، أتُعَذَّبُ عليهما[٣] أم تُؤجَرُ؟ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦][٤].

وروى أبو داودَ، عن المِقدام بن مَعدِي كَرِب[٥]، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا وإني قد أُوتِيتُ الكتابَ ومثلَه مَعَه، ألا يُوشِكُ رجلٌ شَبعانُ على أريكَتِهِ يقول: عليكُم بهذا القرآن، فما وَجَدتُم فيه من حلالٍ، فأحِلُّوه، وما وَجَدتُم فيه من حرام، فحَرِّمُوه، ألا لا يَحِلُّ لكم[٦] الحمارُ الأهليُّ، ولا كُلُّ ذي ناب من السِّباع، ولا لُقَطَةُ معاهَد إلا أن يَستغنيَ عنها صاحبُها، ومَن نَزَلَ بقوم فعليهم أن يَقرُوه، فإن لم يَقرُوه، فله أن يُعقِبَهم بمثلِ قِراهُ»[٧].

قال الخطابي[٨]: قوله: «أُوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه»: يَحتَمِلُ وجهَين من التأويل:

أحدُهما: أن معناه: أنه أُوتِيَ من الوَحي الباطنِ غيرِ المتلوِّ مثلَ ما أُعطيَ من الظاهر المتلوِّ.

والثاني: أنه أُوتِيَ الكتابَ وَحياً يُتلَى، وأُوتِيَ من البيانِ مثلَه، أي: أُذِنَ له أن يُبَيِّنَ ما في الكتاب، فيَعُمَّ ويَخُصَّ، ويزيدَ عليه، ويُشَرِّعَ ما [ليس له] في الكتاب [ذكرٌ]، فيكونَ [ذلك] في وجوب العمل به، ولزوم قبوله، كالظاهر المتلوِّ من القرآن.

---

(١) المكي، ضعّفه جماعة، وقوّاه آخرون، وروى له البخاري ومسلم. تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٧.

(٢) ابن كيسان، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني، الحافظ، الفقيه، مات سنة (١٠٦هـ). السير ٥/ ٣٨.

(٣) في (ظ): عليها.

(٤) جامع بيان العلم ص٤٩٢.

(٥) الصحابي، يكنى أبا كريمة، وقيل غير ذلك، نزيل حمص، توفي سنة (٨٧هـ). السير ٣/ ٤٢٨.

(٦) في (د): لكم أكل.

(٧) سنن أبي داود (٤٦٠٤)، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند(١٧١٧٤).

(٨) في معالم السنن ٤/ ٢٩٨، وما بين حاصرتين منه.

وقوله: «يُوشِكُ رجلٌ شبعانُ» الحديث. يُحَذِّرُ بهذا القول من مخالفة السُّنن التي سَنَّها[١] مما ليس له في القرآن ذِكر، على ما ذهبت إليه الخوارجُ والروافضُ، فإنهم تعلَّقوا بظاهرِ القرآن، وتركوا السننَ التي قد ضَمَّنَت بيانَ الكتاب. قال: فتحيَّروا وضلُّوا. قال: والأريكةُ: السرير، ويقال: إنه لا يُسَمَّى أريكةً حتى يكون في حَجَلة[٢]. قال: وإنما أرادَ بالأريكة[٣] أصحابَ التَّرفُّهِ والدَّعَةِ، الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العِلمَ من مظانِّه.

وقوله: «إلا أن يستغنيَ عنها صاحبُها» معناه: أن يتركَها صاحبُها لمن أخَذَها؛ استغناءً عنها، كقوله: ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ [التغابن: ٦]. معناه: تركَهم اللهُ استغناءً عنهم.

وقوله: «فله أن يُعْقِبَهُم بمثل قِراهُ». هذا في حال المضطرِّ الذي لا يجد طعاماً، ويخافُ التَّلَفَ على نفسه، فله أن يأخذَ من مالهم بِقَدرِ قِراه عِوَضَ ما حَرَمُوه من قِراه. و«يُعقِبُهم» يُروى مُشدَّداً ومُخفَّفاً، من المعاقبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦] أي: فكانت الغلبةُ لكم، فغنمتُم منهم، وكذلك لهذا أن يغنمَ من أموالهم بقَدرِ قِراه[٤].

قال: وفي الحديث دَلالةٌ على أنه لا حاجةَ بالحديث إلى أن يُعرَضَ على الكتاب، فإنه مهما ثبتَ عن رسول الله ﷺ كان حجةً بنفسه. قال: فأما ما رواه بعضُهم أنه قال: «إذا جاءكم الحديثُ، فاعْرِضُوه على كتاب الله، فإن وافقَه، فخذُوه، وإن لم يُوافقه، فرُدُّوه»، فإنه حديثٌ باطلٌ، لا أصلَ له[٥].

---

(١) في (د): بيّنها.

(٢) في مختار الصحاح: الحَجَلة ـ بفتحتين ـ واحدة حِجال العروس، وهي بيت يُزيَّنُ بالثياب والأسرَّة والستور.

(٣) في معالم السنن ٤/٢٩٨: وإنما أراد بهذه الصفة. وهو الأشبه.

(٤) من قوله: ويعقبهم يروى مشددا ومخففا، إلى هذا الموضع، ليس في المعالم.

(٥) إلى هذا الموضع من كلام الخطابي في المعالم، ونقل بعده عن ابن معين قوله: هذا حديث وضعته الزنادقة. اهـ وقال الشافعي في الرسالة (٦١٨): ما روى هذا أحدٌ يثبت حديثُه في شيء صغر ولا كبر، وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٤٩٥: هذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، ونقل عن عبد الرحمن بن مهدي قوله: الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث.

ثم البيانُ منه ﷺ على ضربين: بيانٌ لمُجمَل في الكتاب، كبيانه للصَّلوات الخمس، في مواقيتها، وسجودِها وركوعِها، وسائرِ أحكامِها، وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتِها، وما الَّذي تُؤخَذُ منه من الأموال، وبيانِه لمناسِك الحجِّ؛ قال ﷺ إذ حَجَّ بالناس: «خُذُوا عَنِّي مَناسِكَكُم»[(١)]. وقال: «صلُّوا كما رأيتُموني أصلِّي». أخرجه البخاريُّ[(٢)].

وروى ابنُ المبارك، عن عِمرانَ بن حُصَين أنه قال لرجل: إنكَ امرؤٌ[(٣)] أحمقُ، أتجد الظُّهر في كتاب الله أربعاً، لا يُجهر فيها بالقراءة؟! ثم عدَّدَ عليه الصلاةَ والزكاةَ، ونحوَ هذا، ثم قال: أتجدُ هذا في كتاب الله مفسَّراً؟! إنَّ كتابَ الله تعالى أَبهمَ هذا، وإن السُّنةَ تفسِّر هذا.

وروى الأوزاعيُّ[(٤)]، عن حسانَ بن عطيَّةَ[(٥)] قال: كان الوحيُ ينزلُ على رسول الله ﷺ، ويحضرُه جبريلُ بالسُّنَّة التي تفسِّرُ ذلك.

وروى سعيدُ بنُ منصور[(٦)]: حدثنا عيسى بنُ يونُسَ، عن الأوزاعيِّ، عن مكحول قال: القرآنُ أحوجُ إلى السُّنَّة من السُّنَّة إلى القرآن.

وبه عن الأوزاعيِّ، قال: قال يحيى بنُ أبي كثير[(٧)]: السُّنةُ قاضيةٌ على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السُّنَّة. قال الفضلُ بنُ زياد[(٨)]: سمعتُ أبا عبد الله ـ يعني أحمدَ بن حَنبل ـ وسُئلَ عن هذا الحديث الذي رُوي أن السُّنَّةَ قاضيةٌ على الكتاب،

---

(١) من قوله: ثم البيان منه ﷺ على ضربين... إلى هذا الموضع، من كلام ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٤٩٤ ـ ٤٩٥. والحديث أخرجه أحمد في المسند (١٤٤١٩)، ومسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بلفظ: «لتأخذوا مناسككم»، وأخرجه باللفظ الذي أورده المصنف البيهقيُّ في السنن ٥/ ١٢٥، وابن عبد البر في التمهيد ٧/ ٢٧٢.

(٢) صحيح البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث، وهو في المسند (٢٠٥٣٠).

(٣) في (م): رجل.

(٤) عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو، عالم أهل الشام، مات سنة (١٥٧هـ). السير ٧/ ١٠٧.

(٥) المحاربي، مولاهم، الدمشقي، الفقيه العابد، مات بعد سنة (١٢٠هـ). السير ٥/ ٤٦٦.

(٦) أبو عثمان الخراساني، أحد أئمة الحديث، له كتاب السنن، توفي سنة (٢٢٧هـ). السير ١٠/ ٥٨٦.

(٧) أبو نصر الطائي، مولاهم، اليمامي، الحافظ، توفي سنة (١٢٩هـ). السير ٦/ ٢٧.

(٨) أبو العباس القطان، البغدادي، من أصحاب الإمام أحمد، وله عنه مسائل جياد. طبقات الحنابلة للنابلسي ص١٨٥.

فقال: ما أجسُرُ على هذا أن أقولَه، ولكنِّي أقول: إن السُّنَّةَ تُفَسِّرُ الكتاب وتُبَيِّنُه[١].

وبيانٌ آخرُ: وهو زيادةٌ على حكم الكتاب، كتحريم نكاحِ المرأةِ على عَمَّتها وخالتها، وتحريمِ الحُمُرِ الأهليَّة، وكلِّ ذي ناب من السِّباع، والقضاءِ باليمين مع الشاهِد، وغير ذلك، على ما يأتي بيانُه إن شاء الله تعالى.

باب كيفية التعلُّم والفِقهِ بكتاب اللهِ تعالى، وسنَّةِ نبيِّهِ ﷺ، وما جاء أنَّه سَهُلَ على مَن تَقَدَّمَ العملُ به دونَ حفظِه

ذكر أبو عَمرو الدَّاني[٢] في كتاب «البيان» له بإسناده، عن عثمانَ وابنِ مسعود وأُبَيٍّ، أنَّ رسول الله ﷺ كان يُقرِئُهم العَشر، فلا يُجاوِزُونها إلى عَشر أخرى حتى يَتَعَلَّموا ما فيها من العمل، فيعلِّمُنا[٣] القرآنَ والعمَلَ جميعاً[٤].

وذكر عبدُ الرزَّاق، عن مَعمَر، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميِّ قال: كنا إذا تَعَلَّمنا عَشْرَ آياتٍ مِنَ القُرآن، لم نتعلَّم العَشْرَ التي بعدَها حتى نعرفَ حلالَهاوحرامَها، وأمْرَها ونَهْيَها[٥].

وفي «موطأ» مالك: أنه بلغَه أنَّ عبدَ الله بنَ عمر مكثَ على سورة البقرة ثماني سنينَ يتعلَّمُها[٦].

وذكر أبو بكر أحمدُ بنُ عليِّ بن ثابت الحافظُ[٧] في كتابه المسمى[٨]: «أسماء مَن

---

(١) من قوله: وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين... إلى هذا الموضع، من كلام ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٤٩٥ ـ ٤٩٦.

(٢) هو عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي مولاهم، الأندلسي، ثم القرطبي ثم الداني، إليه المنتهى في تحرير علم القراءات، مصنف التيسير وجامع البيان وغير ذلك. توفي سنة (٤٤٤هـ). السير ١٨/ ٧٧.

(٣) في (ز) و(ظ): فتعلمنا.

(٤) أخرج الحاكم في المستدرك ١/ ٥٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٥٣) عن ابن مسعود قال: كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر التي أنزلت بعدها حتى نتعلم مافيه. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) مصنف عبد الرزاق (٦٠٢٧).

(٦) الموطأ١/ ٢٠٥.

(٧) هو الخطيب البغدادي، وكتابه المذكور «الرواة عن مالك» ذكره الذهبي في السير ١٨/ ٢٩٠.

(٨) في النسخ الخطية: المسمى في ذكر، والمثبت من (م).

رَوى عن مالك»: عن مِرْدَاس بنِ محمد أبي بلال الأشعريِّ[١] قال: حدثنا مالكٌ، عن نافع، عن ابن عمرَ قال: تَعَلَّمَ عُمرُ البقرةَ في اثنتي عشرةَ سنة، فلما ختمَها، نَحَر جَزُوراً[٢].

وذكر أبو بكر الأنباريُّ: حدثني محمدُ بنُ شَهْرَيار، حدثنا حسينُ بنُ الأسود[٣]، حدثنا عُبيد الله بنُ موسى، عن زياد بن أبي مسلم أبي عمر[٤]، عن زياد بن مِخراق قال: قال عبدُ الله بنُ مسعود: إنَّا صَعُبَ علينا حفظُ القرآن[٥]، وسَهُلَ علينا العملُ به، وإنَّ مَن بَعدَنا يَسهُلُ عليهم حِفْظُ القرآن، ويَصعُبُ عليهم العملُ به.

حدثنا إبراهيمُ بنُ موسى، حدثنا يوسفُ بنُ موسى، حدثنا الفَضْلُ بنُ دُكَيْن، حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بن المهاجر، عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: كان الفاضلُ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظُ من القرآن إلا السورةَ، أو نحوَها، ورُزِقُوا العملَ بالقرآن، وإنَّ آخِرَ هذه الأمةِ يقرؤونَ القرآنَ، منهم الصبيُّ والأعجمي[٦]، ولا يُرزَقونَ العملَ به[٧].

حدثني حسنُ بنُ عبد الوهَّاب أبو محمد بن أبي العنبر، حدثنا أبو بكر بنُ حماد المقرئُ، قال: سمعتُ خَلَفَ بنَ هشام البزَّار يقول: ما أظنُّ القرآنَ إلا عاريَّةً في أيدينا، وذلك أنا روينا أن عمرَ بنَ الخطاب حفظَ البقرةَ في بضعَ عَشْرةَ سنة، فلما حَفِظَها، نَحَرَ جَزُوراً شكراً لله، وإن الغلامَ في دهرنا هذا يجلسُ بين يديَّ، فيقرأُ ثُلُثَ القرآن، لا يُسقِطُ منه حرفاً، فما أحسبُ القرآنَ إلا عاريَّةً في أيدينا.

---

(١) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٥٠٧ وقال: ضعفه الدارقطني.

(٢) وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان (١٩٥٧).

(٣) هو الحسين بن علي بن الأسود، نسبه إلى جدِّه. قال الحافظ في التقريب: صدوق يخطىء كثيراً.

(٤) في النسخ و(م): أبي عمرو، والتصويب من تهذيب الكمال، وهو زياد بن مسلم أو ابن أبي مسلم أبو عُمر الفراء البصري، صدوق فيه لين.

(٥) في (م): ألفاظ القرآن.

(٦) في (م): والأعمى.

(٧) وأخرجه الآجري في أخلاق حملة القرآن (٣٥). إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر وأبوه ضعيفان.

وقال أهلُ العلم بالحديث: لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصرَ على سماع الحديث وكَتبِه، دونَ معرفتِه وفَهمِه، فيكون قد أتعبَ نفسَه من غير أن يظفَرَ بطائل، وليكُن تَحفُّظُه للحديث على التدريج، قليلاً قليلاً مع الليالي والأيام.

وممن وردَ عنه ذلك من حفَّاظ الحديث: شعبةُ، وابنُ عُلَيَّة[١]، ومَعمَرٌ[٢]. قال مَعمَرٌ: سمعتُ الزُّهريَّ[٣] يقولُ: مَن طَلَبَ العِلمَ جُملةً، فاتَهُ جُملةً، وإنما يُدرَك العلمُ حديثاً وحديثين[٤]، والله أعلم.

وقال معاذُ بنُ جَبَل: اعلموا ماشئتُم أن تعلموا، فلن يأجُرَكم الله بعلمه حتَّى تعمَلوا[٥].

وقال ابنُ عبد البَرِّ: ورُويَ عن النبيِّ ﷺ مثلُ قولِ معاذ من رواية عبَّاد بن عبد الصمد [عن أنس]. وفيه زيادة: إن العلماءَ هِمَّتُهم الدِّرايةُ[٦]، وإن السفهاءَ هِمَّتُهم الرِّوايةُ. ورُوي موقوفاً، وهو أولى من رواية من رواه مرفوعاً، وعبَّادُ بنُ عبد الصمد ليس ممن يُحتجُّ به[٧].

ولقد أحسنَ القائلُ في نظمه في فضل العلم، وشرفِ الكتابِ العزيز والسُّنة الغرَّاء فقال[٨]:

إنَّ العلومَ وإن جَلَّتْ مَحاسنُها ... فتاجُها ما به الإيمانُ قد وَجَبا

هو الكتابُ العزيزُ اللهُ يَحفَظُهُ ... وبعدَ ذلك عِلمٌ فَرَّجَ الكُرَبا

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم، أبو بشر الكوفي، الحافظ، وعُلَيَّة أمه. مات سنة (١٩٣هـ). السير ٩/ ١٠٧.

(٢) ابن راشد، أبو عروة، الأزدي، نزيل اليمن، الحافظ، توفي سنة (١٥٣هـ) السير ٧/ ٥.

(٣) هو محمد بن مسلم بن شهاب، أبو بكر القرشي، حافظ زمانه، توفي سنة (١٢٤هـ) السير ٥/ ٣٢٦.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٤٤٩).. (٤٥٣)، وجامع بيان العلم ص ١٣٨.

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٢)، والدارمي (٢٦٠)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٣٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ص٢٤٤.

(٦) في جامع بيان العلم ص٢٤٥: الوعاية.

(٧) جامع بيان العلم ص ٢٤٥، وما بين حاصرتين زيادة منه. عباد بن عبد الصمد؛ قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٩: واه، ونقل عن الشافعي قوله فيه: منكر الحديث، وذكر عن ابن حبان أن له عن أنس نسخة أكثرُها موضوعة.

(٨) قوله: فقال، من (ظ).

فذاك فاعلَم حديثَ المصطفى فَبِهِ ... نورُ النبوَّةِ سَنَّ الشَّرعَ والأدَبا
وبعدَ هذا علومٌ لا انتهاءَ لها ... فاختَر لنفسك يامَن آثَرَ الطَّلَبا
فالعلمُ كَنزٌ تَجِده في مَعادِنِه ... ياأيها الطالبُ ابحَث وانظُرِ الكُتُبا
واتلُ بفهمٍ كتابَ الله فيه أتَت ... كلُّ العلومِ تَدَبَّرْه تَرَ العَجَبا
واقرأ هُدِيتَ حديثَ المصطفى وَسَلَنْ[1] ... مولاكَ ماتَشتَهي يقضي لك الأَرَبا
مَن ذَاقَ طَعماً لِعِلمِ الدِّينِ سُرَّ به ... إذا تَزَيَّدَ منه قالَ واطَرَبا

باب معنى قولِ النبيِّ ﷺ:
«إنَّ هذا القُرآنَ أُنزِلَ على سَبعَةِ أحرُف، فاقرَؤوا ماتَيَسَّرَ منه»

رَوَى مسلمٌ عن أُبيِّ بنِ كَعب، أن النبيَّ ﷺ كان عند أَضاةِ بني غِفار، فأتاهُ جبريلُ عليه السلام، فقال: إنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أن تَقرَأَ أمَّتُكَ القرآنَ على حَرف، فقال: «أسأَلُ اللهَ مُعَافَاتَه ومَغفِرَتَهُ، وإنَّ أمَّتي لا تُطِيقُ ذلك». ثم أتاه الثانيةَ، فقال: إنَّ اللهَ يأمُرُكَ أن تَقرَأَ أمَّتُكَ القُرآنَ على حَرفَينِ، فقال: «أسألُ اللهَ مُعافاتَه ومَغفِرَتَهُ، وإنَّ أمَّتي لا تُطِيقُ ذلك». ثم جاءَه الثالثةَ، فقال: إن الله يأمُرُكَ أن تَقرَأَ أمَّتُك القُرآنَ على ثلاثة أحرف، فقال: «أسألُ الله معافاتَه ومَغفِرَتَهُ، وإنَّ أمَّتي لا تُطيقُ ذلك». ثم جاءَه الرابعة، فقال: إن الله يأمرُكَ أن تَقرَأَ أمَّتُكَ القُرآنَ على سَبعَةِ أحرُف، فأيُّما حَرف قرؤوا عليه، فقد أصابوا[2].

وروى الترمذيُّ عنه، قال: لَقِيَ رسولُ الله ﷺ جبريلَ، فقال: «ياجِبرِيلُ، إني بُعِثتُ إلى أمَّة أُمِّيَّة، منهم العجوزُ، والشيخُ الكبيرُ، والغُلامُ، والجاريةُ، والرجلُ الذي لا يقرأُ كتاباً قطُّ، فقال لي: يامحمدُ، إنَّ القرآنَ أُنزلَ على سبعة أحرف». قال: هذا حديثٌ حسن صحيحٌ[3].

وثبتَ في الأُمهات: البخاريِّ، ومسلم، والموطأ، وأبي داود، والنسائي،

---

(١) في (ز): ثم سل.

(٢) صحيح مسلم (٨٢١)، وهو في مسند أحمد (٢١١٧٢). قوله: أضاة بني غِفار؛ قال ابن الأثير في النهاية (أضى): الأضاة بوزن الحصاة: الغدير، وجمعها أضًى وإضاء، كأكَم وإكام.

(٣) سنن الترمذي (٢٩٤٤). ولفظة «حسن» ليست في (م).

وغيرها من المصنَّفات والمسنَدات، قصةُ عمرَ مع هشام بنِ حَكِيم[١]، وسيأتي بكماله في آخر الباب مبيَّناً إن شاء الله تعالى[٢].

وقد اختلف العلماءُ في المراد بالأحرف السَّبعة على خمسة وثلاثين قولاً، ذكرها أبو حاتم محمدُ بنُ حِبَّانَ البُستيُّ[٣]، نذكر منها في هذا الكتاب خمسةَ أقوال:

الأول: وهو الذي عليه أكثرُ أهل العلم، كسفيانَ بنِ عُيَينَة، وعبدِ الله بنِ وَهْب، والطَّبَريِّ، والطَّحاويِّ[٤]، وغيرِهم، أن المرادَ سبعةُ أوجُه مِنَ المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو: أقبِل، وتَعالَ، وهَلُمَّ[٥].

قال الطحاويُّ: وأَبيَنُ ماذُكِرَ في ذلك حديثُ أبي بَكرَةَ[٦] قال: جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: اِقرَأ على حَرف، فقال ميكائيل: اِستَزِدهُ، فقال: اِقرأ على حَرفَين، فقال ميكائيل: اِستَزِدهُ. حتى بلغَ إلى سبعة أحرف، فقال: اِقرأ، فكُلٌّ شافٍ كافٍ، إلا أن تَخلِطَ آيةَ رحمة بآيةِ عذاب، أو آيةَ عذاب بآية رحمة، على نحو: هَلُمَّ، وتَعالَ، وأقبِلْ، واذهَبْ، وأسرِعْ، وعَجِّلْ[٧].

وروى وَرقاءُ، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبي بن كعب أنه كان يقرأُ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣]: للذينَ آمنوا أَمهِلُونا، للذينَ آمنوا أَخِّرُونا، للذين آمنوا ارقُبُونا. وبهذا الإسناد عن أُبي، أنه كان يقرأ ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]: مَرُّوا فيه، سَعَوا فيه[٨].

---

(١) الصحابي ابن الصحابي حكيمِ بنِ حِزام، توفي أول خلافة معاوية. السير ٣/ ٥١.

(٢) ص ٨١، فصل في ذكر معنى حديث عمر وهشام، ونذكر تخريجه ثمة.

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح ٩/ ٢٣ ما أورده المصنف عن ابن حبان في عدد الأقوال في الأحرف السبعة، وقال: لم أقف على كلام ابن حبان في هذا بعد تتبعي مظانه من صحيحه.

(٤) هو أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر، الأزدي، الحافظ، له شرح مشكل الآثار ومعاني الآثار، وغير ذلك، مات سنة (٣٢١هـ) السير ١٥/ ٢٧.

(٥) تفسير الطبري ١/ ٤٥.

(٦) نُفيع بن الحارث، الثقفي، الطائفي، مولى النبيِّ ﷺ، وكان من فقهاء الصحابة. مات سنة (٥١هـ). السير ٣/ ٥.

(٧) شرح مشكل الآثار (٣١١٨). وفيه: اقرأه، بدل: اقرأ. وقد نقل المصنف كلام الطحاوي بواسطة ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٢٩٠.

(٨) التمهيد ٨/ ٢٩١.

وفي البخاري ومسلم: قال الزُّهريُّ: إنما هذه الأحرفُ في الأمر الواحد، ليس يختلفُ في حلال ولا حرام[١].

قال الطحاوي: إنَّما كانت السَّبعةُ[٢] للنَّاس في الحروفِ لعجزهم عن أخذِ القرآن على غير لُغاتِهم[٣]، لأنَّهم كانوا أمِّيِّين، لايكتبُ إلا القليلُ منهم، فلما كان[٤] يَشُقُّ على كل ذي لغة أن يتحوَّل إلى غيرها من اللغات، ولو رامَ ذلك، لم يتهيَّأ له إلا بمشَقَّة عظيمة، فوُسِّعَ لهم في اختلافِ الألفاظ إذ كان المعنى متَّفِقاً، فكانوا كذلك حتَّى كثُر منهم مَن يكتبُ، وعادَت لغاتُهم إلى لسانِ رسول الله ﷺ، فقرؤوا[٥] بذلك على تحفُّظ ألفاظِه، فلم يَسَعهُم حينئذ أن يقرؤوا بخلافِها[٦].

قال ابنُ عبد البَر: فبانَ بهذا أنَّ تلك السَّبعَةَ الأحرفِ إنَّما كان في وقت خاصٍّ لضرورة دَعَت إلى ذلك، ثمَّ ارتفعت تلك الضَّرورةُ، فارتفعَ حُكمُ هذه السَّبعةِ الأحرفِ، وعاد مايُقرأ به القرآنُ إلى[٧] حرف واحد[٨].

وروى أبو داود عن أُبَيٍّ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا أُبَيُّ، إنِّي أُقرِئتُ القرآنَ، فقيلَ لي: على حرف، أو حرفين؟ فقال المَلَك الذي معي: قُل: على حرفين. [قلت: على حرفين]، فقيل لي: على حرفَين أو ثلاثة؟ فقال المَلَك الذي معي: قُل: على ثلاثة. [قلت: على ثلاثة] حتَّى بلغ سبعةَ أحرُف، ثمَّ قال: ليس

(١) ليس هو في صحيح البخاري، وذكره مسلم بإثر الحديث (٨١٩)، وذكره أيضاً الطبري ١/ ٢٧، والطحاوي بإثر الحديث (٣١١٦).

(٢) في (ظ) و(م): السعة، والمثبت من (د) و(ز)، وهو الموافق لشرح مشكل الآثار والتمهيد. (تنظر التعليقات الثلاثة التالية).

(٣) في (ظ): لغتهم.

(٤) في التمهيد ٨/ ٢٩٤: «فكان»، بدل: «فلما كان»، وهو الأشبه.

(٥) في (م): فقدروا.

(٦) كلام الطحاوي هذا قاله في شرح مشكل الآثار ٨/ ١٢٥ و ١١٧ ـ ١١٨، وقد نقله عنه ابن عبد البَر في التمهيد ٨/ ٢٩٤، ونقله المصنف هنا عن ابن عبد البر.

(٧) في (م): على.

(٨) التمهيد ٨/ ٢٩٤.

منها[١] إلا شافٍ كافٍ، إن قُلتَ: سميعاً عليماً، عزيزاً حكيماً، ما لم تَخلِطْ آيةَ عذابٍ برحمَة، أو آيةَ رحمةٍ بعذاب»[٢].

وأسند ثابتُ بن قاسم[٣] نحوَ هذا الحديث، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، وذكر من كلامِ ابن مسعود نحوه[٤].

قال القاضي ابنُ الطَّيِّب[٥]: وإذا ثَبَتَت هذه الرِّوايةُ ـ يريدُ حديثَ أُبَيّ ـ حُمِل على أنَّ هذا كان مُطلَقاً، ثم نُسِخ، فلا يجوز للنَّاس أن يُبدِّلوا اسماً لله تعالى في موضع بغيره ممَّا يوافقُ معناه أو يُخالِفُ[٦].

القولُ الثاني: قال قومٌ: هي سبعُ لغات في القرآن على لغاتِ العرب[٧]، يَمَنِها ونِزارِها، لأنَّ رسول الله ﷺ لم يَجهَلْ شيئاً منها، وكان قد أُوتِيَ جَوامِعَ الكَلِم، وليس معناه أن يكونَ في الحرفِ الواحدِ سبعةُ أوجُه، ولكنَّ هذه اللُّغاتِ السَّبعَ مُتفرِّقةٌ في القرآن، فبعضُه بلغةِ قريش، وبعضُه بلغةِ هُذَيْل، وبعضُه بلغةِ هَوَازِن، وبعضُه بلغةِ اليمَن.

قال الخطَّابي: على أنَّ في القرآنِ ما قَد قُرِىء بسبعَةِ أوجُه، وهو قولُه: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقولُه: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]. وذكر

---

(١) في (ظ): فيها.

(٢) سنن أبي داود (١٤٧٧) وما بين حاصرتين منه، وفيه: مالم تختم آية عذاب برحمة...

(٣) ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن العوفي، من أهل سَرَقُسطة، حدّث بكتاب أبيه المسمى الدلائل (وهو في شرح الحديث). توفي سنة (٣٥٢هـ). كذا في تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٠. وجاء في ترجمة أبيه قاسم بن ثابت ١/ ٣٦١ صاحب الدلائل: بلغ فيه الغاية من الإتقان، ومات قبل إكماله (سنة ٣٠٢هـ)، فأكمله أبوه ثابت بعده. وانظر جذوة المقتبس ص٣٣١.

(٤) حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٨٣٩٠)، وكلام ابن مسعود أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٠٧، والطبري ١/ ٤٦.

(٥) في النسخ الخطية: أبو الطيب، والمثبت من (م)، وهو الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد، البصري، ثم البغدادي، المعروف بابن الباقلاني، صاحب الانتصار للقرآن وغيره من التصانيف، كان يضرب المثل بفهمه وذكائه. مات سنة (٤٠٣هـ). السير ١٧/ ١٩٠.

(٦) من قوله: وأسند ثابت بن قاسم، إلى هذا الموضع، من كلام ابن عطية في تفسيره ١/ ٤٤.

(٧) في (م): لغات العرب كلها.

وجوهاً، كأنَّه يذهبُ إلى أنَّ بعضَه أُنزلَ على سبعةِ أحرف، لا كُلَّه[١].

وإلى هذا القول ـ بأنَّ القرآن أُنزل على سبعةِ أحرُف، على سبعِ لُغات ـ ذهبَ أبو عُبيد القاسمُ بنُ سلَّام، واختاره ابنُ عطيَّة[٢]. قال أبو عُبيد: وبعضُ الأحياءِ أسعدُ بها وأكثرُ حظًّا فيها من بعض، وذكر حديثَ ابنِ شهاب عن أنَس، أنَّ عُثمان قالَ لهم حين أمَرَهُم أن يكتبوا المصاحِفَ: ما اختلفتُم أنتم وزيد، فاكتبوه بلُغةِ قُريش، فإنه نزل بِلُغَتِهم[٣]. ذكره البخاري[٤]. وذكرَ حديثَ ابنِ عبَّاس قال: نزلَ القُرآن بِلُغَة الكَعبَين: كعبِ قُريش، وكعبِ خُزاعة، قيلَ: وكيف ذلك ؟ قال: لأنَّ الدَّارَ واحدةٌ. قال أبو عُبيد: يعني أنَّ خُزاعة جيرانُ قريش، فأخذوا بِلُغَتِهم[٥].

قال القاضي ابنُ الطَّيِّب[٦] رضي الله عنه: معنى قولِ عثمانَ: فإنَّه نزلَ بلسان قُريش، يريد مُعظَمَهُ وأكثرَه، ولم تَقُم دِلالَةٌ قاطِعةٌ على أنَّ القرآن بأسرِهِ مُنزلٌ بلُغة قُريش فقط، إذ فيه كلماتٌ وحروفٌ هي خِلافُ لُغةِ قُريش، وقد قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، ولم يقُل: قُرَشِياً، وهذا يدلُّ على أنَّه مُنزلٌ بجميع لسانِ العرَب، وليس لأحد أن يقولَ: إنه أرادَ قُريشاً من العَرب دون غيرها، كما أنَّه ليس له أن يقولَ: أرادَ لُغةَ عَدنانَ دون قَحطانَ، أو ربيعةَ دون مُضَرَ، لأنَّ اسمَ العرب يتناول جميعَ هذه القبائلِ تناولاً واحداً.

وقال ابنُ عبد البَرِّ: قولُ مَن قال: إنَّ القُرآن نزلَ بِلُغة قُريش، معناهُ عندي: في الأغلبِ. والله أعلم. لأنَّ غيرَ لُغةِ قُريش موجودةٌ في صحيحِ القراءات، من تحقيقِ الهَمَزَاتِ ونحوِها، وقُريشٌ لا تَهمِزُ[٧].

---

(١) ليس هذا الكلام كلُّه للخطابي، إنما نقل الخطابيُّ عن ابن الأنباري كلامه في الآيتين المذكورتين، ثم قال: وذكر وجوهاً..، كأنه يذهب (يعني ابن الأنباري) في تأويل الحديث... الخ. انظر معالم السنن ١/ ٢٩٣.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٠٣، والمحرر الوجيز ١/ ٤٦.

(٣) في فضائل القرآن ص٢٠٣: فاكتبوه بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم.

(٤) صحيح البخاري (٤٩٨٧).

(٥) فضائل القرآن ص٢٠٤.

(٦) في النسخ الخطية: أبو الطيب، والمثبت من (م).

(٧) التمهيد ٨/ ٢٨٠.

وقال ابن عطيَّة: معنى قولِ النبيِّ ﷺ: «أُنزِلَ القرآنُ على سَبعَةِ أحرُف» أي: فيه[١] عبارةُ سبع قبائِلَ، بِلُغةِ جُملَتِها نزلَ القرآن، فيعبر عن المعنى فيه مَرَّة بعبارة قريش، ومَرَّة بعبارة هُذَيل، ومَرَّة بغير ذلك، بحسبِ الأفصح، والأوجَزِ في اللفظ. ألا ترى أنَّ «فَطَر» معناه عند غير قريش: ابتدأ، فجاءت في القرآن، فلم تَتَّجِهْ لابن عباس، حتَّى اختَصَمَ إليه أعرابيَّان في بئر، فقال أحدُهما: أنا فَطَرْتُها، قال ابنُ عبَّاس: ففهمتُ حينئذ موقع[٢] قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]. وقال أيضاً: ما كنتُ أدري معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعتُ بنتَ ذي يَزَن تقول لزوجها: تَعالَ أُفاتِحْكَ، أي: أُحاكِمْكَ.

وكذلك قال عمرُ بنُ الخطاب، وكان لا يفهمُ معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] أي: على تَنَقُّص لهم.

وكذلك اتَّفَقَ لقُطبَةَ بنِ مالك[٣]، إذ سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقرأُ في الصَّلاة: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠]. ذكره مُسلمٌ في باب القراءة في صلاة الفجر[٤] إلى غير ذلك من الأمثلة[٥].

القولُ الثالث: أنَّ هذه اللُّغاتِ السَّبعةَ إنَّما تكون في مُضَر. قاله قومٌ، واحتجُّوا بقول عثمان: نزلَ القُرآنُ بِلُغةِ مُضَر، وقالوا: جائزٌ أن يكونَ منها لقُريش، ومنها لِكنانَة، ومنها لأَسَد، ومنها لهُذَيل، ومنها لتَمِيم[٦]، ومنها لِضَبَّة، ومنها لِقَيس، قالوا: هذه قبائلُ مُضَرَ تستوعِبُ سبعَ لُغات على هذه المراتِبِ، وقد كان ابنُ مسعود يُحبُّ أن يكون الذين يكتُبون المصاحِفَ من مُضَر[٧]. وأنكَر آخَرونَ أن تكونَ كُلُّها في[٨] مُضَرَ، وقالوا: في مُضَرَ شَواذُّ لا يجوزُ أن يُقرَأ القرآنُ بها، مثلُ كَشكَشَةِ قَيس،

---

(١) في (ز): في.

(٢) في (م): موضع.

(٣) الثعلبي، ويقال: الذبياني، من أهل الكوفة، وهو عم زياد بنِ عِلاقة، وهو ممن أخرج لهم مسلم في الصحابة دون البخاري. الإصابة ٨/ ١٦٥.

(٤) صحيح مسلم (٤٥٧)، وهو عند أحمد (١٨٩٠٣).

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٤٦ ـ ٤٧، وانظر إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٧١ ـ ٧٢.

(٦) في (د) و(ظ) و(م): لتيم، ولم ترد في (ز)، و المثبت من التمهيد ٨/ ٢٧٧.

(٧) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٠٥.

(٨) في (م): من.

وعَنْعَنَةِ[١] تميم. فأمَّا كَشكَشَةُ قيس، فإنَّهم يجعلون كافَ المؤنَّثِ شِيناً، فيقولون في ﴿جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]: «جعل رَبُّشِ تحتشِ سَرِيًّا». وأمَّا عَنْعَنَةُ تميم، فيقولون [في أن: عن، فيقولون: «عَسَى اللهُ عن يأتيَ بالفتح»، وبعضهم يُبدلُ السينَ تاءً، فيقولُ] في النَّاسِ: النَّات، وفي أكيَاس: أكيَات[٢]. قالوا: وهذه لُغَاتٌ يُرغَبُ عن القرآن بها، ولا يُحفَظُ عن السَّلَفِ فيها شيءٌ.

وقال آخرون: أمَّا بدل[٣] الهمزَةِ عَيناً، وبدل حروفِ الحَلق بعضِها من بعض، فمشهورٌ عن الفُصحاء، وقد قرأ به الجِلَّةُ، واحتَجُّوا بقِرَاءةِ ابنِ مسعود: «لَيَسجُنُنَّهُ عتَّى حِين». ذكرَها أبو داود[٤]، وبقولِ ذي الرُّمَّة[٥]:

فعيناكِ عيناها وجِيدُكِ جِيدُها ... ولَونُكِ إلا عَنَّها غيرُ طائِلِ

يريدُ: إلا أنَّها.

القولُ الرَّابع: ما حكاهُ صاحبُ «الدَّلائِل»[٦] عن بعضِ العلماء، وحكى نحوَهُ القاضي ابنُ الطَّيِّب[٧] قال: تَدَبَّرتُ وجُوهَ الاختلافِ في القراءَةِ، فوجدتُها سبعة:

منها: ما تَتَغيَّرُ حركَتُه، ولا يزولُ معناه ولا صورَتُه، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] وأطهَرَ[٨]، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ [الشعراء: ١٣] ويَضيقَ[٩].

---

(١) تحرف في النسخ الخطية و(م) (في الموضعين) إلى: تمتمة، ونقله الزرقاني في مناهل العرفان ١/ ١٧٥. وعَنعَنَةُ تميم: إبدالهم العين من الهمزة كما سيمثّل له المصنف.

(٢) وهو الوتم في لغة اليمن، كما في المزهر للسيوطي ١/ ٢٢٣.

(٣) في (م) (في الموضعين): إبدال.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٨/ ٢٧٨ من طريق أبي داود السجستاني، (وليس هو في سننه). وقراءة ابن مسعود هذه ذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٦٣. وقد نقل المصنف القول الثالث بتمامه من التمهيد ٨/ ٢٧٧ . ٢٧٨، وما بين حاصرتين منه.

(٥) هو غَيلان بن عقبة بن بُهيش، أبو الحارث، من فحول الشعراء، مات بأصبهان سنة (١١٧هـ). سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٧، والبيت في ديوانه ٢/ ١٣٤١.

(٦) هو قاسم بن ثابت السَّرَقُسطي، سلفت ترجمته ص٧٤.

(٧) في الانتصار ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥ مخطوط نشرة سزكين.

(٨) بالنصب، وهي قراءة شاذة، ذكرها ابن خالويه في كتابه ص ٦٠، وابن جني في المحتسب ١/ ٣٢٥، ونقل أبو حيان في البحر المحيط ٥/ ٢٤٧ عن سيبويه قوله: هو لحن.

(٩) بالنصب، عطف على «يكذبون» في الآية قبلها، وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر النشر ٢/ ٣٣٥.

ومنها: مالا تَتَغيَّرُ صُورَتُه، ويتغيَّرُ معناه بالإعراب، مثل: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]، و[ربُّنا] بَاعَدَ[١].

ومنها: ما تَبقى صورتُه، ويتغيَّرُ معناه باختلافِ الحروف، مثل قوله: ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] ونُنشِرُها[٢].

ومنها: ما تَتَغيَّرُ صورتُه، ويبقى معناه: ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وكالصُّوفِ المَنفُوش[٣].

ومنها: ماتتغيَّرُ صورتُه ومعنَاهُ، مثل: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ [الواقعة: ٢٩]: وطَلعٍ مَنضُود[٤].

ومنها: بالتَّقديم والتَّأخير، كقوله: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ق: ١٩]: وجاءت [سكرةُ] الحقِّ بالمَوت[٥].

ومنها: بالزِّيادةِ والنُّقصان، مثل قولهِ: «تِسعٌ وتسعُونَ نَعجَةً أنثى»[٦]، وقولهِ: «وأمَّا الغُلامُ فكان كافِراً وكان أبَواه مؤمنَين»[٧]، وقولهِ: «فإنَّ اللهَ مِن بَعدِ إكراهِهِنَّ لهنَّ غفورٌ رحيم»[٨].

القولُ الخامس: أنَّ المرادَ بالأحرُفِ السَّبعَةِ معاني كتاب الله تعالى، وهي أمرٌ

---

(١) أي على جهة الخبر، وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر النشر ٢/ ٣٥٠.

(٢) من: أنشَرَ، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو من السبعة، وأبي جعفر ويعقوب من العشرة. انظر السبعة ص ١٨٩، والتيسير ص ٨٢، والنشر ٢/ ٢٣١. وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦ لأبان عن عاصم: نَنشُرُها، بفتح النون، ونسبها صاحب إتحاف فضلاء البشر ص٢٠٨ للحسن.

(٣) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٧٨ لابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) ذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١، أن علياً رضي الله عنه قرأها على المنبر، فقيل له: أفلا نغيره في المصحف؟ قال: ما ينبغي للقرآن أن يُهاج، أي: لا يغير.

(٥) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٤٤ لأبي بكر الصديق وأُبي رضي الله عنهما.

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٤٣ وقد حكاه ابن عطية عن صاحب الدلائل وابن الطيّب الباقلاني، ونسب ابن خالويه لابن مسعود رضي الله عنه في القراءات الشاذة ص ١٣٠ قراءة: ولي نعجة أنثى. وانظر التمهيد ٨/ ٢٩٥.

(٧) ذكرها ابن عطية في تفسير الآية (٨٠) المذكورة من سورة الكهف، ونسبها لأُبيّ، وانظر البحر المحيط ٦/ ١٥٤.

(٨) نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٠٨ لابن عباس، وسعيد بن جبير. وذكرها ابن عطية في تفسيره ٤/ ١٨٢، ونسبها لابن مسعود وجابر وسعيد بن جبير.

ونَهيٌ، ووَعدٌ ووَعيدٌ، وقَصَصٌ، ومُجادَلَةٌ وأمثالٌ. قال ابنُ عطيَّة: وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ هذا لا يُسمَّى أحرُفاً، وأيضاً؛ فالإجماعُ على أن التَّوسِعَةَ لم تَقَع في تحليلِ حلال[١]، ولا في تغييرِ شيء من المعاني. وذكر القاضي ابنُ الطَّيِّب في هذا المعنى حديثاً عن النبيِّ ﷺ، ثمَّ قال: ولكن ليست هذه هي التي أجاز لهم القراءةَ بها، وإنَّما الحرفُ في هذه بمعنى الجهةِ والطريقة، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١] فكذلك معنى هذا الحديثِ على سبعِ طرائقَ من تحليل وتحريم، وغيرِ ذلك[٢].

وقد قيل: إنَّ المرادَ بقوله عليه السلام: «أُنزل القرآنُ على سَبعَةِ أحرف» القراءاتُ السَّبعُ التي قرأ بها القُرَّاءُ السَّبعةُ، لأنَّها كلَّها صَحَّت عن رسولِ الله ﷺ. وهذا ليسَ بشيء، لظهورِ بُطلانِه على ما يأتي.

فصل

قال كثيرٌ من علمائنا، كالدَّاوُدِي[٣]، وابنِ أبي صُفْرة[٤]، وغيرِهما: هذه القراءاتُ السَّبعُ التي تُنسبُ لهؤلاء القرَّاءِ السبعةِ، ليست هي الأحرفَ السَّبعةَ التي اتَّسعتِ الصحابةُ في القراءة بها، وإنَّما هي راجعةٌ إلى حرف واحد من تلك السَّبعةِ، وهو الذي جمعَ عليه عثمانُ المصحفَ، ذكره ابنُ النَّحاس وغيرُه. وهذه القراءاتُ المشهورةُ هي اختياراتُ أولئك الأئمةِ القرَّاء، وذلك أنَّ كلَّ واحد منهم اختارَ ـ فيما رَوى، وعَلِمَ وجهَةً من القراءات ـ ما هو الأحسَنُ عندَهَ والأولى، فالتزمَه طريقةً، ورواه وأقرأ به، واشتهرَ عنه، وعُرِفَ به، ونُسِب إليه، فقيل: حرفُ نافع، وحرفُ ابنِ كَثِير، ولم يمنع واحدٌ منهم اختيارَ الآخَر، ولا أنكرَه، بل سوَّغَه وجَوَّزه، وكلٌّ واحد من هؤلاء السبعةِ رُوي عنه اختياران، أو أكثر، وكلٌّ صحيح. وقد أجمعَ المسلمون

(١) في المحرر الوجيز ١/ ٤٣: أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٤٣ ـ ٤٤، وفيه كلام ابن الباقلاني السالف.

(٣) لعله أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي؛ ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك ٤/ ٦٢٣ وقال: من أئمة المالكية بالمغرب، والمتَّسمين بالعلم، المجيدين للتأليف... توفي بتلمسان سنة (٤٠٢هـ).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن أبي صفرة أخو أبي القاسم المهلب، سمع من الأصيلي، وكان من كبار أصحابه، وتوفي بالقيروان. ترتيب المدارك ٤/ ٧٥٢، و٢/ ٢٠١، وإكمال المعلم ٣/ ١٩٠.

في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صَحَّ عن هؤلاء الأئمةِ مما رَوَوه ورأَوهُ من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنَّفات، فاستَمرَّ الإجماعُ على الصَّواب، وحصلَ ما وعدَ اللهُ به من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمةُ المتقدِّمون، والفضلاءُ المحقِّقون، كالقاضي أبي بكر بن الطَّيِّب، والطَّبريِّ، وغيرِهما[١].

قال ابنُ عطيَّة: ومَضَتِ الأعصارُ والأمصارُ على قراءة السَّبعةِ، وبها يُصَلَّى، لأنَّها ثبتت بالإجماع. وأما شاذُّ القراءات[٢]، فلا يُصَلَّى به، لأنَّه لم يُجمِعِ الناسُ عليه، أما أنَّ المرويَّ منه عن الصحابة رضي الله عنهم، وعن علماء التابعين، فلا يُعتَقَدُ فيه إلا أنَّهم رَوَوْه. وأمَّا ما يُؤثَرُ عن أبي السَّمَّال[٣] ومَن قارنَه، فإنَّه لا يُوثَقُ به[٤].

قال غيرُه: أمَّا شاذُّ القراءة عن المصاحف المتواترة، فليست بقرآن، ولا يُعمَلُ بها على أنَّها منه، وأحسَنُ مَحامِلِها أن تكونَ بيانَ تأويلِ مذهَبِ مَن نُسِبت إليه، كقراءة ابنِ مسعود: «فصيامُ ثلاثةِ أيام مُتَتابعات»[٥]. فأما لَو صَرَّح الراوي بسماعها من رسول الله ﷺ، فاختلفَ العُلماءُ في العمل بذلك على قولين: النَّفي والإثبات، وجهُ النَّفي[٦]: أنَّ الراويَ لم يروه في مَعرِض الخبر، بل في مَعرِض القرآن، ولم يُثبت، فلا يَثبت. والوجه الثاني: أنَّه وإن لم يَثبت كونُه قرآناً، فقد ثبتَ كونُه سنَّةً، وذلك يُوجبُ العملَ، كسائر أخبارِ الآحاد.

فصل في ذكر معنى حديثِ عُمر وهشام

قال ابنُ عطيَّة[٧]: أباحَ اللهُ تعالى لنبيِّه عليه السلامُ هذه الحروفَ السَّبعةَ،

---

(١) من قوله: قال كثير من علمائنا... هو كلام أبي العباس القرطبي في المفهم ٢/ ٤٥٠.

(٢) في النسخ الخطية: القرآن، والمثبت من المحرر الوجيز ١/ ٤٨.

(٣) في النسخ الخطية: ابن السماك، والمثبت من المحرر الوجيز ١/ ٤٨، وهو قعنب بن أبي قعنب العدوي البصري، ذكره ابن الجزري في طبقات القراء ٢/ ٢٧ وقال: له اختيار في القراءة شاذ عن العامة، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٥٣٤ وقال: لا يُعتمد على نقله، ولا يوثق به.

(٤) المحرر الوجيز ١/ ٤٨، وفيه: قاربَه، بدل: قارنه.

(٥) أخرجها عبد الرزاق في المصنف (١٦١٠٢) (١٦١٠٣) (١٦١٠٤)، والطبري في التفسير ٨/ ٦٥٢. وقال: ذلك خلاف ما في مصاحفنا.

(٦) في (ز) و(ظ): النافي.

(٧) في المحرر الوجيز ١/ ٤٧.

وعارضَه بها جبريلُ عليه السلامُ في عَرَضَاته على الوجه الذي فيه الإعجازُ، وجودةُ الرَّصف[١]، ولم تقعِ الإباحةُ في قوله عليه السلام: «فاقرؤوا ما تيسَّرَ منه» بأن يكون كلُّ واحد من الصَّحابة إذا أرادَ أن يُبَدِّلَ اللَّفْظةَ من بعض هذه اللُّغاتِ، جَعَلَها من تلقاءِ نفسِه، ولو كان هذا، لذهبَ إعجازُ القرآن، وكان مُعرَّضاً أن يُبدَّلَ هذا وهذا، حتَّى يكون غيرَ الذي نزلَ من عند الله، وإنَّما وقعت الإباحَةُ في الحروف السَّبعة للنبيِّ ﷺ ليوسِّعَ بها على أُمَّتِه، فأقْرأَ مَرَّةً لأُبَيٍّ بما عارضَه به جبريلُ، ومَرَّةً لابن مسعود بما عارضَه به أيضاً، وعلى هذا تجيءُ قراءةُ عمرَ بنِ الخطاب لسورة الفرقان، وقراءةُ هشام بنِ حَكِيم لها، وإلا، فكيف يستقيمُ أن يقولَ النبيُّ ﷺ في كلِّ قراءة منهما وقد اختلفا: «هكذا أقرأني جبريلُ» ؟ هل ذلك إلا أنَّه أقرأه مَرَّةً بهذه، ومَرَّةً بهذه ؟ وعلى هذا يُحملُ قولُ أنس حين قرأ: «إن ناشِئةَ اللَّيلِ هي أشدُّ وَطْأ وأصْوَبُ قِيلاً»، فقيل له: إنَّما تُقرأ: «وأقوَمُ قِيلاً»، فقال أنس: وأصوَبُ قِيلاً، وأقوَمُ قِيلاً، وأهيأ، واحدٌ[٢]. فإنَّما معنى هذا أنَّها مرويَّةٌ عن النبي ﷺ، وإلا، فلو كان هذا لأحد من الناس أن يَضَعَه، لَبَطَل معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

روى البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهما عن عمرَ بنِ الخطاب قال: سمعتُ هشامَ بنَ حَكِيم يقرأ سورةَ الفُرقانِ على غير ما أقرؤُها، وكان رسولُ الله ﷺ أقرَأنِيها، فَكِدتُ أن أعجَلَ عليه، ثم أمهَلتُه حتَّى انصرفَ، ثم لَبَّبتُه بردائه، فجئتُ به رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: يارسول الله، إنِّي سمعتُ هذا يقرأ سورةَ الفرقان على غيرِ ما أقرَأتَنِيها ! فقال رسول الله ﷺ: «أرسِلْه. اِقْرأ». فقرأ القراءة التي سمعتُه يقرأ، فقال رسولُ الله ﷺ: «هكذا أُنزِلَت». ثمَّ قال لي: «اِقْرأ»، فقرأتُ، فقال: «هكذا أُنزِلَت، إنَّ هذا القُرآنَ أُنزِلَ على سَبعَةِ أحرُف، فاقرؤوا ما تَيَسَّرَ منه»[٣].

قلتُ: وفي معنى حديثِ عُمر هذا ما رواه مسلم عن أُبَيِّ بنِ كعب قال: كنتُ في المسجد، فدخلَ رجلٌ يصلِّي، فقرأ قراءةً أنكَرتُها عليه، ثمَّ دخَلَ آخَرُ، فقرأ قراءة

(١) في النسخ الخطية: الوصف. والمثبت من (م).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٤٧ و٢٣/ ٣٧٣، وابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٦.

(٣) صحيح البخاري (٤٩٩٢)، و صحيح مسلم (٨١٨). وهو في المسند (٢٧٧).

سِوَى قراءةِ صاحبِه، فلمَّا قَضَينا الصلاةَ، دَخَلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلتُ: إنَّ هذا قَرَأَ قراءةً أنكَرتُها عليه، ودَخَلَ آخَرُ، فقرأ سِوَى قراءةِ صاحبِه، فأمَرَهما النبيُّ ﷺ فقَرَأَا، فَحسَّنَ النبيُّ ﷺ شأنَهما، فَسُقِطَ في نفسي من التَّكذيب، ولا إذ كنتُ في الجاهليَّة، فلما رأى النبيُّ ﷺ ماقد غَشِيَني، ضَرَبَ في صدري، فَفِضْتُ عَرَقاً، وكأنَّما أنظرُ إلى الله تعالى فَرَقاً، فقال[1]: «يا أُبَيُّ، أُرسِلَ إليَّ أن أقرَأَ القرآنَ على حَرف، فَرَدَدتُ إليه: أن هَوِّنْ على أمَّتي، فَردَّ إليَّ الثانيةَ: اِقرَأْهُ[2] على حَرفَين، فَرَدَدتُ إليه: أن هَوِّنْ على أمَّتي، فَرَدَّ إليَّ الثالثةَ: اِقرَأْهُ على سبعةِ أحرُف، ولك[3] بكلِّ رَدَّةٍ رَدَدتُكَها مسألةٌ تَسأَلُنِيها، فقلتُ: اللَّهمَّ اغفِر لأمتي، اللَّهم اغفِر لأمتي، وأخَّرتُ الثالثةَ ليوم يَرغَبُ إليَّ فيه الخلقُ كُلُّهم، حتَّى إبراهيمُ عليه السَّلام»[4].

قولُ أُبَيٍّ رضي الله عنه[5]: فسُقِطَ في نفسي، معناه: اعتَرتني حَيرةٌ ودَهشَةٌ، أي: أصابتهُ نَزغَةٌ من الشيطان ليشوِّشَ عليه حالَه، ويُكدِّرَ عليه وقتَه، فإنه عَظُمَ عليه من اختلاف القراءاتِ ماليس عظيماً في نفسه، وإلا، فأيُّ شيء يلزمُ من المحال والتَّكذيب من اختلاف القراءات، ولم يلزم ذلك ـ والحمد لله ـ في النَّسخ الذي هو أعظم، فكيفَ بالقراءة ؟

ولمَّا رأى النبيُّ ﷺ ما أصابه من ذلك الخاطر، نَبَّهَهُ، بأن ضرب[6] في صدره، فأعقَبَ ذلك بأنِ انشرحَ صدرُه، وتَنَوَّرَ باطنُه، حتَّى آلَ به الكَشفُ والشَّرحُ إلى حالةِ المُعَاينة. ولمَّا ظهر له قُبحُ ذلك الخاطر، خافَ من الله تعالى، وفاضَ بالعَرَق استحياءً من الله تعالى، فكان هذا الخاطرُ من قبيل ما قال فيه النبيُّ ﷺ حين سألوه: إنَّا نَجِدُ في أنفُسنا ما يتَعَاظَمُ أحَدُنا أن يَتَكَلَّمَ به، قال: «وقد وَجَدتُموه ؟!». قالوا:

(١) في (م): فقال لي.
(٢) في (ظ): أن اقرأه.
(٣) في (م): فلك.
(٤) صحيح مسلم (٨٢٠)، وهو في المسند برقم (٢١١٧١).
(٥) الكلام من هذا الموضع إلى آخر الباب، من المفهم ٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ بتصرف يسير.
(٦) في (م): ضربه.

نعم، قال: «ذلك صريح الإيمان». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة[١]. وسيأتي الكلام عليه في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى[٢].

بابُ ذِكرِ جمعِ القرآن، وسببِ كَتبِ عثمانَ المصاحفَ، وإحراقِه ما سواها، وذِكرِ مَن حَفِظَ القرآنَ من الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبيِّ ﷺ

كان القرآنُ في مدَّة النبيِّ ﷺ متفرِّقاً في صدور الرجال، وقد كتبَ الناسُ منه في صُحُف، وفي جَرِيد، وفي لِخاف وظُرَر، وفي خَزَف، وغير ذلك. قال الأصمعيُّ[٣]: اللِّخاف: حجارةٌ بِيضٌ رِقاق، واحدتُها لَخْفَة. والظُّرَرُ: حجرٌ، له حدٌّ كحدِّ السكين، والجمع ظِرارٌ؛ مثلُ رُطَب ورِطاب، ورُبَع ورِباع، وظِرَّان أيضاً، مثلُ صُرَد وصِردان[٤].

فلما استَحَرَّ القتلُ بالقُرَّاء يومَ اليمامة في زمن الصدِّيق رضي الله عنه، وقُتِلَ منهم في ذلك اليوم ـ فيما قيل ـ سبعُ مئة، أشار عمرُ بنُ الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن، مخافةَ أن يموتَ أشياخُ القرَّاء، كأُبَيٍّ، وابنِ مسعود، وزيد، فندبا زيدَ بنَ ثابت إلى ذلك، فجمَعَه غيرَ مرتَّب السُّوَر، بعد تعب شديد، رضي الله عنه[٥].

روى البخاري عن زيد بنِ ثابت قال: أرسلَ إليَّ أبو بكر مقتلَ أهلِ اليمامةِ، وعندَه عُمرُ، فقال أبو بكر: إنَّ عمرَ أتاني، فقال: إنَّ القَتلَ قدِ استَحَرَّ يومَ اليمامةِ بالناس، وإني أخشَى أن يَستَحِرَّ القتلُ بالقُرَّاء في المواطن، فيذهبَ كثيرٌ من القرآن، إلا أن تَجمعوه، وإني لأرى أن تَجمعَ القرآنَ. قال أبو بكر: فقلتُ لعمر: كيف أفعلُ

---

(١) صحيح مسلم (١٣٢).

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (الآية: ٢٠٠).

(٣) عبد الملك بن قُريب، أبو سعيد الأصمعي البصري، اللغوي الأخباري، توفي سنة (٢١٥هـ) وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٧٥.

(٤) الرُّبَع: الفصيل يُنتَجُ في الربيع، وهو أول النتاج، والصُّرَد: طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار، وكانوا يتشاءمون به. (المعجم الوسيط).

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٤٩.

شيئاً لم يَفعَلْه رسولُ الله ﷺ ؟! فقال: هو واللهِ خيرٌ. فلم يَزَل يُراجِعُني حتى شرحَ اللهُ لذلك صدري، ورأيتُ الذي رأى عمرُ.

قال زيدٌ: وعندَه عمرُ جالسٌ لا يَتكلَّمُ، فقال لي أبو بكر: إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ، ولا نَتَّهمُك، كنتَ تَكتُبُ الوحيَ لرسولِ اللهِ ﷺ، فتَتَبَّعِ القرآنَ، فاجْمَعْه. فواللهِ، لو كلَّفَني نقلَ جبلٍ من الجبال، ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمعِ القرآن. قلتُ: كيف تَفعلانِ شيئاً لم يَفعَلهُ رسولُ الله ﷺ ؟! فقال أبو بكر: هو واللهِ خيرٌ. فلم أزَل أراجِعُه حتى شرحَ اللهُ صَدرِي للذي شرحَ له صَدرَ أبي بكر وعمرَ، فقمتُ، فَتَتَبَّعتُ القرآنَ أجمعُه من الرِّقاع، والأكتاف، والعُسُبِ، وصُدورِ الرجال، حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خُزيمةَ الأنصاريِّ[1]، لم أجِدهما مع غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها. فكانت الصُّحُفُ التي جُمِعَ فيها القرآنُ عند أبي بكر حتى توفَّاه الله، ثم عند عمرَ حتى توفَّاه الله، ثم عند حفصةَ بنتِ عمر.

وقال اللَّيثُ: حدثني عبدُ الرحمن بنُ خالد[2]، عن ابن شِهاب، وقال: مع أبي خُزيمةَ الأنصاريِّ. وقال أبو ثابت: حدثنا إبراهيمُ، وقال: مع خُزيمة، أو أبي خُزيمةَ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

وقال الترمذيُّ في حديثه عنه: فوجَدتُ آخِرَ سورة براءةَ مع خُزيمةَ بنِ ثابت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾. قال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[4].

---

(١) هو خُزيمة بن ثابت، أبو عمارة، الخطمي، ذو الشهادتين، شهد أحداً وما بعدها، واستشهد يوم صفّين سنة (٣٧هـ). سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٨٥.

(٢) تحرف في النسخ و(م) إلى: غالب.

(٣) صحيح البخاري (٤٦٧٩)، وهو في المسند(٥٧). الليث: هو ابنُ سَعد، وابنُ شِهاب: هو الزُّهري، وأبو ثابت: هو محمد بن عُبيد الله المدني، وإبراهيم: هو ابنُ سَعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عَوف.

(٤) سنن الترمذي (٣١٠٣).

وفي «البخاري»: عن زيد بن ثابت قال: لما نَسَخْنا الصُّحُفَ في المصاحف، فَقَدْتُ آية من سورة الأحزاب، كنتُ أسمَعُ رسولَ الله ﷺ يقرؤها، لم أجِدها مع أحد إلا مع خُزيمةَ الأنصاري، الذي جعلَ رسولُ الله ﷺ شهادتَه بشهادة رجلَين: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] (١).

وقال الترمذيُّ عنه: فقدتُ آيةً من سورة الأحزاب، كنتُ أسمعُ رسولَ الله ﷺ يقرؤها: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ فالتمستُها، فوجدتُها عند خُزيمةَ بن ثابت، أو أبي خُزيمةَ، فألحقتُها في سورتها(٢).

قلتُ: فسقَطَتِ الآيةُ الأولى من آخِر «براءَة» في الجمع الأوَّل، على ما قاله البخاريُّ والترمذيُّ، وفي الجمع الثاني فُقدَتْ آيةٌ من سورة الأحزاب. وحكى الطبريُّ: أنَّ آيةَ «براءة» سَقَطَت في الجمع الأخير، والأوَّل أصحُّ(٣)، والله أعلم.

فإن قيل: فما وجهُ جمعِ عثمانَ للناسِ(٤) على مُصْحَفِه، وقد سبقَه أبو بكر إلى ذلك، وفَرَغَ منه؟.

قيل له: إنَّ عثمانَ رضي الله عنه لم يَقصِد بما صنعَ جَمعَ الناسِ على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسلَ إلى حَفصَةَ أن أرسِلي إلينا بالصُّحُف نَنسَخُها في المصاحف، ثم نَردُّها إليكِ؟ على ما يأتي. وإنما فعلَ ذلك عثمانُ، لأنَّ الناسَ اختلفوا في القراءات بسبب تفرُّق الصحابة في البلدان، واشتدَّ الأمرُ في ذلك، وعَظُمَ اختلافُهم وتَشَتُّتُهم(٥)، ووقعَ بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفةُ رضي الله عنه، وذلك أنهم اجتمعوا في غَزوة إرمِينِيَةَ، فقرأت كُلُّ طائفة بما رُوِيَ لها، فاختَلَفوا، وتَنازَعُوا، وأظهرَ بعضُهم إكفارَ بعض(٦)، والبراءةَ منه، وتلاعَنوا، فأشفَقَ حذيفةُ مما

(١) صحيح البخاري (٤٧٨٤)، وهو في مسند أحمد (٢١٦٤٠).

(٢) سنن الترمذي (٣١٠٤).

(٣) المحرر الوجيز ١/ ٤٩. وانظر تفسير الطبري ١/ ٥٤ ـ ٥٦.

(٤) في (م): الناس.

(٥) في (م): وتشبثهم.

(٦) في المحرر الوجيز ١/ ٤٧: فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضُهم لبعض: أنا كافر بما تقرأ به.

رَأى منهم، فلما قَدِم حُذَيفَةُ المدينةَ ـ فيما ذكر البخاريُّ والترمذي[١] ـ دخل إلى عثمانَ قبل أن يَدخُلَ إلى بيته، فقال: أدرِكْ هذه الأمةَ قبل أن تَهلِكَ! قال: فيماذا؟ قال: في كتاب الله، إني حضرتُ هذه الغزوةَ، وجَمَعَت ناساً من العراق والشام والحجاز. فوصفَ له ما تقدَّم، وقال: إني أخشى عليهم أن يختلفُوا في كتابهم، كما اختلف اليهودُ والنصارى[٢].

قلت: وهذا أدلُّ دليل على بطلان مَن قال: إنَّ المرادَ بالأحرف السبعة قراءاتُ القُرَّاء السبعة، لأنَّ الحقَّ لا يُختلَفُ فيه.

وقد روى سُوَيدُ بنُ غَفَلَةَ[٣]، عن عليِّ بنِ أبي طالب أنَّ عثمان قال: ما تَرَونَ في المصاحف؟ فإنَّ الناسَ قد اختلفوا في القراءة، حتى إنَّ الرجلَ لَيقول: إنَّ قراءتي خيرٌ من قراءتك، وقراءتي أفضلُ من قراءتك. وهذا شبيهٌ بالكفر؟ قلنا: ما الرأيُ عندك يا أميرَ المؤمنين؟ قال: الرأيُ عندي أن يجتمعَ الناسُ على قراءة، فإنكم إذا اختلفتُم اليومَ، كان مَن بَعدَكم أشَدَّ اختلافاً، قلنا: الرأيُ رأيُك يا أميرَ المؤمنين. فأرسلَ عثمانُ إلى حَفصَةَ أن أرسِلي إلينا بالصُّحُف نَنسَخُها في المصاحف، ثم نَرُدُّها إليك. فأرسلَت بها إليه، فأمرَ زيدَ بنَ ثابت، وعبدَ الله بنَ الزُّبير، وسعيدَ بنَ العاصي[٤]، وعبدَ الرحمن بنَ الحارث بنِ هشام[٥]، فنسخُوها في المصاحف. وقال عثمانُ للرَّهط القُرَشِيِّين: إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بنُ ثابت في شيء من القرآن، فاكتُبُوه بلسان قريش، فإنما نزلَ بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نَسَخُوا الصُّحُفَ في المصاحف، ردَّ عثمانُ الصُّحُفَ إلى حفصةَ، وأرسلَ إلى كلِّ أفُق بمصحف مما نَسخُوا، وأمرَ بما سوى ذلك من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحف أن يُحرقَ[٦].

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٧)، وسنن الترمذي (٣١٠٤).

(٢) من قوله: ووقع بين أهل الشام والعراق... إلى هذا الموضع، من المحرر الوجيز ١/ ٤٧.

(٣) أبو أمية، الجُعفي الكوفي، أسلَم في حياة النبي ﷺ، وقدم المدينة حين فرغوا من دفن رسول الله ﷺ، وشهد اليرموك، مات سنة (٨١هـ). السير ٤/ ٦٩.

(٤) الأموي، كان له عند موت النبي ﷺ تسع سنين، وَلِيَ إمرة الكوفة لعثمان، وإمرةَ المدينة لمعاوية، مات سنة (٥٧هـ). السير ٣/ ٤٤٤.

(٥) المخزومي، رأى النبي ﷺ، مات في خلافة معاوية بالمدينة، سنة (٤٣هـ) السير ٣/ ٤٨٤.

(٦) أخرجه مختصراً ابن أبي داود في المصاحف ص٢٢، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح ٩/ ١٨.

وكان هذا من عثمانَ رضي الله عنه بعد أن جمعَ المهاجرين والأنصارَ، وجِلَّةَ أهلِ الإسلام، وشاورَهم في ذلك، فاتفقُوا على جَمعِه بما صحَّ، وثبتَ من[١] القراءات المشهورةِ عن النبيِّ ﷺ، واطِّراحِ ما سواها، واستَصوَبُوا رأيَه، وكان رأياً سَديداً مُوفَّقاً، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

وقال الطبري فيما رَوى: إن عثمانَ قَرَنَ بزيد أبَانَ بنَ سعيد بنِ العاصي[٢] وحدَه، وهذا ضعيفٌ[٣]. وما ذكره البخاريُّ والترمذيُّ وغيرُهما أصحُّ.

وقال الطبري أيضاً: إن الصُّحُفَ التي كانت عند حفصةَ، جُعلت إماماً في هذا الجمع الأخير[٤]. وهذا صحيحٌ.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبيدُ الله بن عبد الله، أنَّ عبدَ الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نَسخَ المصاحفِ، وقال: يامعشرَ المسلمين، أُعْزَلُ عن نَسخِ المصاحف، ويتولاها[٥] رجلٌ، والله، لقد أسلمتُ وإنه لَفي صُلب رجل كافر! يُريد زيدَ بنَ ثابت. ولذلك قال عبدُ الله بنُ مسعود: يا أهلَ العراق، اكتُمُوا المصاحفَ التي عندَكم وغُلُّوها، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، فَالْقَوُا اللهَ بالمصاحف. خرَّجه الترمذي[٦]. وسيأتي الكلام في هذا في سورة آل عمران، إن شاء الله تعالى[٧].

---

(١) في (م): في.

(٢) هو أبو الوليد الأموي، أسلم قبل الفتح، واستعمله النبي ﷺ على البحرين، استُشهد يوم أجنادين. السير ١/ ٢٦١.

(٣) تفسير الطبري ١/ ٥٤ ـ ٥٥، وفي إسناده عُمارة بنُ غَزيَّة. قال الخطيب ـ فيما نقله عنه الحافظ في الفتح ٩/ ١٩ ـ: ووهم عُمارةُ في ذلك، لأن أبان قُتل بالشام في خلافة عمر، ولا مدخل له في هذه القصة.

(٤) تفسير الطبري ١/ ٥٦، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ٤٩..

(٥) في (م): ويتولاه.

(٦) سنن الترمذي (٣١٠٤). ابنُ شِهاب: هو الزُّهري، وعُبيد الله بنُ عبد الله: هو ابنُ عُتبةَ بنِ مسعود. وقال الترمذي بعده: قال الزُّهري: فبلغني أن ذلك كَرِهَه من مقالة ابنِ مسعود رجالٌ من أفاضل أصحابِ النبي ﷺ.

(٧) لم يذكر المصنف في تفسير الآية المذكورة التأويلَ الذي ذهب إليه عبد الله بنُ مسعود رضي الله عنه. قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على المسند (٣٩٢٩): كان هذا من ابن مسعود... خشية اختلافهم، فغضب ابن مسعود، وهذا رأيُه، ولكنه رحمه الله أخطأ خطأ شديداً في تأويل الآية على ما =

قال أبو بكر الأنباريُّ: ولم يكن الاختيارُ لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمانَ على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن ـ وعبدُ الله أفضلُ من زيد، وأقدمُ في الإسلام، وأكثرُ سوابقَ، وأعظمُ فضائلَ ـ إلا لأن[1] زيداً كان أحفظَ للقرآن من عبد الله، إذ وَعاه كلَّه ورسولُ الله ﷺ حَيٌّ، والذي حَفِظَ منه عبدُ الله في حياة رسولِ الله ﷺ نَيِّفٌ وسبعون سورة، ثم تَعلَّمَ الباقيَ بعدَ وفاةِ الرسولِ ﷺ، فالذي ختمَ القرآنَ وحفظَه ورسولُ الله ﷺ حيٌّ، أولَى بجمع المصحف، وأحقُّ بالإيثار والاختيار. ولا ينبغي أن يَظنَّ جاهلٌ أنَّ في هذا طعناً على عبد الله بن مسعود، لأن زيداً إذا كان أحفظَ للقرآن منه، فليس ذلك مُوجِباً لتقدمته عليه، لأنَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيدٌ أحفظَ منهما للقرآن، وليس هو خيراً منهما، ولا مساوياً لهما في الفضائل والمناقب.

قال أبو بكر: وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك، فشيءٌ نَتَجَهُ الغضب، ولا يُعمَل به، ولا يُؤخذ به، ولا يُشكُّ في أنه رضي الله عنه قد عَرَفَ بعد زوالِ الغضبِ عنه حُسنَ اختيار عثمانَ، ومَن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقيَ على موافقتهم، وتركَ الخلافَ لهم. فالشائعُ الذائعُ المتعالَمُ عند أهل الرواية والنقل أنَّ عبدَ الله بنَ مسعود تعلَّم بقيَّةَ القرآنِ بعد وفاةِ رسول الله ﷺ. وقد قال بعضُ الأئمة: مات عبدُ الله بنُ مسعود قبلَ أن يَختِمَ القرآنَ. قال يزيدُ بنُ هارون[2]: المُعَوِّذَتان بمنزلة البقرة وآلِ عمران، مَن زعمَ أنهما ليستا من القرآن، فهو كافرٌ بالله[3] العظيم، فقيلَ له: فقولُ عبد الله بن مسعود فيهما؟ فقال: لا خلافَ بين المسلمين في أنَّ عبدَ الله بن مسعود مات وهو لا يَحفَظُ القرآنَ كلَّه.

قلتُ: هذا فيه نظرٌ، وسيأتي[4].

وروى إسماعيلُ بن إسحاقَ وغيره، قال حمَّادٌ: أظنُّه عن أنس بن مالك قال: كانوا يختلفون في الآية، فيقولون: أقرأها رسولُ الله ﷺ فلانَ بنَ فلان، فعسى أن

= أوَّل، فإنَّ الغُلول هو الخيانة، والآيةُ واضحةُ المعنى في الوعيد لمن خان أو اختلس من المغانم.

(١) في النسخ الخطية: أن، والمثبت من (م).

(٢) أبو خالد الواسطي، ثقة متقن، توفي في خلافة المأمون سنة (٢٠٦هـ). سير أعلام النبلاء ٩/٣٥٨.

(٣) في (ظ): بالقرآن.

(٤) ص ٩٥.

يكونَ من المدينة على ثلاثِ ليال، فُيرسَلُ إليه، فُيجاء به، فيقال: كيف أقرأَكَ رسولُ الله ﷺ آيةَ كذا وكذا ؟ فيكتُبون كما قال[١].

قال ابنُ شِهاب: واختلفوا يومئذ في «التابوت»، فقال زيدٌ: «التابوه». وقال ابنُ الزُّبير وسعيد بن العاصي: «التابوت»، فرُفع اختلافُهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه بالتاء، فإنه نَزَلَ بلسان قريش. أخرجه البخاري والترمذي[٢].

قال ابن عطية[٣]: قرأه زيد بالهاء، والقرشيون بالتاء، فأثبتوه بالتاء، وكُتبتِ المصاحفُ على ما هو عليه غابِرَ الدهر، ونَسخَ منها عثمانُ نُسَخاً. قال غيره: قيل: سبعة، وقيل: أربعة، وهو الأكثر، ووجَّه بها إلى الآفاق، فوجَّه للعراق والشام ومصر بأمَّهات، فاتخذَها قُرَّاءُ الأمصار مُعتمَدَ اختياراتِهم، ولم يخالِف أحدٌ منهم مصحفَه على النحو الذي بلغَه، وما وُجدَ بين هؤلاء القُرَّاء السبعةِ من الاختلاف في حروف يَزيدُها بعضُهم، ويَنقُصُهابعضُهم، فذلك لأنَّ كلاً منهم اعتمدَ على ما بلغَه في مصحفه ورواه، إذ قد كان عثمانُ كتب تلك المواضعَ في بعض النسخ، ولم يكتُبها في بعض، إشعاراً بأنَّ كلَّ ذلك صحيحٌ، وأنَّ القراءةَ بكلٍّ منها جائزةٌ.

قال ابنُ عطية: ثم إنَّ عثمانَ أمرَ بما سواها من المصاحف أن تُحرقَ، أو تُخرقَ ـ تُروى بالحاء غير منقوطة، وتُروى بالخاء على معنى ـ ثم تُدفنَ، وروايةُ الحاء غير منقوطة أحسن[٣].

وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب «الردّ» عن سُوَيدِ بنِ غَفَلةَ قال: سمعتُ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه يقول: يامعشرَ الناس، اتقوا الله، وإيَّاكم والغُلُوَّ في عثمانَ وقولَكم: حرق[٤] المصاحف، فوالله ما حَرقَها إلا عن ملأ منَّا أصحابَ

(١) أخرجه أبو عمرو الداني في المقنع ص٧، وقد اختصر القرطبي إسنادَه. حماد: هو ابن زيد، وأخرج ابنُ أبي داود في المصاحف ص٢١ ـ ٢٢ نحوَه من وجه آخر.

(٢) لم يخرجه البخاري، وإنما أخرجه الترمذي (٣١٠٤)، ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/ ٢٠ عن الخطيب أن هذه الزيادة رواها ابن شهاب ـ وهو الزُّهري ـ مرسلة.

(٣) المحرر الوجيز ١/ ٤٩.

(٤) في (م): حرَّاق.

محمد ﷺ[١]. وعن عُميربن سعيد قال: قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: لو كنتُ الواليَ وقتَ عثمان، لفعلتُ في المصاحف مثلَ الذي فعل عثمان[٢].

قال أبو الحسن بنُ بطَّال: وفي أمرِ عثمانَ بتحريق الصُّحُف والمصاحف حين جمعَ القرآنَ جوازُ تحريقِ الكتبِ التي فيها أسماءُ الله تعالى، وأنَّ ذلك إكرامٌ لها، وصيانةٌ عن الوطء بالأقدام، وطرحِها في ضِياع من الأرض.

روى مَعمَرٌ، عن ابن طاوس، عن أبيه، أنه كان يَحرِقُ الصُّحُفَ إذا اجتمعَت عنده الرسائلُ فيها «بسم الله الرحمن الرحيم». وحرقَ عروةُ بنُ الزُّبير[٣] كتبَ فقه كانت عندَه يومَ الحَرَّة. وكرهَ إبراهيمُ أن تُحرَقَ الصُّحُفُ إذا كان فيها ذكرُ الله تعالى[٤]. وقولُ من حرقها أولى بالصواب، وقد فعلَه عثمان.

وقد قال القاضي أبو بكر لسان الأمة[٥]: جائزٌ للإمام تحريقُ الصُّحُف التي فيها القرآن، إذا أدَّاه الاجتهادُ إلى ذلك.

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وفي فعل عثمانَ رضي الله عنه ردٌّ على الحُلُولية[٦] والحَشْوِيَّة[٧] القائلين بقِدَمِ الحروف والأصوات، وأنَّ القراءةَ والتلاوةَ قديمةٌ، وأنَّ

---

(١) أخرجه ابن شبَّة في تاريخ المدينة ٣/ ٩٩٤ ـ ٩٩٥ مطولاً.

(٢) وأخرج هذين الأثرين ابنُ أبي داود في المصاحف ص٢٢ و٢٣، وأخرج الثاني منهما أبو عمرو الداني في المقنع ص٨.

(٣) أبو عبد الله القرشي، أحدُ الفقهاء السبعة، أبوه الزبير بن العوام حواريُّ رسول الله ﷺ، توفي سنة (٩٤هـ). السير ٤/ ٤٢١.

(٤) أخرج الآثار الثلاثة عبدُ الرزاق في مصنفه ١١/ ٤٢٥ (٢٠٩٠١) (٢٠٩٠٢) (٢٠٩٠٣).

(٥) هو أبو بكر ابنُ الطيب الباقلاني، وسلفت ترجمته ص٧٤، وقد لقَّبه بلسان الأمة القاضي عياض في ترتيب المدارك ٤/ ٥٨٥.

(٦) هم القائلون: إن الله حالٌّ في كل شيء، مُتَّحِدٌ به، حتى جوَّزوا أن يطلق على كل شيءٍ أنه الله! تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.
وينظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٣٦٤ وما بعدها.

(٧) الحَشْوِيَّة ـ بسكون الشين؛ نسبة إلى الحَشْو ـ طائفة من المبتدعة؛ لُقِّبُوا بهذا اللقب؛ لاحتمالهم كل حَشْوٍ رُوِيَ من الأحاديث المختلفة، أو لأن منهم المجسِّمة، والجسم محشوّ. المستصفى للغزالي ٢/ ٤٦٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ودائرة المعارف الإسلامية (حشو).
وقد يطلق بعض المبتدعة هذا اللقب على المخالف لهم. وقيل: إن أول من أطلق هذا اللقب عمرو بن=

الإيمانَ قديمٌ، والروحَ قديم. وقد أجمعتِ الأمةُ، وكُلُّ أمة من النصارى واليهود والبراهمة، بل كلُّ مُلحِد وموحِّد، أنَّ القديمَ لا يُفعَل، ولا تتعلقُ به قدرةُ قادر بوجه ولا بسبب، ولا يجوز العدمُ على القديم، وأنَّ القديمَ لا يصيرُ مُحدَثاً، والمُحدَثَ لا يصيرُ قديماً، وأنَّ القديمَ ما لا أوَّلَ لوجوده، وأنَّ المُحدَثَ هو ما كانَ بعدَ أن لم يكن، وهذه الطائفةُ خَرَقَت إجماعَ العقلاء من أهل المِلل وغيرِهم، فقالوا: يجوز أن يصيرَ المُحْدَثُ قديماً، وأنَّ العبدَ إذا قرأ كلامَ الله تعالى، فعلَ كلاماً لله قديماً، وكذلك إذا نَحتَ حروفاً من الآجُرِّ والخشب، أو صاغَ أحرفاً من الذهب والفضة، أو نسجَ ثوباً، فنقشَ عليه آيةً من كتاب الله، فقد فعل هؤلاء كلامَ الله قديماً، وصار كلامُه منسوجاً قديماً، ومنحوتاً قديماً، ومَصُوغاً قديماً. فيقال لهم: ما تقولون في كلام الله تعالى، أيجوزُ أنْ يذابَ ويُمحى ويُحرقَ؟ فإن قالوا: نعم، فارقوا الدِّينَ، وإن قالوا: لا، قيل لهم: فما قولُكم في حروف مصوَّرة آية من كتاب الله تعالى من شَمَع، أو ذهب، أو فضة، أو خشب، أو كاغَد، فوقَعَت في النار، فذابَت واحترقَت، فهل تقولون: إنَّ كلامَ الله احترق؟ فإن قالوا: نعم، تركوا قولَهم، وإن قالوا: لا، قيل لهم: أليس قلتُم: إنَّ هذه الكتابةَ كلامُ الله وقد احترقت، وقلتُم: إن هذه الأحرفَ كلامُه وقد ذابَت؟! فإن قالوا: احترقتِ الحروفُ، وكلامُه تعالى باقٍ، رَجَعوا إلى الحقِّ والصواب، ودَانُوا بالجواب، وهو الذي قاله النبيُّ ﷺ مُنَبِّهاً على ما يقول[1] أهلُ الحق: «لو كان القرآنُ في إهاب، ثم وقعَ في النار، ما احترَقَ»[2]. وقال الله عز وجل: «أنزلتُ عليك كتاباً لا يَغسِلُه الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظانَ» الحديث. أخرجه مسلم[3].

= عُبيد المعتزلي على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. توضيح المقاصد في شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى ٢/ ٧٦-٨٠.

(١) في (ظ): يقوله.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٣٦٥) من حديث عقبة بن عامر، وإسناده ضعيف، ونقل البغوي في شرح السنة ٤/ ٤٣٧ عن الإمام أحمد قوله: معناه: لو كان القرآن في إهاب، يعني في جلد، في قلب رجل، يُرجى لمن القرآن محفوظ في قلبه أن لا تمسَّه النار. ونقل عن أبي عبد الله البوشنجي قوله: معناه: أن من حمل القرآن وقرأه، لم تمسَّه النار يوم القيامة. وانظر جمال القراء للسخاوي ١/ ١٥٣ ـ ١٥٥.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٦٥). وهو قطعة من حديث عِياض بن حمار المجاشعي، وأخرجه أحمد (١٧٤٨٤). قال النووي في شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٩٨: معناه: محفوظ في الصدور، لايتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على ممر الأزمان. يكون محفوظاً لك في حالتي النوم واليقظة، وقيل: تقرأه في يسر وسهولة.

فثبت بهذا أنَّ كلامَه سبحانه ليس بحرف، ولا يُشبه الحروفَ. والكلامُ في هذه المسألة يطول، وتتميمُها في كتب الأصول، وقد بيَّنَّاها في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى».

فصل

وقد طعن الرافضةُ ـ قبَّحهم الله تعالى ـ في القرآن، وقالوا: إنَّ الواحدَ يكفي في نقل الآيةِ والحرفِ، كما فعلتُم، فإنكم أثبتُّم بقول رجل واحد ـ وهو خُزيمةُ بنُ ثابت وحدَه ـ آخرَ براءة[١]، وقولَه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فالجوابُ: أن خُزيمةَ رضي الله عنه لمَّا جاء بها تَذكَّرَها كثيرٌ من الصحابة، وقد كان زيدٌ يعرفها[٢]، ولذلك قال: فقدتُ آيتَينِ من آخر سورةِ التوبة. ولو لم يعرفها[٣]، لم يَدرِ هل فَقَدَ شيئاً أو لا، فالآيةُ إنما ثَبتَت بالإجماع، لا بخزيمةَ وحدَه.

جوابٌ ثان: إنما ثَبتَت بشهادة خُزيمةَ وحدَه لقيام الدليل على صِحَّتها في صفة النبيِّ ﷺ، فهي قرينة تُغني عن طلب شاهد آخرَ، بخلاف آية الأحزاب، فإنَّ تلك ثبتَت بشهادة زيد وأبي خُزيمةَ، لسماعهما إيَّاها من النبيِّ ﷺ. قال معناه المهلب[٤]، وذكر أنَّ خُزيمةَ غيرُ أبي خُزيمةَ، وأنَّ أبا خُزيمةَ الذي وُجدَت معه آيةُ التوبة معروفٌ من الأنصار، وقد عَرَفه أنسٌ، وقال: نحن وَرِثناه، والتي في الأحزاب وُجدَت مع خُزيمةَ بنِ ثابت، فلا تَعارضَ، والقصةُ غيرُ القصة، لا إشكالَ فيها ولا التباس.

وقال ابنُ عبد البَر: أبو خُزيمةَ لا يُوقَفُ على صحة اسمه، وهو مشهورٌ بكُنيته، وهو أبو خُزيمةَ بنُ أوس بن زيد بن أَصْرم بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وتُوفِّي في خلافةِ عثمانَ بنِ عفان، وهو أخو مسعود بنِ أوس[٥]. قال ابنُ شِهاب، عن عُبَيد بنِ السبَّاق، عن زيدِ بنِ ثابت: وجدتُ آخِرَ التوبة

---

(١) في (م): سورة براءة.

(٢) في (م): لما جاء بهما تذكرهما وقد كان زيد يعرفهما.

(٣) في (م): يعرفهما.

(٤) هو أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أبي صُفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي، ولي قضاء المريَّة. توفي سنة (٤٣٥هـ). سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٩.

(٥) هو أبو محمد الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، قيل: توفي في خلافة عمر. الاستيعاب ١٠/ ٧٩ (بهامش الإصابة).

مع أبي خُزَيمةَ الأنصاري. وهو هذا، ليس[١] بينه وبين الحارث بنِ خُزيمةَ[٢] أبي خزيمة نسبٌ إلا اجتماعُهما في الأنصار، أحدُهما أوسيٌّ، والآخَرُ خَزرَجِيٌّ[٣].

وفي «مسلم» و«البخاري»، عن أنس بن مالك قال: جمعَ القرآنَ على عهد النبيِّ ﷺ أربعةٌ، كلُّهم من الأنصار: أُبَيُّ بنُ كعب، ومعاذُ بنُ جَبَل، وزيدُ بنُ ثابت، وأبو زيد. قلتُ لأنس: مَن أبو زيد؟ قال: أحدُ عمومتي[٤].

وفي «البخاري» أيضاً، عن أنس قال: ماتَ النبيُّ ﷺ ولم يجمعِ القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذُ بن جبل، وزيد، وأبو زيد، ونحن وَرِثْناه[٥].

وفي أُخرى قال: مات أبو زيد ولم يَترك عَقِباً، وكان بَدرِيًّا[٦]، واسمُ أبي زيد: سَعدُ بنُ عُبَيد[٧].

قال ابنُ[٨] الطَّيِّب رضي الله عنه: لا تدلُّ هذه الآثارُ على أنَّ القرآنَ لم يَحفَظه في حياة النبيِّ ﷺ، وأنه لم[٩] يجمعه غيرُ أربعة من الأنصار، كما قال أنسُ بن مالك، فقد ثبتَ بالطرق المتواترة أنه جمعَ القرآنَ عثمانُ، وعليٌّ، وتَميمٌ الداريُّ[١٠]، وعُبادةُ بنُ الصامت، وعبدُ الله بنُ عَمرو بنِ العاص.

فقولُ أنس: لم يجمعِ القرآنَ غيرُ أربعة، يَحتَمِلُ أنه لم يجمعِ القرآنَ، وأخذَه تَلَقِّياً[١١]

---

(١) في (م): وليس.

(٢) شهد بدراً وما بعدها، ومات بالمدينة سنة (٤٠هـ). الاستيعاب ٢/ ٢٣٤.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ١١/ ٢١٤ (بهامش الإصابة)، وقول زيد بن ثابت أخرجه البخاري ضمن حديث جمع القرآن (٤٩٨٦)، وانظر كلام الحافظ في الفتح ٨/ ٣٤٥ و٩/ ١٥.

(٤) صحيح البخاري (٣٨١٠)، وصحيح مسلم (٢٤٦٥)، وهو في مسند أحمد (١٣٩٤٢).

(٥) صحيح البخاري (٥٠٠٤).

(٦) صحيح البخاري (٣٩٩٦).

(٧) ذكر الحافظ في الفتح ٧/ ١٢٨ أن الأرجح في اسمه: قيس بن السكن، وذكر أيضاً في ٩/ ٥٣ أن ابن أبي داود روى بإسناد على شرط البخاري إلى ثمامة عن أنس أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس بن السكن قال: وكان رجلاً منا من بني عدي بن النجار، أحد عمومتي، ومات ولم يدع عقباً، ونحن ورثناه.

(٨) وقع في هذا الموضع وفي المواضع السالفة في (ظ): أبو، وهو خطأ.

(٩) في (م): ولم.

(١٠) أبو رقية، صاحب رسول الله ﷺ، وفد سنة تسع وأسلم، حدث عنه النبي ﷺ بقصة الجسّاسة، توفي سنة (٤٠هـ). سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤٢.

(١١) في (م): تلقيناً.

من في رسول الله ﷺ، غيرُ تلك الجماعة، فإنَّ أكثرَهم أخذَ بعضَه عنه، وبعضَه عن غيره، وقد تظاهرتِ الرواياتُ بأنَّ الأئمةَ الأربعةَ جمعُوا القرآنَ على عهد النبيِّ ﷺ لأجل سَبقِهم إلى الإسلام، وإعظامِ الرسول ﷺ لهم.

قلت: لم يذكر القاضي عبدَ الله بنَ مسعود وسالماً مولى أبي حُذيفة[١] رضي الله عنهما فيما رأيت، وهما ممَّن جمعَ القرآن.

روى جريرٌ، عن عبد الله بن يزيدَ الصُّهباني، عن كُمَيْل قال: قال عمرُبن الخطاب: كنتُ مع رسول الله ﷺ، ومعه أبو بكر، ومن شاء الله، فمرَرنا بعبد الله بنِ مسعود وهو يُصلِّي، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن هذا الذي يقرأُ القرآن ؟» فقيل له: هذا عبدُ الله بنُ أُمِّ عَبد، فقال: «إنَّ عبدَ الله يَقرأُ القرآنَ غَضًّا كما أُنْزِلَ»[٢] الحديث.

قال بعضُ العلماء: معنى قوله: «غَضًّا كما أُنزل» أي: إنه كانَ يقرأُ الحرفَ الأوَّلَ الذي أُنزِل عليه القرآنُ دون الحروفِ السبعة التي رُخِّصَ لرسول الله[٣] ﷺ في قراءته عليها بعد معارضة[٤] جبريلَ عليه السلام القرآنَ إيَّاه في كلِّ رمضان.

وقد روى وكيعٌ وجماعةٌ معه، عن الأعمش، عن أبي ظَبْيان قال: قال لي عبدُ الله بنُ عباس: أيَّ القراءتين تقرأ ؟ قلتُ: القراءةَ الأولى؛ قراءةَ ابنِ أُمِّ عَبْد، فقال لي: بل هي الآخِرةُ[٥]، إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَعرِضُ القرآنَ على جبريلَ في كلِّ عام مرَّة، فلما كان العامُ الذي قُبِضَ فيه رسولُ الله ﷺ، عَرَضَه عليه مرَّتين، فحضَرَ ذلك عبدُ الله، فعَلِمَ ما نُسِخَ من ذلك، وما بُدِّل[٦].

---

(١) أبو حذيفة: هو ابنُ عتبة بن ربيعة، القرشي، قيل: اسمه مِهشَم، أحدُ السابقين، وقد أسلم قبل دخولهم دار الأرقم، استشهد هو ومولاه سالم يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة. ومولاه سالم، هو ابنُ معقل، أصلُه من اصطخر، وهو من السابقين الأولين، وهو الذي أرضعته سهلة بنتُ سهيل زوجة أبي حذيفة لتظهر عليه، وخُصَّا بذلك الحكم عند جمهور العلماء. السير ١/ ١٦٤ ـ ١٦٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣١٧ من الطريق التي ذكرها المصنف، لكن قال فيه: عن علي قال: كنتُ مع النبي ﷺ... الحديث. وكذا ذكره الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة ١١/ ٦٠٠. فلعلَّ قوله أعلاه: عمر بن الخطاب، خطأٌ، أو وهم. وقد أخرجه أحمد في المسند (١٧٥) من طريق إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عمر بن الخطاب، وأخرجه أيضاً (٤٢٥٥) من طريق عاصم، عن زر، عن ابن مسعود.

(٣) في النسخ الخطية: رسول الله، والمثبت من (م).

(٤) في النسخ الخطية: معارضته، والمثبت من (م).

(٥) في (ظ): لا بل الآخرة.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤٢٢)، وإسناده صحيح.

وفي «صحيح» مسلم عن عبد الله بنِ عَمرو قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «خُذُوا القرآنَ من أربعة: من ابنِ أمِّ عبد. فبدأ به. ومعاذِ بنِ جَبَل، وأُبَيِّ بنِ كَعب، وسالم مَولى أبي حُذَيفةَ»[١].

قلتُ: هذه الأخبارُ تدلُّ على أنَّ عبدَ الله جمعَ القرآنَ في حياة رسول الله ﷺ، خلافَ ما تقدَّم[٢]. والله أعلم.

وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب «الرَّد»: حدثنا محمدُ بن شَهرَيار، حدثنا حسينُ بنُ الأسود، حدثنا يحيى بنُ آدمَ، عن أبي بكر، عن أبي إسحاقَ قال: قال عبدُالله بن مسعود: قرأتُ من في رسول الله ﷺ ثنتين وسبعين سورة ـ أوثلاثاً وسبعين سورة ـ وقرأتُ عليه من البقرة إلى [قوله تعالى]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قال أبو إسحاق: وتعلَّم عبدُ الله بقيَّةَ القرآن من مُجَمِّعِ بنِ جارِيَةَ الأنصاريِّ.

قلت: فإن صَحَّ هذا، صحَّ الإجماعُ الذي ذكره يزيدُ بن هارون، فلذلك لم يذكُره القاضي أبو بكر بنُ الطَّيِّب مع مَنْ جمع القرآنَ وحَفِظَه في حياة النبيِّ ﷺ. والله أعلم.

قال أبو بكر الأنباري: حدثني إبراهيمُ بن موسى الجَوْزي[٣]، حدثنا يوسفُ بن موسى، حدثنا مالك بن إسماعيلَ، حدثنا زهيرٌ، عن أبي إسحاقَ قال: سألتُ الأسودَ: ما كان عبدُ الله يصنعُ بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يَعلَمُها[٤] حتى قَدِم الكوفةَ. قال: وقد قال بعضُ أهلِ العلم: مات عبدُ الله بن مسعود رحمه الله قبلَ أن يتعلَّمَ المعوِّذَتَيْن. فلهذه العلةِ لم تُوجدا في مصحفه، وقيل غيرُ هذا على ما يأتي بيانُه آخِرَ الكتاب، عند ذكر المعوِّذتين، إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر: والحديثُ الذي حدثناه إبراهيمُ بن موسى، حدثنا يوسفُ بن موسى، حدثنا عُمر بن هارون الخُراساني، عن ربيعةَ بن عثمان، عن محمد بن كعب القُرَظِيِّ قال: كان ممَّن ختمَ القرآنَ ورسولُ الله ﷺ حيٌّ: عثمانُ بنُ عفان، وعليُّ بنُ أبي

(١) صحيح مسلم (٢٤٦٤)، وهو عند أحمد (٦٧٩٠).

(٢) ص ٨٨.

(٣) في (م): الخوزي، وهو خطأ، انظر السير ١٤/ ٢٣٤.

(٤) في (د): تعلَّمها.

طالب، وعبدُ الله بنُ مسعود، رضي الله عنهم، حديثٌ ليس بصحيح عند أهل العلم، إنما هو مقصورٌ على محمد بن كعب، فهو مقطوع، لا يُؤخذ به، ولا يُعوَّلُ عليه.

قلت: قوله عليه السلام: «خُذُوا القرآنَ من أربعة: من ابنِ أُمِّ عَبد» يدلُّ على صِحَّته، ومما يبيِّنُ لك ذلك أنَّ أصحابَ القراءات من أهل الحجاز والشامِ والعراقِ، كلٌّ منهم عَزَا قراءَتَه التي اختارها إلى رجل من الصحابة، قرأها على رسول الله ﷺ، لم يستثن من جملة القرآنِ شيئاً، فأسندَ عاصمٌ[١] قراءتَه إلى عليٍّ وابنِ مسعود، وأسندَ ابنُ كثير[٢] قراءتَه إلى أُبَيٍّ، وكذلك أبو عمرو بنُ العلاء[٣]؛ أسندَ قراءتَه إلى أُبَيٍّ، وأما عبدُ الله بنُ عامر[٤]، فإنه أسنَدَ قراءتَه إلى عثمان، وهؤلاء كلُّهم يقولون: قرأنا على رسول الله ﷺ، وأسانيدُ هذه القراءات متصلةٌ، ورجالُها ثقاتٌ. قاله الخَطَّابي[٥].

باب ما جاء في ترتيب سُوَر القرآن وآياته، وشَكْلِه ونَقْطِه، وتَحْزِيبِه، وتعشيرِه، وعددِ حروفِه، وأجزائِه[٦]، وكلماتِه، وآيِه

قال ابنُ الطَّيِّب: إن قال قائلٌ: قد اختلفَ السَّلَفُ في ترتيبِ سُوَرِ القرآن، فمنهم مَن كتبَ في مُصحفه السورَ على تاريخ نزولها، وقَدَّم المكيَّ على المدنيِّ، ومنهم مَن جَعَلَ في أوَّل مصحفه: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، ومنهم مَن جعلَ في أوَّله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، وهذا أوَّلُ مصحف عليٍّ رضي الله عنه. وأما مصحفُ ابن مسعود؛ فإنَّ أوَّلَه: ﴿مَٰلِكِ

(١) هو عاصم بنُ أبي النَّجود بَهدَلة (وقيل: بهدلة أمُّه) أبو بكر الأسدي، شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القُرَّاء السبعة. توفي آخر سنة (١٢٧هـ). سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٦.

(٢) هو عبد الله بن كثير، مقرئُ مكة، أحد القُرَّاء السبعة، أبو معبد الكناني. توفي سنة (١٢٠هـ). السير ٥/ ٣١٨.

(٣) البصري، أحد القراء السبعة، اختلف في اسمه على أقوال، أشهرها زبَّان، كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب، مدحه الفرزدق وغيره، توفي سنة (١٥٤هـ)، وقيل (١٥٧هـ). السِّيَر ٦/ ٤٠٧.

(٤) أبو عمران اليَحصُبي، الدمشقي، مقرىء الشام، أحد القُرَّاء السبعة، توفي سنة (١٢٨هـ). السِّيَر ٥/ ٢٩٢.

(٥) في أعلام الحديث ٣/ ١٨٥٥.

(٦) في (ظ): وأحزابه، وهو تكرار.

﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ثم البقرة، ثم النساء، على ترتيب مختلف. وفي مصحف[١] أبَيٍّ كان أوَّلُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [ثم البقرة] ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائدة، ثم كذلك على اختلاف شديد.

قال القاضي أبو بكر بنُ الطَّيِّب: فالجواب أنه يَحتمل أن يكونَ ترتيبُ السور على ما هي عليه اليومَ في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة[٢].

وذكر ذلك مكيٌّ رحمه الله في تفسير سورة براءة[٣]، وذكر أنَّ ترتيبَ الآيات في السور، ووضعَ البَسملة في الأوائل، هو من النبيِّ ﷺ، ولما لم يأمُر بذلك في أوَّل سورة براءة، تُركت بلا بسملة. هذا أصحُّ ما قيل في ذلك، وسيأتي[٤].

وذكر ابنُ وَهْب في «جامعه» قال: سمعتُ سليمانَ بنَ بلال[٥] يقول: سمعتُ ربيعةَ[٦] يُسأل: لم قُدِّمتِ البقرةُ وآلُ عمران، وقد نزلَ قبلَهما بضعٌ وثمانون سورة، وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعةُ: قد قُدِّمتا، وأُلِّف القرآنُ على علم ممَّن ألَّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ننتهي إليه، ولانَسألُ[٧] عنه.

وقد ذكر سُنَيْدٌ[٨] قال: حدثنا مُعتَمِرٌ، عن سلَّام بنِ مسكين، عن قتادةَ قال: قال ابنُ مسعود: مَن كان منكم متأسِّياً، فَليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمةِ قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تَكَلُّفاً، وأقومَها هَدياً، وأحسنَها حالاً، اختارهم اللهُ لصحبة نبيِّه ﷺ، وإقامة دينه، فاعْرِفوا لهم فضلَهم، واتَّبِعُوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم.

---

(١) في (م): ومصحف.

(٢) الانتصار (١٦٥ ـ ١٦٦ مخطوط) بتصرف واختصار، وما بين حاصرتين منه.

(٣) لعله ذكر ذلك في كتابه «الهداية إلى بلوغ النهاية» في معاني القرآن وأنواع علومه في سبعين جزءًا، ذكره صاحب هدية العارفين ٦/ ٤٧١.

(٤) في أول سورة براءة.

(٥) القرشي التيمي مولاهم، المدني، المفتي الحافظ، توفي سنة (١٧٢هـ). السير ٧/ ٤٢٥.

(٦) هو ابنُ أبي عبد الرحمن، أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن القرشي، المشهور بربيعة الرأي، مفتي المدينة، توفي سنة (١٣٦هـ) السير ٦/ ٨٩. ولم نجد قول ابن وهب في جامعه الذي بين أيدينا.

(٧) في (ظ): تسأل.

(٨) هو ابنُ داود المِصِّيصي، من رجال التهذيب.

وقال قومٌ من أهل العلم: إنَّ تأليفَ سُوَر القرآن على ما هو عليه في مُصحفنا كان عن توقيف من النبيِّ ﷺ، وأمَّا ما رُوي من اختلاف مُصحفِ أُبَيٍّ وعليٍّ وعبدِ الله، فإنما[١] كان قبلَ العَرضِ الأخير، وإنَّ رسولَ الله ﷺ رتَّبَ لهم تأليفَ السور بعد أن لم يكُن فعلَ ذلك.

روى يونسُ، عن ابنِ وَهْب قال: سمعتُ مالكاً يقول: إنما أُلِّف القرآنُ على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ.

وذكر أبو بكر الأنباريُّ في كتاب «الردّ» أنَّ الله تعالى أنزلَ القرآنَ جملة إلى سماء الدُّنيا، ثم فُرِّقَ على النبيِّ ﷺ في عشرين سنة، وكانت السورةُ تَنزِلُ في أمر يحدُثُ، والآيةُ جواباً لمستخبرٍ يَسأل، ويُوقِفُ جبريلُ رسولَ الله ﷺ على موضع السورة والآية، فاتِّساقُ السُّور كاتِّساق الآيات والحروف، فكلُّه عن محمد خاتم النبيِّين عليهم السلام، عن ربِّ العالمين، فمَن أخَّرَ سورة مُقدَّمة، أو قَدَّمَ أخرى مُؤخَّرة، فهو كمن أفسدَ نَظْمَ الآيات، وغيَّر الحروفَ والكلماتِ، ولا حُجَّةَ على أهل الحقِّ في تقديم البقرةِ على الأنعام ـ والأنعامُ نزلَت قبلَ البقرة ـ لأنَّ رسولَ الله ﷺ أُخِذَ عنه هذا الترتيبُ، وهو كان يقول: «ضَعُوا هذه السورةَ موضعَ كذا وكذا من القرآن»[٢]. وكان جبريلُ عليه السلام يَقِفُ على مكان الآيات.

حدثنا حسنُ بن الحُبَاب، حدثنا أبو هشام، حدثنا أبو بكر بنُ عيَّاش، عن أبي إسحاقَ، عن البراء قال: آخِرُ ما نزلَ من القرآن[٣]: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦][٤].

قال أبو بكر بنُ عيَّاش: وأخطأ أبو إسحاقَ، لأنَّ محمدَ بنَ السائب حدثنا عن أبي صالح[٥]، عن ابن عباس قال: آخِرُ ما نزلَ من القرآن: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ

(١) في النسخ الخطية: إنما، والمثبت من (م).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٩) من حديث عثمان بن عفان مطولاً.

(٣) قوله: من القرآن، ليس في (ظ).

(٤) أبو هشام ـ وهو محمد بن يزيد الرفاعي ـ ضعيف، لكن الحديث صحيح، فقد أخرجه من وجه آخر البخاري (٤٣٦٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) في النسخ الخطية و(م): عن أبي السائب، وهو خطأ.

﴿إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]. فقال جبريلُ للنبيِّ عليهما السلام: يا محمدُ، ضَعْها في رأس ثمانين ومئتين من البقرة[١].

قال أبو الحسن بنُ بطَّال: ومَن قالَ بهذا القولِ، لا يقولُ: إنَّ تلاوةَ القرآن في الصلاة والدرس يجب أن تكونَ مرتَّبةً على حسب الترتيب الموقَّف عليه في المصحف، بل إنما يجب تأليفُ سُوَرِهِ في الرسم والخطِّ خاصَّة، ولا يُعلَمُ أنَّ أحداً منهم قال: إنَّ ترتيبَ ذلك واجبٌ في الصلاة، وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنه لا يَحِلُّ لأحد أن يَتلقَّنَ الكهفَ قبلَ البقرة، ولا الحجَّ قبل[٢] الكهف. ألا ترى قولَ عائشةَ رضي الله عنها للذي سألها: لا يَضرُّكَ أيَّهُ قرأتَ قبلُ[٣]؟

وقد كان النبيُّ ﷺ يقرأ في الصلاة السورةَ في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي تليها.

وأما مارُوي عن ابن مسعود وابن عمر، أنهما كَرِها أن يُقرأَ القرآنُ منكوساً، وقالا: ذلك منكوسُ القلب[٤]؛ فإنما عَنَيا بذلك مَن يقرأُ السورةَ منكوسة، ويَبتدئُ من آخرها إلى أوَّلها، لأنَّ ذلك حرامٌ محظورٌ، ومن الناس مَن يتَعاطى هذا في القرآن والشِّعر، لِيُذَلِّلَ لسانَه بذلك، ويَقدِرَ على الحفظ، وهذا حظَره اللهُ تعالى، ومنعَه في القرآن؛ لأنه إفسادٌ لِسُوَرِه، ومخالفةٌ لما قُصِدَ بها.

ومما يدلُّ على أنه لا يجب إثباتُه في المصاحف على تاريخ نزوله، ما صحَّ وثبتَ أنَّ الآياتِ كانت تَنزِلُ بالمدينة، فتُوضَعُ في السورة المكيَّة. ألا ترى قولَ عائشةَ رضي

---

(١) محمد بن السائب: هو الكلبي، وقد تكلموا فيه، وأبو صالح (وهو باذام ـ ويقال باذان ـ مولى أم هانىء) ضعيف. والكلبي معروف بروايته عنه، وقد أخرجه الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ١٨٣ عن أبي بكر بن عياش، بهذا الإسناد. وكذلك أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٣٧ من طريق سفيان الثوري، عن الكلبي بنحوه. وقد صحَّ هذا الحديث من طرق أخرى فيما أخرجه الطبري في التفسير ٥/ ٦٧ وغيرُه. وجمع الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٢٠٥ بين هذه الرواية والرواية السالفة بأن الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلاً منهما آخر بالنسبة لما عداهما.

(٢) في النسخ الخطية: بعد، والمثبت من (م).

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٤٩٩٣).

(٤) أثر صحيح، وأخرجه عبد الرزاق (٧٩٤٧)، وابن أبي شيبة ١٠/ ٥٦٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٣١٢) و(٢٣١٣) من طريقين عن الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود.

الله عنها: وما نزلَت سورةُ البقرة والنساء إلا وأنا عنده[١] ؟ يعني بالمدينة. وقد قُدِّمَتا في المصحف على ما نزلَ قبلَهما من القرآن بمكة. ولو ألَّفوه[٢] على تاريخ النزول، لوجب أن يَنتقِضَ ترتيبُ آياتِ السُّوَر.

قال أبو بكر الأنباريُّ: حدثنا إسماعيلُ بن إسحاق القاضي، حدثنا حجَّاج بن مِنهال، حدثنا همَّامٌ، عن قتادةَ قال: نزلَ بالمدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرَّعد، والنَّحل، والحجّ، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحُجُرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحَشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، ويا أيها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ إلى رأس العَشر، وإذا زُلزلت، وإذا جاء نصرُ الله. هؤلاء السُّوَرُ نزلنَ[٣] بالمدينة، وسائرُ القرآن نزل بمكة[٤].

قال أبو بكر: فمَن عَمِلَ على تركِ الأثر، والإعراضِ عن الإجماع، ونظَمَ السُّوَرَ على منازلها بمكةَ والمدينة، لم يَدرِ أينَ تقعُ الفاتحةُ، لاختلاف الناس في موضع نزولِها، ويضطرُّ إلى تأخير الآية التي في رأس خمس وثلاثين ومئتين من البقرة إلى رأس الأربعين، ومن أفسَدَ نَظمَ القرآن، فقد كفرَ به، وردَّ على محمد ﷺ ما حكاه عن رَبِّه تعالى.

وقد قيل: إنَّ عِلَّةَ تقديمِ المدنيِّ على المكِّيِّ هو أنَّ الله تعالى خاطَبَ العربَ بلغتها، وما تعرِفُ من أفانين خطابها ومحاورتها، فلما كان فَنٌّ من كلامِهم مبنيًّا على تقديمِ المؤخَّر، وتأخيرِ المقدَّم، خُوطبوا بهذا المعنى في كتاب الله تعالى، الذي لو فقدوه من القرآن، لقالوا: ما بالُه عَرِيَ من هذا الباب الموجود في كلامنا، المُستَحلَى من نِظامنا. قال عَبِيدُ بنُ الأبرص[٥]:

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٤٩٩٣).

(٢) في (ظ): أبقوه.

(٣) في (ظ): نزلت.

(٤) وأورده كذلك السيوطي في الإتقان ١/ ١١ ـ ١٢ عن ابن الأنباري.

(٥) شاعر جاهلي قديم، من المعمَّرين، شهد مقتل حُجر أبي امرىء القيس. الشعر والشعراء ١/ ٢٦٧، وذكره ابن سلَّام الجُمحي في الطبقة الرابعة من طبقاته ١/ ١٣٨، وقال: قديم، عظيم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب. والبيتان في ديوانه ص٢٤.

أن بُدِّلَتْ أَهلَها وُحوشاً[١] وغَيَّرتْ حالَها الخُطوبُ
عَيناكَ دَمعُهُما سَروبُ كأنَّ شَأنَيهِما شَعِيبُ

أراد: عيناكَ دمعُهما سَروبُ لأَنْ تَبدَّلَت من أهلها وُحوشاً، فقَدَّمَ المؤخَّر، وأخَّرَ المقدَّمَ. ومعنى سَروب: منصبٌّ على وجه الأرض من كثرته[٢]، ومنه السارِب، للذاهب على وجهِه في الأرض. قال الشاعر[٣]:

أنَّى سَرَبتِ وكُنتِ غيرَ سَرُوبِ

وقوله: شَأنَيهما؛ الشأنُ: واحدُ الشؤون، وهي مَوَاصِلُ قبائلِ الرأس ومُلتقاها[٤]، ومنها يجيءُ الدمع[٥]. شَعِيب: مُتفرِّق.

فصل[٦]

وأما شَكْلُ المصحف ونَقْطُه، فَرُوِيَ أنَّ عبدَ الملك بنَ مروان[٧] أمرَ به وعَمِلَه، فتجرَّد لذلك الحجَّاجُ[٨] بواسِط، وجدَّ فيه، وزادَ تحزيبَه[٩]، وأمرَ ـ وهو والي العراق ـ

(١) اضطربت النسخ في هذا الشطر من البيت، فوقع في (ظ): لأن تبدَّلت من أهلها وحوشاً (وعليه شرحَ المصنف)، وفي (د): أن يبدل من أهلها...، وفي (م): أن بدلت منهم...، وما أثبتناه من ديوانه ص٢٤. وقد اختلفت المصادر في روايته، فوقع في جمهرة أشعار العرب لابن أبي الخطاب القرشي ص ٤٦٠: أإن تبدَّلت من أهلها...، وأعاده ص ٤٦٢: أن بدلت من أهلها. وفي شرح القصائد العشر للتبريزي ص ٣٢٥: وبُدِّلت من أهلها...، وفي المعلقات العشر للشنقيطي ص ١٧٠: وبُدِّلَت منهم... ونقل شارح ديوانه ص ٢٤ عن ابن كناسة قوله: لم أرَ أحداً يُنشد هذه القصيدة على إقامة العَروض.

(٢) قوله: من كثرته، ليس في (م).

(٣) هو قيس بنُ الخَطِيم، من الأوس، أدرك الإسلام ولم يسلم، ذكره ابن سلَّام في طبقاته ١/ ٢١٥. وتمام البيت: وتُقَرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريب. وهو في ديوانه ص٥٥.

(٤) في (د) و(ظ): وملتقاهما.

(٥) في (د) و(ظ): الدموع.

(٦) هذا الفصل بتمامه من المحرر الوجيز ١/ ٥٠.

(٧) ابن الحكم بن أبي العاص، الأموي، الخليفة، من رجال الدهر ودهاة الرجال، مات سنة (٨٦هـ). السير ٤/ ٢٤٦.

(٨) ابن يوسف الثقفي، توفي سنة (٩٥هـ). السير ٤/ ٣٤٣.

(٩) في (ظ): تجزئته.

الحسنَ ويحيى بنَ يَعمَرَ[١] بذلك، وألَّفَ إثرَ ذلك بوَاسِط كتاباً في القراءات، جمعَ فيه مارُوي من اختلاف الناس فيما وافق الخطَّ، ومشى الناسُ على ذلك زماناً طويلاً، إلى أن ألَّفَ ابنُ مجاهد كتابَه[٢] في القراءات.

وأسندَ الزُّبيديُّ في كتاب «الطبقات»[٣] إلى المبرِّد أنَّ أوَّلَ من نَقَطَ المصحفَ أبو الأسود الدُّؤلي[٤]، وذكر أيضا أنَّ ابنَ سِيرِينَ كان له مُصحفٌ، نَقَطَهُ له يحيى بنُ يَعمَرَ[٥].

فصل

وأما وضعُ الأعشار، فقال ابن عطيَّة: مرَّ بي في بعض التواريخ أنَّ المأمون العباسي[٦] أمر بذلك، وقيل: إنَّ الحجَّاجَ فعل ذلك[٧].

وذكر أبو عمرو الدَّاني في كتاب «البيان»[٨] له عن عبد الله بن مسعود، أنه كَرِه التَّعشيرَ في المصحف، وأنه كان يَحُكُّه. وعن مجاهد أنه كره التعشيرَ والطِّيبَ في المصحف.

وقال أشهبُ[٩]: سمعتُ مالكاً، وسُئلَ عن العُشُور التي تكون في المصحف بالحُمرة وغيرها من الألوان، فكرهَ ذلك، وقال: تَعشِيرُ المصحف بالحِبر لا بأسَ به.

---

(١) هو أبو سليمان العَدواني البصري المقرىء، قاضي مرو، مات قبل سنة (٩٠هـ). السير ٤/ ٤٤١.

(٢) في (د): كتاباً، وابن مجاهد: هو أحمد بن موسى بن العباس، أبو بكر البغدادي، المحدث النحوي شيخ المقرئين، توفي سنة (٣٢٤هـ). السير ١٥/ ٢٧٢.

(٣) ص٢١، والزُّبيدي: هو محمد بن الحسن بن عبيد الله، أبو بكر الأندلسي، إمام النحو، توفي سنة (٣٧٩هـ). السير ١٦/ ٤١٧.

(٤) ظالم بن عمرو، كان معدوداً في الفقهاء والشعراء والمحدِّثين، وهو أول من تكلم في النحو، مات سنة (٦٩هـ). السير ٤/ ٨١.

(٥) المصدر السالف ص ٢٩.

(٦) هو عبد الله بن هارون الرشيد، أبو العباس، الخليفة، مات سنة (٢١٨هـ) السير ١٠/ ٢٧٢.

(٧) المحرر الوجيز ١/ ٥٠.

(٨) لعله البيان في عد آي القرآن، ذكره صاحب هدية العارفين ٦/ ٦٥٣. وقد أخرج أبو عمرو الدَّاني هذه الآثار أيضاً (التي سيوردها المصنف عنه) في كتابه المحكم في نقط المصاحف ص١٤ ـ ١٧. وفيه بدل أشهب: ابنُ وهب، وابن القاسم، وعبد الله بنُ عبد الحكم. وانظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٤٠. ٢٤٢، والمصنَّف لابن أبي شيبة ١٠/ ٥٤٨. ٥٤٩، والمصاحف لابن أبي داود ص ١٣٨. ١٣٩.

(٩) ابنُ عبد العزيز بن داود بن إبراهيم، مفتي مصر، يقال: اسمه مسكين، وأشهب لقب له، سمع مالك بنَ أنس، مات سنة (٢٠٤هـ). «السير» ٩/ ٥٠٠.

وسُئل عن المصاحف يُكتَبُ فيها خَواتِمَ السُّوَرِ في كلِّ سورة ما فيها من آية، قال: إني أكرهُ ذلك في أمَّهات المصاحف أن يُكتَبَ فيها شيء، أو يُشكَلَ، فأما ما يَتعلَّمُ به الغِلمان من المصاحف، فلا أرى بذلك بأساً. قال أشهبُ: ثم أخرج إلينا مُصحفاً لِجَدِّه، كَتَبَهُ إذ كتبَ عثمانُ المصاحفَ، فرأينا[١] خواتِمَهُ من حِبر، على عمل السلسلة في طول السطر، ورأيتُه معجومَ الآي بالحِبر.

وقال قتادة: بدؤوا فنقَطوا، ثم خَمَّسوا، ثم عَشَّروا.

وقال يحيى بنُ أبي كثير: كان القرآنُ مجرَّداً في المصاحف، فأوَّلُ ما أحدثوا فيه النَّقْطُ على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لابأسَ به، هو[٢] نورٌ له، ثم أحدَثوا نَقْطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتِحَ والخواتيمَ[٣].

وعن أبي حمزةَ[٤] قال: رأى إبراهيمُ النَّخَعِيُّ في مُصحفي فاتحةَ سورة كذا وكذا، فقال لي: أُمحُهُ، فإنَّ عبدَ الله بن مسعود قال: لا تَخْلِطُوا في كتاب الله ماليس فيه.

وعن أبي بكر السَّرَّاج[٥] قال: قلتُ لأبي رَزِين[٦]: أأكتبُ في مُصحفي سورةَ كذا وكذا؟ قال: إني أخافُ أن ينشأ قومٌ لا يعرِفونه، فيظنُّونه من القرآن.

قال الدَّاني رضي الله عنه: وهذه الأخبارُ كلُّها تُؤذِنُ بأنَّ التعشيرَ والتخميسَ وفواتِحَ السور ورؤوسَ الآي من عمل الصحابة رضي الله عنهم، قادَهم[٧] إلى عمله الاجتهادُ. وأرى أنَّ من كَرِه ذلك منهم ومن غيرهم، إنما كَرِه أن يُعملَ بالألوان، كالحُمْرةِ والصُّفْرة وغيرِهما، على أنَّ المسلمين في سائر الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك واستعماله في الأمهات وغيرها. والحرَجُ والخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (د): فرأينا قرآناً.

(٢) في (د): ثم هو.

(٣) قال أبو عمرو في المحكم ص١٧: وهذا يدل على التوسعة في ذلك.

(٤) ميمون الأعور الكوفي، صاحب إبراهيم النخعي، من رجال التهذيب.

(٥) هو الزبرقان بن عبد الله الأسدي، كما ذكر ابن أبي داود في المصاحف ص١٣٨، من أهل الكوفة، وذكره ابن حبان في الثقات ٦/ ٣٤١.

(٦) لعله مسعود بن مالك، الكوفي، وهو من رجال التهذيب، وانظر غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٢٩٦.

(٧) في (د): فأداهم، ولم تجوّد اللفظة في (ظ).

فصل

وأما عددُ حُروفِه وأحزابه[١]، فروى سلَّام[٢] أبو محمد الحِمَّاني، أن الحجَّاجَ بنَ يوسف جمع القُرَّاءَ والحُفَّاظَ والكُتَّاب، فقال: أخبِروني عن القرآن كلِّه: كم من حرفٍ هو ؟. قال: وكنتُ فيهم، فحسَبنا، فأجمَعنا على أنَّ القرآن ثلاثُ مئة ألفِ حرفٍ، وأربعون ألفَ حرف، وسبعُ مئة حرف، وأربعون حرفاً. قال: فأخبِروني إلى أيِّ حرف ينتهي نصفُ القرآن ؟ فإذا هو في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [١٩] في الفاء. قال: فأخبِروني بأثلاثه، فإذا الثُّلثُ الأوَّلُ رأسُ مئة من براءة، والثلثُ الثاني رأسُ مئة ـ أو إحدى ومئة ـ من «طسم» الشعراء، والثُّلثُ الثالثُ ما بقي من القرآن. قال: فأخبروني بأسباعه على الحروف، فإذا أوَّلُ سُبع في النساء: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ [٥٥] في الدال، والسُّبعُ الثاني في الأعراف: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾[٣] [١٤٧] في التاء، والسُّبعُ الثالثُ في الرَّعد: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [٣٥] في الألف من آخِر ﴿أُكُلُهَا﴾، والسُّبعُ الرابعُ في الحجِّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾[٣٤] في الألف، والسُّبعُ الخامسُ في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [٣٦] في الهاء، والسُّبعُ السادسُ في الفتح: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[٦] في الواو، والسُّبعُ السابعُ ما بقي من القرآن.

قال سلَّامٌ أبو محمد: عملناه في أربعة أشهر، وكان الحجَّاجُ يقرأُ في كلِّ ليلة رُبعاً، فأوَّلُ رُبعه خاتِمةُ الأنعام، والرُّبعُ الثاني في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [١٩] في الفاء[٤]. والربعُ الثالثُ خاتمةُ الزُّمَر، والربعُ الرابعُ مابقي من القرآن[٥]. وفي هذه الجملة خلافٌ مذكورٌ في كتاب «البيان» لأبي عمرو الدَّاني، من أراد الوقوفَ عليه، وجدَه هناك.

---

(١) في (م): وأجزائه.

(٢) قال ابنُ أبي داود في المصاحف ص١١٩: إنما هو راشد. اهـ وهو ابنُ نَجِيح الحِمَّاني، من رجال التهذيب.

(٣) في النسخ وعند ابن أبي داود: أولئك حبطت، وهو خطأ.

(٤) قوله: في الفاء، ليس في (م).

(٥) أخرجه ابنُ أبي داود في المصاحف ص ١١٩ ـ ١٢٠.

فصل

وأما عددُ آي القرآن في المدنيِّ الأوَّل[١]، فقال محمدُ بن عيسى[٢]: جميعُ عدد آي القرآن في المدني الأوَّل ستةُ آلاف آية.

قال أبو عمرو: وهو العدد الذي رواه أهلُ الكوفة عن أهل المدينة، ولم يُسَمُّوا في ذلك أحداً بعينه يُسندونه إليه.

وأما المدنيُّ الأخير، فهو في قول إسماعيلَ بن جعفر[٣] ستةُ آلاف آية، ومئتا آية، وأربعَ عَشْرةَ آية.

وقال الفضلُ[٤]: عددُ آي القرآن في قول المكيِّين ستةُ آلاف آية، ومئتا آية، وتسعَ عَشْرةَ آية.

قال محمدُ بن عيسى: وجميعُ عددِ آيِ القرآن في قول الكوفيِّين ستةُ آلاف آية، ومئتا آية، وثلاثون وستُّ آيات، وهو العددُ الذي رواه سُليم[٥] والكِسائيُّ[٦]، عن حمزةَ[٧]، وأسنده الكِسائي إلى عليٍّ رضي الله عنه.

---

(١) نقل السيوطي في الإتقان ص ٦٧ عن أبي عبد الله الموصلي أن لأهل المدينة في عدد آي القرآن عددَين، الأول: لأبي جعفر يزيد بن القعقاع (وهو من العشرة)، وشيبة بن نصاح مولى أم سَلَمة وختن أبي جعفر. والثاني: لإسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري، وسيرد ذكره.

(٢) محمد بن عيسى بن إبراهيم، أبو عبد الله الأصبهاني، إمام في القراءات، وله اختيار في القراءة، صنف كتاب الجامع في القراءات، وكتاباً في العدد، وغيرهما. مات سنة (٢٥٣هـ). طبقات القراء ٢/ ٢٢٣.

(٣) هو إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، الإمام الحافظ، أبو إسحاق الأنصاري، كان مقرىء المدينة في زمانه. توفي سنة (١٨٠هـ). السير ٨/ ٢٣٠، وطبقات القراء ١/ ١٦٣.

(٤) هو الفضل بن شاذان بن عيسى، أبو العباس الرازي، قال الداني: لم يكن في دهره مثل علمه وفهمه وعدالته وحسن اطلاعه، مات في حدود (٢٩٠هـ). طبقات القراء ٢/ ١٠.

(٥) هو سُليم بن عيسى بن سليم، أبو عيسى ـ ويقال: أبو محمد ـ الحنفي مولاهم الكوفي المقرىء، عرض القرآن على حمزة، وهو أخصُّ أصحابه، توفي سنة (١٨٨هـ)، وقيل غير ذلك. طبقات القراء ١/ ٣١٨ وانظر السير ٩/ ٣٧٥.

(٦) أبو الحسن عليُّ بنُ حمزة شيخُ القراءة والعربية، اختار قراءة اشتهرت وصارت إحدى السَّبع، مات بالري سنة (١٨٩هـ). السير ٩/ ١٣١، وطبقات القراء ١/ ٥٣٥.

(٧) هو ابن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، أبو عمارة، التيمي، مولاهم، الكوفي، الزيات، شيخ القراء. توفي سنة (١٥٦هـ). انظر السير ٧/ ٩٠.

قال محمد: وجميعُ عددِ آي القرآن في عدد البصريين ستةُ آلاف، ومئتان، وأربعُ آيات، وهو العددُ الذي مضى عليه سلفُهم حتى الآن.

وأما عددُ أهل الشام، فقال يحيى بنُ الحارث الذِّماري[١]: ستةُ آلاف ومئتان، وستٌّ وعشرون. وفي رواية: ستةُ آلاف ومئتان وخمسٌ وعشرون، نقصَ آية.

قال ابن ذَكوان[٢]: فظننتُ أنَّ يحيى لم يعدَّ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾.

قال أبو عمرو: فهذه الأعدادُ التي يتداولُها الناسُ تأليفاً، ويعدُّون بها في سائر الآفاق قديماً وحديثاً.

وأما كلماتُه؛ فقال الفضلُ بنُ شاذان: جميعُ كلمات[٣] القرآن ـ في قول عطاء بن يسار ـ سبعةٌ وسبعون ألفاً، وأربعُ مئة، وتسعٌ وثلاثون كلمة. وحروفهُ ثلاثُ مئة ألف، وثلاثةٌ وعشرون ألفاً، وخمسةَ عشرَ حرفاً.

قلت: هذا يُخالف ما تقدَّم عن الحِمَّاني قبل هذا.

وقال عبدُ الله بن كثير، عن مجاهد قال: هذا ما أَحصَينا من القرآن، وهو ثلاثُ مئة ألف حرف، وأحدٌ وعشرون ألفَ حرف، ومئة وثمانون حرفاً، وهذا يخالف ما ذكره قبل هذا عن الحِمَّاني من عدد[٤] حروفه.

باب ذكر معنى السورة والآية والكلمة والحرف

معنى السُّورةِ في كلام العرب: الإبانةُ لها من سُورة أخرى، وانفصالُها عنها، وسُمِّيت بذلك لأنه يرتفعُ فيها من منزلة إلى منزلة. قال النَّابغةُ[٥]:

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ اللهَ أعـطَـاكَ سُـورةً تَـرىَ كُـلَّ مَـلْـك دُونَـهـا يَـتَـذَبـذَبُ

---

(١) أبو عمرو الغساني الذِّماري، ثم الدمشقي، شيخ المقرئين إمام جامع دمشق، مات سنة (١٤٥هـ). السير ٦/ ١٨٩.

(٢) عبد الله بن أحمد، أبو عمرو، القرشي الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام، وإمام جامع دمشق. توفي سنة (٢٤٢هـ). طبقات القراء ١/ ٤٠٤.

(٣) في النسخ الخطية: كلام، والمثبت من (م).

(٤) في (م): عدّ.

(٥) زياد بن معاوية الذبياني، يكنى أبا أمامة، والنابغة لقب له، من فحول الشعراء. والبيت في ديوانه ص ١٨. وانظر الشعر والشعراء ١/ ١٥٧.

أي: منزلةَ شرَف، ارتفعتَ إليها عن مَنزِل الملوك.

وقيل: سُمِّيت بذلك لِشَرَفِها وارتفاعِها، كما يُقال لما ارتفعَ من الأرض: سُور.

وقيل: سُمِّيت بذلك لأنَّ قارئها يُشرِفُ على ما لم يكن عنده، كسُورِ البناء. كلُّه بغير همز.

وقيل: سُمِّيت بذلك لأنها قُطِعَت من القرآن على حِدَة، من قول العرب للبقيَّة: سُؤر، وجاء في أسآرِ الناس، أي: بقاياهم، فعلى هذا يكون الأصلُ: سُؤرة بالهمزة، ثم خُفِّفَت، فأُبدلت واواً، لانضمام ما قبلَها.

وقيل: سُمِّيت بذلك لتمامها وكمالها، من قول العرب للناقة التامَّة: سُورة.

وجمعُ سُورة: سُوَر، بفتح الواو. وقال الشاعر:

سُودُ المَحاجِرِ لا يَقرَأنَ بالسُّوَرِ[1]

ويجوز أن يُجمع على: سُوْرَات، وسُوَرَات.

وأما الآيةُ، فهي العلامةُ، بمعنى أنها علامةٌ لانقطاع الكلامِ الذي قبلَها من الذي بعدَها وانفصالِه، أي: هي بائنةٌ من أختها ومنفردةٌ. وتقولُ العربُ: بيني وبين فلان آيةٌ، أي: علامةٌ، ومن ذلك قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وقال النابغة[2]:

تَوَهَّمْتُ آياتٍ لها فَعَرَفْتُها لِستَّةِ أعوامٍ وذا العامُ سابعُ

وقيل: سُمِّيَت آية، لأنها جماعةُ حروف من القرآن، وطَائفةٌ منه، كما يقال: خرج القومُ بآيَتِهم[3]، أي: بجماعتهم. قال بُرْجُ بنُ مُسْهِر الطائي[4]:

خَرَجْنا من النَّقْبَينِ لا حَيَّ مِثلُنا بآيَتِنا[5] نُزجي اللِّقاحَ المَطافِلا

---

(١) قائله الراعي، أبو جندل، عُبيد بن حُصَين النُّميري، من شعراء العصر الأموي. وصدر البيت: هنَّ الحرائرُ لَا ربَّاتُ أحمرة. وهو في ديوانه ص ١٢٢. وينظر الشعر والشعراء ١/ ٤١٥. ونُسب البيت أيضاً للقتَّال الكلابي، وهو في ديوانه ص ٥٣، وسيرد البيت بتمامه عند تفسير الآية (٢٠) من سورة المؤمنون.

(٢) ديوانه ص ٧٩.

(٣) في (م): بآياتهم.

(٤) ابن الجُلاس، أحدُ بني جَديلة، ثم أحدُ بني طَريف، من معمَّري الجاهلية. ينظر المؤتلف والمختلف للآمدي ص٨٠، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/ ٦٨١، والبيت في إصلاح المنطق لابن السكيت ص٣٣٧، والتنبيهات لعلي بن حمزة البصري ص٣٠٨، وانظر اللسان (أيا)، وخزانة الأدب ٦/ ٥١٥.

(٥) في (م): بآياتنا.

وقيل: سُمِّيَت آيةً، لأنها عَجَبٌ، يَعجِزُ البشرُ عن التكلُّم بمثلها[١].

واختلف النَّحويون في أصل «آية»، فقال سيبويه[٢]: أَيَيَة على فَعَلَة، مثل: أَكَمَة، وشَجَرَة، فلما تحرَّكت الياءُ، وانفتحَ ما قبلَها، انقلَبَت ألفاً، فصارَت آية، بهمزة بعدَها مدَّة.

وقال الكِسائيُّ: أصلُها آيِيَة، على وزن فاعلة، مثلُ آمِنة، فقُلِبَتِ الياء ألفاً، لتحرُّكها وانفتاحِ ماقبلها، ثم حذفَت، لالتباسِها بالجمع[٣].

وقال الفرَّاء[٤]: أصلُها أيّية؛ بتشديد الياء الأولى، فقُلِبَت ألفاً كراهةً للتشديد، فصارَت آية[٥].

وجمعُها آيٌ، وآياتٌ، وآياءٌ. وأنشدَ أبو زيد[٦]:

لم يُبْقِ هذا الدَّهرُ من آيائِه ... غيرَ أثافِيه وأرْمِدائِهِ[٧]

وأما الكلمةُ، فهي الصورةُ القائمةُ بجميع مايختلطُ بها من الشُّبُهات، أي: الحروف. وأطولُ الكَلِم في كتاب الله عزَّ وجلَّ مابلغَ عَشَرةَ أحرف، نحو قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٢٨]، وشبههما. فأما قولُه: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]، فهو عشرةُ أحرف في الرسم، وأحدَ عشرَ في اللفظ.

وأقصَرُهُنَّ ما كان على حَرفَين، نحو: ما، ولا، ولك، وله، وما أشبه ذلك. ومن حروف المعاني ما هو على كلمة واحدة، مثلُ همزة الاستفهام، وواو العطف، إلا أنه لا يُنطقُ به مفرداً.

---

(١) وقع قوله: وقيل سميت آية لأنها عجب ... إلى هذا الموضع في (د) قبل قوله: قال برج بن مسهر.

(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، البصري، إمام النحو، مات سنة (١٨٠هـ). السير ٨/ ٣٥٢.

(٣) الذي نقله ابن عطيَّة في تفسيره ١/ ٥٧ عن الكسائي في تعليله هو قوله: حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في «دابَّة». وينظر البحر المحيط ١/ ١٦٠، والدر المصون ١/ ٣٠٨.

(٤) يحيى بن زياد، أبو زكريا، الكوفي النحوي، له معاني القرآن، والمذكر والمؤنث، وغيرهما، مات بطريق الحج سنة (٢٠٧هـ). السير ١٠/ ١١٨.

(٥) المنقول عن الفرَّاء (كما في المصادر السالفة) أنها فَعْلَة، بسكون العين، ثم أُبدلت الياء الساكنة ألفاً، استثقالاً للتضعيف.

(٦) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، النحوي، صاحب كتاب النوادر، مات سنة (٢١٥هـ). السير ٩/ ٤٩٤.

(٧) هو في أدب الكاتب ص٥٨٧، والمنصف ٢/ ١٤٣، وينظر اللسان (رمد، أيا).

وقد تكون الكلمةُ وحدَها آيةً تامَّة، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾. ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾. وكذلك ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿طه﴾ و﴿يٰسٓ﴾ و﴿حٰمٓ﴾ في قول الكوفيِّين، وذلك في فواتح السُّور، فأما في حَشْوِهنَّ، فلا.

قال أبو عمرو الدَّاني: ولا أعلم كلمة هي وحدَها آية إلا قولَه في «الرَّحمن»: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [٦٤] لاغير[١].

وقد أتت كلمتانِ متصلتان، وهما آيتان، وذلك في قوله: ﴿حٰمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ و٢]. على قول الكوفيِّين لاغير.

وقد تكون الكلمةُ في غير هذا الآيةَ التامَّةَ، والكلامَ القائمَ بنفسه، وإن كان أكثرَ أو أقلَّ، قال الله عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧]. قيل: إنما يعني بالكلمة هاهنا قولَه تبارك وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] إلى آخر الآيتين، وقال عز وجل: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]؛ قال مجاهد: لا إله إلا الله، وقال النبيُّ ﷺ: «كلمتانِ خفيفتانِ على اللسان، ثقيلتانِ في الميزان، حبيبتانِ إلى الرحمن: سبحان اللهِ وبحمده، سبحان الله العظيم»[٢]. وقد تُسمِّي العربُ القصيدةَ بأسرها، والقصةَ كلَّها كلمة، فيقولون: قال قُسٌّ[٣] في كلمته كذا، أي: في خطبته. وقال زُهيرٌ في كلمته كذا، أي: في قصيدته. وقال فلانٌ في كلمته، يعني في رسالته، فتُسمِّي[٤] جملةَ الكلام كلمة، إذ كانت الكلمةُ منها، على عادتهم في تسميتهم الشيءَ باسم ما هو منه، وما قاربَه وجاورَه، وكان بسبب منه، مجازاً واتِّساعاً.

وأما الحرف، فهو الشُّبهةُ القائمةُ وحدَها من الكلمة، وقد يُسمَّى الحرفُ كلمة، والكلمةُ حرفاً، على ما بيَّنَّاه من الاتِّساع والمجاز.

---

(١) وذكره السيوطيُّ في الإتقان ١/ ٦٦.

(٢) أخرجه أحمد (٧١٦٧) والبخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) هو قُس بن ساعدة بن عمرو بن إياد، خطيبُ العرب وشاعرُها وحكيمها في عصره، يقال: إنه أول من علا على شَرَف، وخطب عليه، وأولُ من قال في كلامه: أما بعد، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا، أدركه الرسول ﷺ، ورآه بعكاظ. الأغاني ١٥/ ٢٤٦، وينظر الأوائل للعسكري ١/ ٨٤.

(٤) في (د): فسمي.

قال أبو عمرو الدَّاني: فإن قيل: فكيف يُسمَّى ماجاء من حروفِ الهجاء في الفواتح على حرف واحد، نحو ﴿صٓ﴾ و﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾ حرفاً أو كلمة ؟ قلتُ: كلمة لاحرفاً، وذلك من جهة أنَّ الحرفَ لا يُسكَتُ عليه، ولا ينفردُ وحدَه في الصورة، ولا ينفصلُ مما يَختلِطُ به، وهذه الحروفُ مسكوتٌ عليها، منفردةٌ منفصلةٌ، كانفرادِ الكَلِم وانفصالها، فلذلك سُمِّيت كلماتٍ لا حروفاً.

قال أبو عمرو: وقد يكون الحرفُ في غير هذا المَذهبَ والوجهَ، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١] أي: على وَجهٍ ومَذهب، ومن ذلك قولُ النبيِّ ﷺ: «أُنزِلَ القرآنُ على سبعةِ أحرف»[١] أي: سبعة أوجه من اللغات، والله أعلم.

باب هل ورد في القرآن كلماتٌ خارجةٌ عن لغات العرب، أو لا

لاخلافَ بين الأمة[٢] أنه ليس في القرآن كلامٌ مركَّبٌ على أساليبِ غيرِ العرب، وأنَّ فيه أسماءً أعلاماً لِمن لسانُه غيرُ لسان العرب، كإسرائيلَ، وجبريلَ، وعمرانَ، ونوح، ولوط.

واختلفوا هل وقعَ فيه ألفاظٌ غيرُ أعلام[٣] مفردةٌ من غير كلام العرب ؟

فذهب القاضي أبو بكر بن الطَّيِّب والطبريُّ[٤] وغيرُهما إلى أنَّ ذلك لا يُوجد فيه، وأنَّ القرآنَ عربيٌّ صريحٌ، وما وُجد فيه من الألفاظ التي تُنسب إلى سائر اللُّغات إنما اتَّفق فيها أن تواردَت اللُّغاتُ عليها[٥]، فتكلَّمَت بها العربُ والفُرسُ والحبشةُ وغيرُهم.

وذهبَ بعضُهم إلى وجودها فيه، وأنَّ تلك الألفاظَ لِقلَّتها لا تُخرِجُ القرآنَ عن كونه عربيًّا مُبِيناً، ولا رسولَ الله عن كونه مُتكلِّماً بلسان قومه. فالمِشكاةُ: الكَوَّةُ، ونشأ:

---

(١) سلف تخريجه ص ٧١.

(٢) في (م): الأئمة.

(٣) في (د): وقع فيه أعلام.

(٤) تفسير الطبري ١/ ١٤ ـ ٢٠.

(٥) قوله: عليها من (م).

قامَ من الليل، ومنه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٦]، و﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ [الحديد: ٢٨] أي: ضِعْفَين، و﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١]، أي: الأسد، كلُّه بلسان الحبشة. والغَسَّاقُ: البارِدُ المُنتنُ، بلسان التُّرك، والقِسطاسُ: الميزانُ، بلغة الرُّوم، والسِّجِّيلُ: الحجارةُ والطين، بلسان الفُرس، والطُّورُ: الجبلُ، واليَمُّ: البحرُ، بالسُّريانية، والتَّنُّور: وَجْهُ الأرض، بالعجمية.

قال ابن عطية: فحقيقةُ العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العربُ، وعَرَّبَتها، فهي عربيةٌ بهذا الوجه. وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآنُ بلسانها[١] بعضُ مخالطة لسائر الألسنةِ بتجارات، وبرحلَتَي قريش، وكسفرِ مُسافر بن أبي عمرو[٢] إلى الشام، وكسفر عمرَ بن الخطاب، وكسفر عمرو بنِ العاصي وعُمارة بن الوليد[٣] إلى أرض الحبشة، وكسفرِ الأعشى إلى الحِيرة، وصُحبته لنصاراها، مع كونه حُجَّةً في اللُّغة، فعَلِقت العربُ بهذا كلِّه ألفاظاً أعجمية غيَّرت بعضَها بالنقص من حروفها، وجَرَت إلى تخفيف ثِقَلِ العُجْمَة، واستعملَتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مَجرى العربيِّ الصحيح[٤]، ووقع بها البيانُ، وعلى هذا الحدِّ نزل بها القرآنُ. فإن جَهِلَها عربيٌّ مَا، فكَجَهله الصريحِ بما في لغة غيره، كما لم يَعرِف ابنُ عباس معنى «فاطر»[٥] إلى غير ذلك.

قال ابن عطية[٦]: وما ذهب إليه الطبريُّ رحمه الله من أنَّ اللُّغتين اتفقتا في لفظة لفظة، فذلك بعيدٌ، بل إحداهما أصلٌ، والأخرى فرعٌ في الأكثر[٧]، لأنَّا لا[٨] ندفع أيضاً جوازَ الاتفاق قليلاً شاذًّا.

---

(١) في (د): بلغاتها.

(٢) يكنى أبا أمية، كان سيداً جواداً، وهو أحدُ شعراء قريش، وكان يناقضُ عُمارة بن الوليد، وله شعر ليس بالكثير. الأغاني ٩/ ٤٩ ـ ٥٥.

(٣) الجاهلي المخزومي، أحد مَن دعاعليهم النبي ﷺ، ومات كافراً. الإصابة ٨/ ٢٤.

(٤) في المحرر الوجيز (والكلام منه) ١/ ٥١: الصريح.

(٥) سلفت هذه القصة ص ٧٦.

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٥١.

(٧) قوله: في الأكثر، من المحرر الوجيز.

(٨) في (ز) و(ظ): لا أنا، وفي (د): لأنا، والمثبت من المحرر الوجيز.

قال غيره: والأوَّلُ أصحُّ.

وقوله: هي أصلٌ في كلام غيرهم، دَخيلةٌ في كلامهم، ليس بأولى من العكس، فإنَّ العربَ لا يخلُو أن تكونَ تخاطَبَت بها، أو لا، فإن كان الأوَّل، فهي من كلامهم، إذ لا معنى للغتهم وكلامِهم إلا ما كان كذلك عندَهم، ولا يَبعُدُ أن يكونَ غيرُهم قد وافقَهم على بعض كلماتهم، وقد قال ذلك الإمام الكبير أبو عبيدة[١].

فإن قيل: ليست هذه الكلماتُ على أوزان كلام العرب، فلا تكون منه.

قلنا: ومَن سلَّم لكم أنكم حصرتُم أوزانَهم حتى تُخرجوا هذه منها؟ فقد بحث القاضي عن أصول أوزان كلام العرب، وردَّ هذه الأسماءَ إليها على الطريقة النَّحوية.

وأما إن لم تكن العربُ تخاطَبَت بها، ولا عَرَفَتها، استحالَ أن يُخاطِبَهم اللهُ بما لا يَعرِفون، وحينئذ لا يكون القرآنُ عربيًّا مبِيناً، ولا يكون الرسولُ مُخاطِباً لقومه بلسانهم. والله أعلم.

باب ذكرِ نُكَت في إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها

المعجزةُ واحد[٢] معجزات الأنبياءِ الدَّالة على صدقهم، صلواتُ الله عليهم، وسُمِّيَت مُعجِزةً لأنَّ البشرَ يَعجِزُون عن الإتيان بمثلها.

وشرائِطُها خمسةٌ، فإن اختلَّ منها شرطٌ، لا تكون معجزة:

فالشرطُ الأوَّل من شروطها: أن تكونَ مما لا يَقدِرُ عليها إلا اللهُ سبحانه. وإنما وجبَ حصولُ هذا الشرطِ للمعجزة، لأنه لو أتى آتٍ في زمانٍ يَصِحُّ فيه مجيءُ الرُّسُل، وادَّعى الرسالةَ، وجعلَ معجزتَه أن يتحرَّكَ ويسكُن، ويقومَ ويقعُدَ، لم يكن هذا الذي ادَّعاه معجزةً له، ولا دالاً على صدقه، لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجبُ أن تكونَ المعجزاتُ كفَلْقِ البحر، وانشقاقِ القمر، وما شاكلَها مما لا يقدرُ عليها البشر.

---

(١) معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي، صاحب التصانيف، قال المبرِّد: كان هو والأصمعي متقاربين في النحو، وكان أبو عبيدة أكمل القوم، مات سنة (٢٠٩هـ)، وقيل غير ذلك. السير ٩/ ٤٤٥.

(٢) في (م): واحدة.

والشرطُ الثاني: هو أن تَخرِقَ العادةَ. وإنما وجبَ اشتراطُ ذلك، لأنه لو قال المدَّعي للرسالة[١]: آيتي مجيءُ الليل بعدَ النهار، وطلوعُ الشمسِ من مَشرِقها، لم يكُن فيما ادَّعاه معجزة، لأنَّ هذه الأفعالَ، وإن كان لا يَقدِرُ عليها إلا اللهُ، فلم تُفعَل من أجله، وقد كان قبلَ دَعواه على ما هي عليه في حين دَعواهُ، ودعواه في دلالتها على نبوَّته، كدعوى غيره، فبانَ أنه لا وجهَ له لاستشهاده بها[٢] يَدُلُّ على صِدقه. والذي يَستَشهِدُ به الرسولُ عليه السلام له وجهٌ يَدُلُّ على صِدقِه، وذلك أن يقولَ: الدليلُ على صدقي أن يَخرِقَ اللهُ تعالى العادةَ من أجل دعواي عليه الرسالةَ، فيَقلِبَ هذه العصا ثُعباناً، ويَشُقَّ الحجرَ، ويُخرِجَ من وَسطِه ناقة، أو يُنبِعَ الماءَ من بين أصابعي، كما يُنبِعُه من العين، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات، التي يَنفرِدُ بها جبَّارُ الأرضِ والسماوات، فتقومُ له هذه العلاماتُ مقامَ قولِ الربِّ سبحانه ـ لو أسمَعَنا كلامَه العزيزَ وقال ـ: صَدَقَ، أنا بعثتُه.

ومثالُ هذه المسألةِ ـ ولله ولرسوله المَثَلُ الأعلى ـ ما لو كانت جماعةٌ بحضرة ملك من ملوك الأرض، وهم بمرأًى أو مسمعٍ منه، فقال أحد رجاله والملكُ يَسمَعُهُ[٣]: الملكُ ـ أيها الجماعة[٤] ـ يأمُرُكم بكذا وكذا، ودليلُ ذلك أنَّ الملكَ يُصدِّقُني بفعل من أفعاله، وهو أن يُخرِجَ خاتِمَهُ من يده قاصداً بذلك تصديقي، فإذا سمع الملكُ كلامَه لهم، ودعواه فيهم، ثم عَمِلَ ما استَشهَدَ به على صِدقه، قام ذلك مقامَ قوله ـ لو قال ـ: صَدَقَ فيما ادَّعاه عليَّ. فكذلك إذا عَمِلَ اللهُ عملاً لا يَقدِرُ عليه إلا هو، وخَرَقَ به العادةَ على يدي[٥] الرسول، قام ذلك الفعلُ مقامَ كلامه تعالى لو أسمَعَناه[٦] وقال: صَدَقَ عبدي في دعوى الرسالةِ، وأنا أرسلتُه إليكم، فاسمعوا له وأطيعوا.

---

(١) في (ظ): مدعي الرسالة.

(٢) قوله: لاستشهاده بها، من (د) و(ز)، وفي (ظ): لا وجه يدل ...

(٣) في (م): وقال أحد رجاله وهو بمرأى منه والملك يسمعه.

(٤) في (م): الملك يأمركم أيها الجماعة.

(٥) في (م): يد.

(٦) في (د): سمعناه.

والشرطُ الثالثُ: هو أن يَستَشهِدَ بها مُدَّعي الرسالةِ على الله عزَّ وجلَّ، فيقولَ: آيتي أن يَقلِبَ الله سُبحانه هذا الماءَ زَيتاً، أو يُحرِّكَ الأرضَ عند قولي لها: تزلزلي، فإذا فعلَ اللهُ سبحانه ذلك، حصل المُتَحدَّى به.

الشرطُ الرابعُ: هو أن تقعَ على وَفقِ دعوى المتحدِّي بها، المُستَشهِدِ بكونها معجزةً له. وإنما وجبَ اشتراطُ هذا الشرطِ؛ لأنه لو قال المدَّعي للرسالة: آيةُ نبوَّتي ودليلُ حُجَّتي أن تَنطِقَ يدي، أو هذه الدَّابَّةُ، فنَطَقَت يدُه، أو الدَّابَّةُ، بأن قالت: كذبَ، وليس هو بنبي، فإنَّ هذا الكلامَ الذي خَلَقَه اللهُ تعالى دالٌّ على كَذِبِ ذلك المدَّعي للرسالة؛ لأنَّ ما فعلَه اللهُ لم يَقَع على وَفقِ دعواه. وكذلك ما يُروَى أنَّ مُسَيلِمَةَ الكذَّابَ ـ لعنه الله ـ تَفَلَ في بئر ليَكثُرَ ماؤُها، فغارَت البئرُ، وذهبَ ماكانَ فيها من الماء[1]، فما فعلَ اللهُ سبحانَه من هذا، كان من الآياتِ المُكَذِّبةِ لمن ظَهرَت على يديه، لأنها وقَعت على خلافِ ما أراده المُتَنَبِّئُ الكذَّابُ.

والشرطُ الخامسُ من شروط المعجزة: ألا يأتيَ أحدٌ بمثل ما أتى به المُتحدِّي على وجهِ المعارضة، فإن تَمَّ الأمرُ المتحدَّى به، المُسْتَشْهَدُ به على النبوَّة، على هذا الشرطِ، مع الشروط المتقدمة، فهي معجزةٌ دالَّةٌ على نُبوَّةِ مَن ظَهَرَت على يده، فإن أقامَ الله تعالى مَن يُعارِضُه حتى يأتيَ بمثل ما أتى به، ويَعْمَلَ مثلَ ما عَمِلَ، بَطَلَ كونُه نبيًّا، وخَرَجَ ما ظَهَرَ على يديه[2] عن كونه مُعجِزاً، ولم يَدُلَّ على صِدقه، ولهذا قال المولى سبحانه: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]. كأنه يقول: إن ادَّعيتُم أنَّ هذا القرآنَ من نَظمِ محمد ﷺ وعملِهِ، فاعمَلُوا عَشْرَ سُورٍ من جنس[3] نَظمِهِ، فإذا عَجَزتُم بأسركم عن ذلك، فاعلموا أنه ليس مِن نَظْمِهِ، ولا مِن عَمَلِه.

لا يقال: إنَّ المعجزاتِ المقيَّدةَ بالشروط الخمسةِ لا تظهر إلا على أيدي

---

(١) أورد الطبريُّ هذه القصة في تاريخه ٣/ ٢٨٤ـ ٢٨٥ ضمن خبر مسيلمة.

(٢) قوله: ما ظهر على يديه، ليس في (م).

(٣) في (ظ): حسن.

الصادقين، فهذا المسيح[١] الدَّجَّال ـ فيما رويتُم عن نبيِّكم ﷺ ـ يظهر على يديه من الآيات العِظام، والأمورِ الجِسام، ما هو معروفٌ مشهورٌ.

فإنَّا نقول: ذلك يدَّعي الرسالةَ، وهذا يدَّعي الرُّبوبيَّةَ، وبينهما من الفُرقان مابين البُصَراءِ والعُميانِ، وقد قام الدليلُ العقليُّ على أنَّ بِعثةَ بعضِ الخَلقِ إلى بعض غيرُ مُمتنعَة، ولا مُستحيلة، فلم يَبعُد أن يُقيمَ الله تعالى الأدلَّةَ على صِدق مخلوق أتى عنه بالشرع والمِلَّةِ.

ودلَّت الأدلَّةُ العقليَّةُ أيضاً على أنَّ المسيح الدَّجَّال فيه التصويرُ والتغييرُ[٢] من حال إلى حال، وثبت أنَّ هذه الصفاتِ لا تليقُ إلا بالمُحدَثات، تعالى ربُّ البريَّات عن أن يُشبِهَ شيئاً، أو يُشبِهَهُ شيءٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

فصل

إذا ثبتَ هذا، فاعلَمْ أنَّ المعجزاتِ على ضربَيْن:

الأول: ما اشتَهَرَ نقلُه وانقرضَ عصرُه بموت النبيِّ ﷺ.

والثاني: ما تواترتِ[٣] الأخبارُ بصحته وحصولِه، واستفاضَت بثبوته ووجوده، ووقع لسامعها العلمُ بذلك ضرورة.

ومن شرطه أن يكونَ الناقلون له خَلقاً كثيراً وجمًّا غَفِيراً، وأن يكونوا عالِمين بما نقلوه عِلماً ضرورياً، وأن يستويَ في النقل أوَّلُهم وآخِرُهم ووسطُهم في كَثرةِ العدد، حتى يستحيلَ عليهم التواطؤُ على الكذب. وهذه صفةُ نقلِ القرآن، ونقلِ وجودِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام، لأنَّ الأمةَ رضي الله عنها لم تَزَل تنقُلُ القرآنَ خَلَفاً عن سَلَف، والسَّلَفُ عن سَلَفِهِ، إلى أن يتَّصِلَ ذلك بالنبيِّ عليه السلام، المعلومِ وجودُه بالضرورة، وصِدقُه بالأدلَّةِ المُعجِزات، والرسولُ أخذَه عن جبريلَ عليه السلام، عن ربِّه عزَّ وجلَّ، فنقَلَ القرآنَ في الأصل رسولانِ معصومانِ من الزيادة والنُّقصان، ونقلَه

(١) في (د) و(م): المسيخ (بالخاء المعجمة). ويقال له كذلك، وسيذكر المصنف الأقوال في تسميته بذلك، عند تفسير قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية ٤٥.

(٢) في النسخ الخطية: والتغير، والمثبت من (م).

(٣) في النسخ الخطية: تواردت، والمثبت من (م).

إلينا بعدَهم أهلُ التواتر، الذين لا يجوزُ عليهم الكذبُ فيما ينقُلونه ويسمَعونه، لكَثرةِ العدد، ولذلك وقع لنا العلمُ الضروريُّ بصدقهم فيما نقلوه، من وجودِ محمد ﷺ، ومن ظهورِ القرآن على يديه، وتحدِّيه به.

ونظيرُ ذلك من عِلمِ الدنيا: عِلمُ الإنسانِ بما نُقِلَ إليه من وجود البُلدان، كالبَصرة والشام، والعراقِ وخُراسان، والمدينةِ ومكَّةَ، وأشباهِ ذلك من الأخبار الكثيرة الظاهرة[١] المتواترة. فالقرآنُ معجزةُ نبيِّنا ﷺ الباقيةُ بعدَه إلى يوم القيامة. ومُعجزةُ كلِّ نبيٍّ انقرضَت بانقراضه، أو دخلَها التبديلُ والتغييرُ، كالتوارة والإنجيل.

ووجوهُ إعجاز القرآن العظيم[٢] عشرة:

منها: النَّظمُ البديعُ المخالِفُ لكلِّ نَظم معهود في لسان العرب وفي غيرها؛ لأنَّ نَظمَه ليس من نَظمِ الشعر في شيء، وكذلك[٣] قال ربُّ العزَّة الذي تَوَلَّى نَظمَه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]. وفي «صحيح» مسلم: أن أُنَيساً أخا أبي ذَرٍّ قال لأبي ذَرٍّ: لَقِيتُ رجلاً بمكَّةَ على دِينك، يَزعُمُ أنَّ اللهَ أرسلَه، قلتُ: فما يقول الناسُ؟ قال: يقولون: شاعرٌ، كاهنٌ، ساحرٌ. وكان أُنيسٌ أحدَ الشعراء، قال أُنيس: لقد سمعتُ قولَ الكَهَنَةِ، فما هو بقولهم، ولقد وضعتُ قولَه على أقراء الشِّعر[٤]، فلم يَلتَئِم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادقٌ، وإنهم لكاذبون[٥].

وكذلك أقَرَّ عُتبةُ بنُ رَبِيعةَ أنه ليس بسِحر ولا شِعر، لَمَّا قرأ عليه رسولُ الله ﷺ: «حم» فُصِّلَت، على ما يأتي بيانُه هناك[٦]. فإذا اعترفَ عُتبةُ ـ على موضعِه من اللسان، وموضعِه من الفصاحة والبلاغة ـ بأنه ما سَمِعَ مثلَ القرآن قَطُّ، كان في هذا القولِ مُقِرًّا بإعجاز القرآنِ له، ولضُرَبائه من المتحقِّقين بالفصاحة، والقُدرة على

(١) في (ظ): المتظاهرة.

(٢) في (م): الكريم.

(٣) في (د): ولذلك.

(٤) في النسخ الخطية: الشعراء، والمثبت من (م).

(٥) صحيح مسلم (٢٤٧٣)، وعنده: فما يلتئم. وهو في مسند أحمد (٢١٥٢٥).

(٦) أخرج قصة عتبة بن ربيعة ابنُ إسحاق فيما ذكر ابن هشام ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥، وسترد القصة في أول تفسير سورة فصلت.

التكلُّم بجميع أجناسِ القَولِ وأنواعِه.

ومنها: الأسلوبُ المخالِفُ لجميع أساليب العرب.

ومنها: الجَزَالةُ التي لا تصحُّ من مخلوق بحال، وتأمَّل ذلك في سورة ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ إلى آخرها، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى آخر السورة. وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى آخر السورة.

قال ابن الحَصَّار[1]: فَمَن عَلِمَ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى هو الحقُّ، عَلِمَ أنَّ مثلَ هذه الجَزالةِ لا تصحُّ في خطاب غيره، ولا يصحُّ من أعظم ملوك الدنيا أن يقولَ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، ولا أن يقولَ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

قال ابنُ الحَصَّار: وهذه الثلاثةُ من النَّظم، والأسلوب، والجَزالة، لازِمةٌ كلَّ سورة، بل هي لازِمةٌ كلَّ آية. وبمجموع هذه الثلاثةِ يتميَّزُ مسموعُ كلِّ آية وكلِّ سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التَّحدِّي والتعجيزُ. ومع هذا، فكلُّ سورة تنفرِدُ بهذه الثلاثةِ، من غير أن ينضافَ إليها أمرٌ آخرُ من الوجوه العشرة. فهذه سورةُ الكوثر ثلاثُ آيات قِصار، وهي أقصرُ سورة في القرآن، وقد تضمَّنَت الإخبارَ عن مُغيَّبين:

أحدهما: الإخبار عن الكَوثر، وعِظَمِهِ وسَعتِه، وكَثرةِ أوانيه، وذلك يدُلُّ على أنَّ المصدِّقين به أكثرُ من أتباع سائر الرُّسُل.

والثاني: الإخبار عن الوليد بن المُغيرة، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد، على ما يقتضيه قوله الحق: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ [المدثر]. ثم أهلكَ اللهُ سبحانه مالَه وولدَه، وانقطعَ نسلُه[2].

ومنها: التصرُّفُ في لسان العرب على وجه لا يستقلُّ به عربيٌّ، حتى يقعَ منهم الاتفاقُ من جميعهم على إصابته في وضعِ كلِّ كلمة وحرف موضعَه[3].

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد، أبو المطرِّف، القرطبي المالكي، تفقه بأبي عمر الإشبيلي. توفي سنة (٤٢٢) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٧٣.

(٢) في (د): وقطع نسلَه.

(٣) في (ظ): في موضعه.

ومنها: الإخبارُ عن الأمور التي تَقدَّمَت من[١] أوَّل الدنيا إلى وقت نزولِه من أمِّيٍّ ما كان يَتلُو من قبله من كتاب، ولا يَخُطُّه بيمينه، فأخبرَ بما كان من قَصصِ الأنبياء مع أممها، والقرونِ الخالية في دهرها، وذكَرَ ما سألَه أهلُ الكتاب عنه، وتحدَّوه به، من قصةِ أهل الكهف، وشأنِ موسى والخَضِرِ عليهما السلام، وحالِ ذي القرنين، فجاءهم ـ وهو أميٌّ من أمَّة أُمِّيَّة، ليس لها بذلك علمٌ ـ بما عرَفوا من الكتب السالفة صِحَّتَه، فتحقَّقُوا صِدقَه.

قال القاضي ابنُ الطَّيِّب[٢]: ونحن نعلَمُ ضرورة أنَّ هذا مما لا سبيلَ إليه إلا عن تعلُّم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابِساً لأهلِ الآثار، وحَمَلَةِ الأخبار، ولا متردِّداً إلى التعلُّم[٣] منهم، ولا كان ممن يقرأُ، فيجوز أن يقعَ إليه كتابٌ، فيأخُذَ منه، عُلِمَ أنه لا يصِلُ إلى علمِ ذلك إلا بتأييد من جهةِ الوَحي.

ومنها: الوفاءُ بالوعدِ المُدرَكِ بالحِسِّ في العِيان، في كلِّ ما وعدَ اللهُ سبحانه، وهو ينقسمُ[٤] إلى: أخباره المطلقة، كوعده بنصرِ رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه. وإلى وعد مقيَّد بشرط، كقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، و﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وشبه ذلك.

ومنها: الإخبارُ عن المُغيَّبات في المستقبل التي لا يُطَّلَعُ عليها إلا بالوحي. فمن ذلك: ماوعد اللهُ نبيَّه عليه السلام، أنه سَيُظهِرُ دينَه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] الآية، ففعلَ ذلك. وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزَى جيوشَه، عَرَّفَهم ما وعدَهم اللهُ في إظهار دينِه، ليَثِقوا بالنصر، ولِيَستَيقِنوا بالنُّجح. وكان عمرُ يفعلُ ذلك[٥]، فلم يزل الفتحُ يتوالى شَرقاً وغَرباً، برًّا وبحراً. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

---

(١) في (د) و(م): في.

(٢) في إعجاز القرآن ص ٥١.

(٣) في (م): المتعلم.

(٤) في (د) و(ز): وهي تنقسم، وفي (م): وينقسم، والمثبت من (ظ).

(٥) من قوله: فمن ذلك ما وعد الله نبيه، إلى هذا الموضع، من إعجاز القرآن للباقلاني ص ٤٨.

فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]، وقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، وقال: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم].

فهذه كلُّها أخبارٌ عن الغيوب التي لا يَقِفُ عليها إلا رَبُّ العالمين، أو من أوقفه عليها ربُّ العالمين، فدَلَّ على أنَّ اللهَ تعالى قد أوقف عليها رسولَه، لتكونَ دلالة على صدقه.

ومنها: ما تضمَّنه القرآنُ من العلم، الذي هو قِوامُ جميعِ الأنام في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام.

ومنها: الحِكَمُ البالغةُ التي لم تَجْرِ العادةُ بأن تصدُرَ في كَثرتِها وشَرَفِها من آدميٍّ.

ومنها: التناسبُ في جميع ما تضمَّنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قلت: فهذه عَشَرةُ أوجه، ذكرها علماؤنا رحمةُ الله عليهم.

ووجهٌ حادي عشرَ قاله النَّظَّامُ[1] وبعضُ أهل[2] القَدَرِية، أنَّ وجهَ الإعجاز هو المنعُ من معارضته، والصَّرْفَةُ عند التحدِّي بمثله. وأنَّ المنعَ والصَّرْفةَ هو المعجزةُ دون ذات القرآن، وذلك أنَّ اللهَ تعالى صَرَفَ هِمَمَهم عن معارضته، مع تحدِّيهم بأن يأتوا بسورة من مِثله. وهذا فاسدٌ؛ لأنَّ إجماعَ الأمة قبل حدوثِ المخالف أنَّ القرآنَ هو المُعجِزُ، فلو قلنا: إن المنعَ والصَّرْفةَ هو المُعجِزُ، لخرجَ القرآنُ عن أن يكونَ مُعجِزاً، وذلك خلافُ الإجماع. وإذا كان كذلك، عُلِمَ أن نفسَ القرآن هو المُعجِزُ؛ لأنَّ فصاحتَه وبلاغَتَه أمرٌ خارِقٌ للعادة، إذ لم يُوجَد قطُّ كلامٌ على هذا الوجهِ، فلما لم يكن ذلك الكلامُ مألوفاً مُعتاداً منهم، دلَّ على أنَّ المنعَ والصَّرفةَ لم يكن معجِزاً.

واختلف مَن قال بهذه الصَّرفَة على قولين:

---

(١) إبراهيم بن سيار، أبو إسحاق البصري، شيخ المعتزلة، تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، مات سنة بضع وعشرين ومئتين. السير ١٠/ ٥٤١.

(٢) ليست في (م).

أحدهما: أنهم صُرِفوا عن القُدرة عليه، ولو تعرَّضوا له، لَعجَزوا عنه.

الثاني: أنهم صُرِفوا عن التعرُّضِ له، مع كونه في مقدورهم، ولو تعرَّضوا له، لجاز أن يَقدِرُوا عليه.

قال ابن عطية: وجهُ الإعجاز[١] في القرآن، إنما هو بِنَظمِه وصِحَّةِ معانيه، وتوالي فصاحةِ ألفاظِه. ووجهُ إعجازِه أنَّ اللهَ تعالى قد أحاطَ بكلِّ شيء عِلماً، وأحاطَ بالكلام كلِّه عِلماً، فَعَلِمَ بإحاطته أيَّ لفظة تصلُحُ أن تليَ الأولى، وتُبيِّنَ المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أوَّلِ القرآن إلى آخره، والبشرُ معهم الجهلُ والنِّسيانُ والذُّهولُ، ومعلومٌ ضرورةً أنَّ بَشَراً لم يكن محيطاً قطُّ، فبهذا جاء نَظمُ القرآنِ في الغاية القُصوى من الفصاحة.

وبهذا النظرِ يَبطُلُ قولُ مَن قال: إنَّ العربَ كان في قُدرتها أن تأتيَ بمثل القرآن في الغاية القُصوى من الفصاحة، فلما جاء محمدٌ ﷺ، صُرِفوا عن ذلك، وعَجَزوا عنه.

والصحيحُ أنَّ الإتيانَ بمثل القرآن لم يكُن قَطُّ في قُدرةِ أحد من المخلوقين. ويَظهَرُ لك قصورُ البشر في أنَّ الفصيحَ منهم يصنعُ[٢] خُطبة، أو قصيدة، يَستفرِغُ فيها جُهدَهُ، ثم لا يزال يُنَقِّحُها حَولاً كاملاً، ثم تُعطَى لآخَرَ بعدَه، فيأخذُها بقريحة جامة[٣]، فيبدِّلُ فيها ويُنَقِّحُ، ثم لا تزالُ كذلك[٤] فيها مواضعُ للنظر والبَدَلِ. وكتابُ الله تعالى لو نُزِعَت منه لَفظَةٌ، ثم أُدِيرَ لسانُ العرب أن يُوجَدَ أحسنُ منها، لم يُوجَد[٥].

ومن فصاحةِ القرآنِ أنَّ اللهَ تعالى جلَّ ذِكرُه ذَكَرَ في آية واحدة أمرَيْن، ونَهْيَيْن، وخَبَرَيْن، وبِشارَتَيْن، وهو قولُه تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] الآية.

وكذلك فاتحة سورة المائدة: أمرَ بالوفاء، ونَهَى عن النَّكْثِ، وحلَّلَ تحليلاً

---

(١) في (م) والمحرر الوجيز: التحدي.

(٢) في (م): يضع.

(٣) كذا في المحرر الوجيز (والكلام منه)، وفي (ظ): جامدة، وفي (د): جامعة، ولم نتبينها في (ز).

(٤) في (م): بعد ذلك.

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٥٢ باختلاف يسير.

عامًّا، ثم استثنى استثناءً بعدَ استثناءٍ، ثم أخبرَ عن حِكمته وقُدرته، وذلك مما لا يَقدِرُ عليه إلا الله سبحانه.

وأنبأ سبحانه عن الموت، وحَسرةِ الفَوت، والدارِ الآخرة وثوابِها وعقابِها، وفوزِ الفائزين، وتردِّي المجرمين، والتحذيرِ من الاغترار[1] بالدنيا، ووصفها بالقِلة بالإضافة إلى دار البقاء بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥] الآية.

وأنبأ أيضاً عن قَصص الأَوَّلين والآخِرين، ومآلِ المُترَفين، وعواقبِ المُهلَكين، في شَطرِ آية، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وأنبأ جَلَّ وعزَّ عن أمرِ السفينة وإجرائها، وإهلاكِ الكَفَرةِ، واستقرارِ السفينة واستوائها، وتوجيهِ أوامرِ التسخيرِ[2] على[3] الأرض والسماء، بقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤١ ـ ٤٤] إلى غير ذلك.

فلما عَجَزَتْ قريشٌ عن الإتيانِ بمثله، وقالت: إنَّ النبيَّ ﷺ تَقَوَّلَه، أنزلَ الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣ ـ ٣٤] ثم أنزلَ تعجيزاً أبلغَ من ذلك، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ﴾ [هود: ١٣]. فلما عَجزوا، حَطَّهم عن هذا المِقدار إلى مثلِ سُورة من السُّوَر القصار، فقال جلَّ ذِكرُه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]. فأُفحِمُوا عن الجواب، وتَقَطَّعَت بهم الأسبابُ، وعَدَلوا إلى الحروب والعِناد، وآثروا سَبْيَ الحَريم والأولاد. ولو قَدَروا على المعارضة، لكانَ أهوَنَ كثيراً، وأبلغَ في الحُجَّة، وأشدَّ تأثيراً. هذا مع كونهم أربابَ البلاغةِ واللَّحَنِ، وعنهم تُؤخَذُ الفَصاحةُ واللَّسَنُ.

---

(١) في النسخ الخطية: التغرير، والمثبت من (م).

(٢) في (د): للتسخير.

(٣) في (م): إلى.

فبلاغةُ القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفعِ درجاتِ الإيجازِ والبيان، بل تجاوزَت حدَّ الإحسان والإجادة، إلى حيِّزِ الإرباءِ والزيادة. هذا رسولُ الله ﷺ مع ما أُوتي من جوامع الكَلِم، واختصَّ به من غرائب الحِكَم، إذا تأمَّلتَ قولَه ﷺ في صفةِ الجِنان، وإن كان في نهاية الإحسان، وَجَدْتَه مُنحَطًّا عن رُتبة القرآن، وذلك في قوله عليه السلام: «فيها ما لا عَينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَر»[١] فأينَ ذلك من قوله عز وجل: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]. وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. هذا أعدَلُ وَزْناً، وأحسنُ تركيباً، وأعْذَبُ لَفظاً، وأقلُّ حروفاً، على أنه لا يُعتبر إلا في مِقدار سورة، أو أطولِ آية؛ لأنَّ الكلامَ كلما طالَ، اتَّسعَ فيه مجالُ المُتصرِّف، وضاقَ المقالُ على القاصِر المُتَكلِّف، وبهذا قامتِ الحُجَّةُ على العرب، إذ كانوا أربابَ الفصاحةِ، ومَظِنَّةَ المعارضة، كما قامت الحُجَّةُ في مُعجزة عيسى عليه السلام على الأطباء، ومُعجزةِ موسى عليه السلام على السَّحَرةِ، فإنَّ اللهَ سبحانه إنَّما جعلَ مُعجزاتِ الأنبياء عليهم السلام بالوجهِ الشَّهيرِ أبرعَ ما يكون في زمان النبيِّ الذي أراد إظهارَه، فكان السِّحْرُ في مدة[٢] موسى عليه السلام قد انتهى إلى غاية[٣]، وكذلك الطِّبُّ في زمن عيسى عليه السلام، والفصاحةُ في زمن محمد ﷺ[٤].

باب التنبيه على أحاديثَ وُضعت في فضل سُور القرآن وغيرها[٥]

لا التفاتَ لِمَا وَضَعَه الواضعون، واختلقَه المختلِقون، من الأحاديثِ الكاذبة، والأخبارِ الباطلة، في فضل سُوَرِ القرآن، وغير ذلك من فضائلِ الأعمال، وقد ارتكَبَها جماعةٌ كثيرةٌ، اختلفَت أغراضُهم ومقاصِدُهم في ارتكابها. فمن[٦] قوم من الزَّنادقة مثلِ

(١) أخرجه أحمد (٨١٤٣)، والبخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) في (م): زمان.

(٣) في (م): غايته.

(٤) من قوله: قامت الحجة على العرب ... من المحرر الوجيز ١/ ٥٣.

(٥) في (م): وغيره.

(٦) في (د): فمنهم.

المغيرةِ بنِ سعيد الكوفيِّ[١]، ومحمدِ بن سعيد الشاميِّ[٢] المصلوبِ في الزندقة، وغيرِهما، وضَعوا أحاديثَ، وحدَّثوا بها، ليُوقِعُوا بذلك الشَّكَّ في قلوب الناس، فممَّا رواه محمدُ بنُ سعيد، عن أنس بنِ مالك في قوله ﷺ: «أنا خاتمُ النبيين[٣]، لا نبيَّ بعدي، إلا ماشاء اللهُ»[٤] فزاد هذا الاستثناءَ، لِمَا كان يدعو إليه من الإلحادِ والزندقةِ.

قلتُ: وقد ذكره ابنُ عبد البرِّ في كتاب «التمهيد»[٥] ولم يتكلَّم عليه، بل تأوَّلَ الاستثناءَ على الرؤيا ! فالله أعلم.

ومنهم قومٌ وضَعُوا الحديثَ، لِهَوًى يَدعُونَ الناسَ إليه. قال شيخٌ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: إنَّ هذه الأحاديثَ دِينٌ، فانظُروا ممن تأخُذون دِينَكم، فإنَّا كنَّا إذا هَوِينا أمراً، صَيَّرناه حديثاً[٦].

ومنهم جماعةٌ وضعوا الحديثَ حِسْبَة كما زعموا، يدعون الناسَ إلى فضائل الأعمال، كما رُوي عن أبي عِصْمةَ نوح بن أبي مريم المَرْوَزِيِّ[٧]، ومحمد بن عُكَّاشة الكِرماني[٨]، وأحمدَ بنِ عبد الله الجُويبارِي[٩]، وغيرهم[١٠].

---

(١) هو أبو عبد الله البجلي الرافضي الكذاب، قُتل في حدود العشرين ومئة. ميزان الاعتدال ٤/ ١٦٠.

(٢) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٥٦١ وقال: من أهل دمشق، هالك، وكان من أصحاب مكحول.

(٣) في (م): الأنبياء.

(٤) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٠٦، وابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ٣٢١.

(٥) ١/ ٣١٤.

(٦) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٤٤٣)، والخطيب في الكفاية في علم الرواية ص ١٢٣. وأخرج مسلم في مقدمة صحيحه، والخطيب في الكفاية ص١٢٢، عن محمد بن سيرين قوله: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

(٧) ولي قضاء مرو في خلافة المنصور، وامتدت حياته، قال البخاري: منكر الحديث، مات سنة (١٧٣هـ). ميزان الاعتدال ٤/ ٢٨٠.

(٨) ويقال: محمد بن إسحاق العكاشي، كذاب، قال سهل بن السري الحافظ: وضع أحمد الجويباري ومحمد بن تميم ومحمد بن عكاشة على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث، وقال ابن عساكر: بلغني أنه كان حيًّا سنة (٢٢٥هـ). لسان الميزان ٥/ ٢٨٦.

(٩) ويقال: الجوباري، وجوبار من عمل هراة، يعرف بستّوق، روى عن ابن عيينة وطبقته، قال ابن حبان: دجال من الدجاجلة، وقال الذهبي: يُضرب المثل بكذبه. ميزان الاعتدال ١/ ١٠٦.

(١٠) نقل نحو هذا الكلام الحافظُ ابنُ حجر في لسان الميزان ٥/ ٢٨٨ عن الحاكم (في ترجمة محمد بن عكاشة).

قيل لأبي عِصمةَ: من أين لك عن عِكرمةَ، عن ابن عباس في فضل سُوَرِ القرآن سورةً سورة؟ فقال: إني رأيتُ الناسَ قد أعرَضُوا عن القرآن، واشتغلُوا بفقه أبي حنيفةَ، ومَغَازي محمد بنِ إسحاقَ[١]، فوضعتُ هذا الحديثَ حِسبَةً[٢].

قال أبو عمرو عثمانُ بن الصلاح في كتاب «علوم الحديث»[٣] له: وهكذا الحديثُ الطويلُ الذي يُروَى عن أُبَيِّ بن كعب، عن النبيِّ ﷺ في فَضل[٤] القرآنِ سورةً سورة[٥]. وقد بحثَ باحثٌ عن مَخْرَجِه حتى انتهى إلى من اعترفَ بأنه وجماعةٌ وضعوه[٦]. وإنَّ أثر الوَضع عليه لَبَيِّنٌ. وقد أخطأ الواحديُّ المفسِّرُ[٧]، ومن ذَكَره من المفسرين، في إيداعه تفاسيرَهم.

ومنهم قومٌ من السُّؤَّال والمُكْدِينَ[٨]، يَقِفُون في الأسواق والمساجد، فيضعُون على رسول الله ﷺ أحاديثَ بأسانيدَ صِحاح قد حَفِظُوها، فيذكُرون الموضوعاتِ بتلك الأسانيد.

قال جعفرُ بن محمد الطيالسيُّ[٩]: صلَّى أحمدُ بنُ حنبل ويحيى بنُ مَعِين في

---

(١) هو أبو بكر القرشي المطلبي مولاهم، المدني، الحافظ الأخباري، صاحب السيرة النبوية، وأول مَن دوَّن العلم بالمدينة، مات سنة (١٥٠هـ). سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣.

(٢) ذكره الخليلي في الإرشاد ٣/ ٩٠٣، والسيوطي في تدريب الراوي ١/ ٢٨٢، والصنعاني في توضيح الأفكار ٢/ ٨١.

(٣) ص١٠٠ ـ ١٠١، وابن الصلاح: هو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري الشافعي، كان ذا فصاحة وعلم نافع، توفي سنة (٦٤٣هـ). السير ٢٣/ ١٤٠.

(٤) في (ظ): فضائل.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٧٣ ـ ١٧٤، ثم قال: وقد فَرَّقَ هذا الحديثَ أبو إسحاق الثعلبي، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجبُ منهما، لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبتُ من أبي بكر بن أبي داود كيف فرَّقَه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال! وانظر اللآلىء المصنوعة ١/ ٢٠٥، وتنزيه الشريعة ١/ ٢٨٥.

(٦) موضوعات ابن الجوزي ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٧) أبو الحسن علي بنُ أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، مات سنة (٤٦٨هـ). السير ١٨/ ٣٣٩.

(٨) أي: الملحِّين في المسألة.

(٩) أبو الفضل البغدادي، الحافظ، كان مشهوراً بالحفظ والإتقان، توفي سنة (٢٨٢هـ). السير ١٣/ ٣٤٦.

مسجد الرُّصَافةِ، فقامَ بين أيديهما قَاصٌّ، فقال: حدثنا أحمدُ بنُ حنبل ويحيى بنُ معين قالا: حدثنا[١] عبدُ الرزاق قال: حدثنا مَعْمَرٌ، عن قَتادة، عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: مَن قال: لا إله إلا الله، يُخلَقُ من كلِّ كلمة منها طائرٌ مِنقارُهُ من ذهب، وريشُه مَرْجان. وأخذَ في قصة نحو من عشرين ورقة، فجعلَ أحمدُ ينظُرُ إلى يحيى، ويحيى ينظُرُ إلى أحمدَ، فقال: أنتَ حدَّثتَه بهذا ؟! فقال: والله ما سمعتُ به إلا هذه الساعةَ، قال: فسكتا جميعاً حتى فَرَغَ من قَصَصِه، فقال له يحيى: مَن حدَّثَك بهذا الحديثِ ؟ فقال: أحمدُ بنُ حنبل ويحيى بنُ مَعِين، فقال: أنا ابنُ مَعِين، وهذا أحمدُ بنُ حنبل، ما سَمِعنا بهذا قطُّ في حديثِ رسول الله ﷺ، فإن كانَ ولا بُدَّ من الكذب، فعلى غيرِنا ! فقال له: أنت يحيى بنُ مَعِين ؟! قال: نعم، قال: لم أَزَل أسمعُ أنَّ يحيى بنَ مَعِين أحمقُ، وما عَلِمتُه إلا هذه الساعةَ، فقال له يحيى: وكيف علمتَ أني أحمقُ ؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بنُ مَعِين وأحمدُ بنُ حنبل غيركما، كتبتُ عن سبعةَ عشرَ أحمدَ بن حنبل غير هذا. قال: فوضعَ أحمدُ كُمَّهَ على وجهِه وقال: دَعهُ يقوم[٢]، فقام كالمُستهزِىء بهما[٣].

فهؤلاء الطوائف كَذَبةٌ على رسول الله ﷺ، ومَن يَجري مَجراهم.

يُذكَر أنَّ الرشيدَ[٤] كان يُعجِبُهُ الحمَامُ، واللَّهوُ به، فأُهدِيَ إليه حمامٌ وعنده أبو البَختَرِي القاضي[٥]، فقال: روى أبو هريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا سَبَقَ إلا في خُفٍّ، أو حافر، أو جَناح». فزاد: «أو جَناح»، وهي لفظةٌ وضَعَها للرشيد، فأعطاه جائزة سَنِيَّة، فلما خرج، قال الرشيدُ: واللهِ لقد علمتُ أنه[٦] كذَّابٌ. وأمرَ بالحمَام أن

(١) في (م): أنبأنا (في الموضعين).

(٢) في (ظ): يقول.

(٣) أخرج هذه القصة ابن حبان في المجروحين ١/ ٨٥، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠ من طريق إبراهيم بن عبد الواحد البكري، عن جعفر بن محمد الطيالسي، وذكَرَها المِزِّي في تهذيب الكمال (ترجمة يحيى بن معين)، والذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ٤٧، وفي السير ١١/ ٨٦ و ٣٠٠. قال الذهبي: هذه الحكاية اشتهرت على ألسنة الجماعة، وهي باطلة، أظن البلدي (يعني البكري) وضعها.

(٤) هارون بن محمد، أبو جعفر، الخليفة العباسي، كان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حجٍّ وجهاد، وغزو وشجاعة، ورأي، توفي سنة (١٩٣هـ). السير ٩/ ٢٨٦.

(٥) وَهْب بن وَهب بن كثير بن زَمعة، ولاه الرشيد القضاء. تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥١، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٣.

(٦) في النسخ الخطية: أنك، والمثبت من (م).

يُذبَحَ، فقيل له: وماذنبُ الحمَام ؟! قال: من أجلِه كُذِبَ على رسول الله ﷺ[١]. فترك العلماءُ حديثَه لذلك، ولغيره من موضوعاته، فلا يَكتُبُ العلماءُ حديثَه بحال.

قلتُ: فلو اقتصرَ الناسُ على ماثبت في الصِّحاح والمسانيد، وغيرِهما من المصنفات التي تداولها العلماءُ، ورواها الأئمةُ الفقهاءُ، لكان لهم في ذلك غُنْيةٌ، وخَرجوا عن تحذيره ﷺ حيث قال: «اتَّقوا الحديثَ عنِّي إلا ما عَلِمتُم، فمن كَذَبَ عليَّ مُتعمِّداً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النار» الحديث[٢]. فتخويفُه ﷺ أمَّتَه بالنار على الكذب دليلٌ على أنه كان يعلمُ أنه سيُكذَبُ عليه. فحذارِ مما وضعَه أعداءُ الدين، وزنادقةُ المسلمين، في باب الترغيب والترهيب، وغير ذلك.

وأعظمُهم ضَرَراً أقوامٌ من المنسوبين إلى الزُّهد، وضعوا الحديثَ حِسْبَة فيما زَعَموا، فتقبَّلَ[٣] الناسُ موضوعاتِهم، ثقة منهم بهم، ورُكوناً إليهم، فضَلُّوا وأَضلُّوا.

باب ما جاء من الحُجَّة في الرَّدِّ على مَن طعنَ في القرآن، وخالفَ مصحفَ عثمانَ بالزيادة والنقصان

لاخلافَ بين الأمة، ولا بين الأئمة أهلِ السُّنَّة، أنَّ القرآنَ اسمٌ لكلام الله تعالى الذي جاء به محمدٌ ﷺ معجزة له، على ما تقدَّم[٤]، وأنه محفوظٌ في الصدور، مقروءٌ بالألسنة، مكتوبٌ في المصاحف، معلومةٌ على الاضطرار سُوَرُهُ وآياتُه، مُبَرَّأةٌ من

---

(١) نقل الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣/ ٤٥٥ عن الإمام أحمد قوله: ماروى هذا إلا ذاك الكذاب أبو البَختَرِي. وذكر له الخطيب أيضاً أنه دخلَ على هارون الرشيد وهو يطيِّر الحمام، فحدَّثه أن النبي ﷺ كان يطيِّر الحمام، فقال له الرشيد: اخرج عني. ثم قال: لولا أنه رجلٌ من قريش لعزلتُه. اهـ. وقد رُويت القصة أيضاً (التي أوردها المصنف) عن غياث بن إبراهيم النخعي في دخوله على المهدي، كما في تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢٤، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٣٨. قال ابن القيم في المنار المنيف ١/ ١٠٦: أحاديث الحَمَام لا يصح منها شيء.

وقد أخرج حديث أبي هريرة (يعني دون قوله: أو جناح) الإمام أحمد في المسند (٧٤٨٢)، وغيرُه، ونقل الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٤/ ١٦١ تصحيحه عن ابن القطان وابن دقيق العيد.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٧٥) و(٢٩٧٤)، والترمذي (٢٩٥١) من حديث ابن عباس. وقد ذكره المصنف بأطول منه ص ٥٧. باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي.

(٣) في النسخ الخطية: فيقبل، والمثبت من (م).

(٤) في (م): على نحو ماتقدم.

الزيادة والنقصان حروفُه وكلماتُه، فلا يُحتاجُ في تعريفه بحدٍّ، ولا في حَصره بعدٍّ، فمن ادَّعى زيادةً عليه، أو نقصاناً منه، فقد أبطلَ الإجماعَ، وبَهَتَ الناسَ، وردَّ ماجاء به الرسولُ ﷺ من القرآن المُنزَل عليه، وردَّ قولَه تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأبطلَ آيةَ رسولِه عليه السلام، لأنه إذ ذاك يصيرُ القرآنُ مَقدوراً عليه حين شِيبَ بالباطل، ولمَّا قُدِرَ عليه، لم يكُن حُجَّةً ولا آية، وخرج عن أن يكونَ مُعجِزاً[١].

فالقائلُ بأنَّ القرآنَ فيه زيادةٌ ونُقصانٌ، رادٌّ لكتابِ الله، ولِمَا جاء به الرسولُ، وكان كمن قال: الصلواتُ المفروضاتُ خمسون صلاة، وتزوُّجُ تسع من النساء حلالٌ، وفرضَ اللهُ أياماً مع شهر رمضان، إلى غير ذلك مما لم يَثبُت في الدِّين، فإذا رُدَّ هذا بالإجماع، كان الإجماعُ على القرآن أثبتَ وآكدَ، وألزمَ وأوجبَ.

قال الإمام أبو بكر محمدُ بنُ القاسم بن بشار بن محمد الأنباريُّ: ولم يَزَل أهلُ الفضلِ والعقلِ يَعرِفون مِن شَرَفِ القرآنِ وعُلُوِّ منزلتِه، ما يُوجِبُه الحقُّ والإنصافُ والدِّيانةُ، ويَنفُونَ عنه قولَ المُبطِلين، وتَمْوِيهَ المُلحِدين، وتحريفَ الزائغين، حتى نَبَغَ[٢] في زماننا هذا زائغٌ زاغَ عن المِلَّةِ، وهجمَ على الأمَّة، بما يُحاولُ به إبطالَ الشريعة، التي لا يزالُ اللهُ يؤيِّدُها، ويُثَبِّتُ أُسَّها، ويُنَمِّي فَرعَها، ويَحرُسُها من معايب أولي الحَيْف[٣] والجَوْر، ومكايدِ أهل العداوةِ والكفرِ. فزعم أنَّ المُصْحفَ الذي جمعَه عثمانُ رضي الله عنه ـ باتفاق أصحابِ رسول الله ﷺ على تصويبه فيما فعَل ـ لا يَشتَمِلُ[٤] على جميع القرآن، إذ كان قد سَقَطَ منه خمسُ مئة حرف، قد قرأتُ ببعضها، وسأقرأُ ببقيتها، فمنها: «والعصرِ ونوائبِ الدَّهر»[٥] فقد سقطَ من القرآن على جماعة المسلمين[٦]: «ونوائبِ الدَّهر». ومنها: «حتى إذا أخذتِ الأرضُ

(١) قوله: وخرج عن أن يكون معجزاً، من (م).

(٢) أي: ظهر، ووقع في (د) و(م): نبع، وفي (ظ): تبع، ولم تنقط في (ز)، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في (م): الجنَف.

(٤) في (ز): لا يجتمع.

(٥) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٩، وانظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٨٩.

(٦) في (د): من المسلمين.

زُخرُفَها وازَّيَّنَت وظَنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس وما كان اللهُ لِيُهلِكَها إلا بذنوب أهلها»[١]. فادَّعى هذا الإنسانُ أنه سقطَ على أهل الإسلام من القرآن: «وما كان اللهُ ليُهلِكَها إلا بذنوب أهلها» وذكر مما يدَّعي حروفاً كثيرة.

وادَّعى أنَّ عثمانَ والصحابةَ رضي الله عنهم زادوا في القرآن ماليس فيه، فقرأ في صلاة الفرضِ والناسُ يسمعون: «اللهُ الواحدُ الصمد»[٢]، فأسقطَ من القرآن: «قل هو»، وغيَّر لفظَ «أحد»، وادَّعى أنَّ هذا هو الصوابُ، والذي عليه الناسُ هو الباطلُ والمُحَالُ، وقرأ في صلاة الفرض: «قُل للذين كفروا لا أعبدُ ما تعبدون»[٣] وطَعَنَ على[٤] قراءة المسلمين.

وادعى أنَّ المُصحفَ الذي في أيدينا اشتملَ على تصحيفِ حروف[٥] مُفسِدَة مُغيِّرة، منها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فادَّعى أنَّ الحِكمةَ والعِزَّةَ لا يُشاكِلان المغفرةَ، وأنَّ الصوابَ: «وإن تَغفِر لهم فإنك أنت الغفورُ الرحيمُ»[٦]. وترامَى به الغَيُّ في هذا وأشكالِه حتى ادَّعى أنَّ المسلمين يُصَحِّفون: ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، والصوابُ الذي لم يُغيَّر عنده: «وكان عبداً للهِ وجيهاً»[٧]، وحتى قرأ في صلاة مُفترَضة على ما أخبرنا جماعةٌ سَمِعُوه وشَهِدُوه[٨]: «لا تُحرِّك به لسانَك، إنَّ علينا جمعَه وقراءتَه، فإذا قرأناه فاتَّبِع

(١) أخرجها أبو عبيد في الفضائل ص١٧٣، والطبري في التفسير ١٢/ ١٥٢ وذكرها ابن عطية ٣/ ١١٥، وأبو حيان في البحر ٥/ ١٤٤ وقال: ولا يحسنُ أن يقرأ أحد بهذه القراءة، لأنها مخالفةٌ لخط المصحف الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون.

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٨٢، ونسبها لعبد الله والأعمش.

(٣) نقلها أيضاً ابن عادل الحنبلي في اللباب ٢٠/ ٥٣٠ عن ابن الأنباري.

(٤) في (م): في.

(٥) في (ظ): وحروف.

(٦) نقل الذهبي في معرفة القراء الكبار ١/ ٥٤٩ عن عبد الرحمن بن عبد الله الفرائضي قوله: استُتِيبَ ابن شَنَبوذ على قراءة هذه الآية. اهـ. وذكرها كذلك أبو حيان في البحر ٤/ ٦٢ وقال: ليست من المصحف.

(٧) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ١٨٥ عن ابن مسعود، وانظر كتاب ابن خالويه ص ١٢٠.

(٨) في (ظ): وشهروه.

قراءته، ثم إنَّ علينا نبأ به». وحكى لنا آخرون عن آخَرين، أنهم سَمِعُوه يقرأ: «ولقد نصركم اللهُ ببدر بسيف عَليٍّ وأنتم أَذِلَّةٌ»[١]. وروى هؤلاء أيضاً لنا عنه قال: «هذا صراط علي مستقيم»[٢]. وأخبرونا أنه أدخلَ في آية من القرآن مالا يُضاهي فصاحةَ رسولِ الله ﷺ، ولا يدخُلُ في لسان قومه الذين قال اللهُ عز وجل فيهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، فقرأ: «أليس قلتَ للناس» في موضع: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وهذا لا يُعرَفُ في نحو المُعرِبين، ولا يُحمل على مذاهب النَّحْويين؛ لأنَّ العربَ لم تَقُل: ليس قُمتَ، فأمَّا: لستَ قمتَ، بالتاء، فشاذٌّ قبيحٌ، خبيثٌ رديء، لأنَّ «ليس» لا تجحَدُ الفعلَ الماضي، لم[٣] يُوجَد مثلُ هذا إلا في قولهم: ليس خلق اللهُ مثله[٤]، وهو لغةٌ شاذَّةٌ، لا يُحمَلُ كتابُ الله عليها.

وادَّعى أنَّ عثمانَ رضي اللهُ عنه لما أسندَ جَمْعَ القرآن إلى زيد بن ثابت، لم يُصِب؛ لأنَّ عبدَ الله بن مسعود وأُبَيَّ بنَ كعب كانا أولَى بذلك من زيد، لقول النبيِّ ﷺ: «أقرأُ أمَّتي أُبَيُّ بن كعب»[٥]، ولقوله عليه السلام: «مَن سَرَّهُ أن يقرأَ القرآنَ غَضًّا كما أُنزِلَ، فَليقرَأْهُ بقراءة ابنِ أُمِّ عَبد»[٦]، وقال هذا القائلُ: لي أن أخالفَ مُصحفَ عثمانَ كما خالفه أبو عمرو بن العلاء، فقرأ: ﴿إِنَّ هَٰذَيۡنِ﴾ [طه: ٦٣]، ﴿فأصَّدَّقَ وأكونَ﴾ [المنافقون: ١٠]، ﴿فَبَشِّرۡ عباديَ ، الذين﴾ [الزمر: ١٧] بفتح الياء[٧]، ﴿فما

---

(١) هي قراءة واضحة البطلان.

(٢) قرأ يعقوب، وهو من العشرة: هذا صراطٌ عليٌّ مستقيم، انظر النشر ٢/ ٣٠١. وذكرها ابن جنّي في المحتسب ٢/ ٣، وقال: عليٌّ ـ هنا ـ كقولهم: كريم، وشريف، وليس المرادُ علوَّ الشخوص والنِّصْبة. اهـ. ومن الواضح أن المصنف رحمه الله يقصد تقييداً آخر للفظ، كما هو ظاهر سياق كلامه في الردّ على الزائغين عن الملَّة.

(٣) في (م): ولم.

(٤) في (م): أليس قد خلق الله مثلهم.
وقال صاحب النحو الوافي ١/ ٥٥٩: اشترطَ الكوفيون للقياس على هذا الأسلوب دخولَ «قد» على خبر «ليس» مجاراة للمثال المسموع، ولأن «قد» تُقَرِّبُهُ من الحال.

(٥) سلف نحوه ص٦٢ ضمن حديث.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٤٢٥٥) وغيرُه بلفظ: «من أحبَّ ...» وانظر ما سلف ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٧) قراءة أبي عمرو في الموضع الثالث هي من رواية السوسي وصلاً، واختلف عنه وقفاً بين الحذف والإثبات. وانظر قراءته في الآيات المذكورة في السبعة ص ٤١٩، ٦٣٧، ٥٦١، والتيسير ص ١٥١، =

آتانيَ الله﴾ [النمل: ٣٦] بفتح الياء[١]. والذي في المُصحفِ: ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ بالألف[٢]، ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ بغير واو[٣]، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾، ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ بغير ياء[٤] في الموضعين[٥]. وكما خالف ابنُ كَثير ونافعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ مُصحفَ عثمانَ، فقرؤوا: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] بإثبات نونين، يفتحُ الثانيةَ بعضُهم، ويُسَكِّنُها بعضُهم[٦]، وفي المصحف نونٌ واحدة[٧]. وكما خالف حمزةُ المُصحفَ، فقرأ: ﴿أَتُمِدُّونِي بمال﴾ [النمل: ٣٦] بنون واحدة، ووقف على الياء[٨]، وفي المُصحف نونانِ، ولا ياء بعدَهما[٩]. وكما خالف حمزةُ أيضاً المُصحفَ، فقرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ [هود: ٦٨] بغير تنوين[١٠]، وإثباتُ الألف يُوجِبُ التنوين[١١]. وكلُّ هذا الذي شَنَّعَ به على القُرَّاء ما يلزمُهم به خِلافٌ للمصحف.

= ٢١١، ١٨٩ على الترتيب.

(١) وقرأها كذلك من السبعة نافع وعاصم في رواية حفص وصلاً، واختلف عن قالون وأبي عمرو وحفص وقفاً بين الحذف والإثبات. وقرأ ورش بالحذف وقفاً. ذكره ابن مجاهد في السبعة ص٤٨٢، والداني في التيسير ص ١٧٠.

(٢) ذكره أبو عمرو الداني في التيسير ص ١٥١، والمقنع ص ١٥.

(٣) التيسير ص ٢١١، والمقنع ص ١١٣.

(٤) في (د) و(ز) و(م): ياءين، والمثبت من (ظ).

(٥) التيسير ص ١٧٠ و١٨٩، والمقنع ص ٣٢.

(٦) لم يذكر المصنف بقية القراء السبعة ـ وهم أبو عمرو البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم ـ مع أنهم اتفقوا جميعاً على قراءتها بنونين؛ قرأ الكسائي وعاصم في رواية حفص عنه بإسكان الثانية، وتخفيف الجيم، وقرأ الباقون بفتح الثانية وتشديد الجيم. انظر السبعة ص ٣٣٠، والتيسير ص ١٢٣.

(٧) لكن أبا عمرو الداني ذكر في المقنع ص٩١ عن أبي عبيد أنه رأى في مصحف عثمان رضي الله عنه الحرفين اللذين في يونس: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ و﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بنونين، وذكر أيضاً ص٨٥ فيما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار، أنها بنونين.

(٨) قرأ حمزة بنون واحدة مشدَّدة، فأدغمَ النون الأولى في الثانية، مع المدِّ المشبع، وأثبت الياء وصلاً ووقفاً، وكذلك قرأها يعقوب من العشرة. السبعة في القراءات ص٤٨٢، والتيسير ص ١٧٠، والنشر ٢/ ٣٣٨.

(٩) ذكره أبو عمرو الداني في المقنع ص ٩١.

(١٠) هي أيضا قراءة عاصم من السبعة في رواية حفص، وقراءة يعقوب من العشرة. السبعة ص٣٣٧، والتيسير ص ١٢٥، والنشر ٢/ ٢٨٩.

(١١) قال ابن الجزري في النشر ٢/ ٢٩٠: كلُّ مَنْ نَوَّنَ وقف بالألف، ومَنْ لم يُنَوِّنْ وقف بغير ألف وإن كانت مرسومة.

قلتُ: قد أشرنا إلى العدِّ فيما تقدَّم[١] مما اختلفَت فيه المصاحفُ، وسيأتي بيانُ هذه المواضعِ في مواضعها من هذا الكتاب، إن شاء اللهُ تعالى.

قال أبو بكر: وذكر هذا الإنسانُ أنَّ أُبَيَّ بنَ كَعب هو الذي قرأ: «كأن لم تَغنَ بالأمس، وما كان اللهُ لِيُهلِكَها إلا بذنوب أهلها». وذلك باطلٌ[٢]؛ لأنَّ عبدَ الله بنَ كثير قرأ على مجاهد، ومجاهدٌ قرأ على ابن عباس، وابنُ عباس قرأ القرآنَ على أُبَيِّ بن كعب: ﴿حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [يونس: ٢٤] في رواية. وقرأ أُبَيٌّ القرآنَ على رسول الله ﷺ. وهذا الإسنادُ مُتَّصِلٌ بالرسول عليه السلام، نقلَه أهلُ العدالةِ والصِّيانة، وإذا صحَّ عن رسول الله ﷺ أمرٌ، لم يُؤخَذ بحديث يُخالِفُه. وقال يحيى بنُ المبارك اليزيدي[٣]: قرأتُ القرآنَ على أبي عمرو بنِ العلاء، وقرأ أبو عمرو على مجاهد، وقرأ مجاهدٌ على ابن عباس، وقرأ ابنُ عباس على أُبَيِّ بن كعب، وقرأ أُبَيٌّ على النبيِّ ﷺ، وليس فيها: «وما كان اللهُ لِيُهلِكَها إلا بذنوب أهلِها»[٤]. فمن جَحَدَ أنَّ هذه الزيادةَ أنزلَها اللهُ تعالى على نبيِّه عليه السلام، فليس بكافر ولا آثم: حدثني أبي، حدثنا نَصرُ بنُ داود الصَّاغاني[٥]، نبَّأنا أبو عُبيد قال: ما يُروَى من الحروف التي تُخالِفُ المُصحفَ الذي عليه الإجماعُ، من الحروف التي يَعرِفُ[٦] أسانيدَها الخاصَّةُ دون العامَّةِ، مما[٧] نقلوا فيه عن أُبَيٍّ: «وما كان اللهُ لِيُهلِكَها إلا بذنوب أهلها»، وعن ابن عباس: «ليس عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج»[٨]، ومما يَحكُون عن عمرَ بن الخطاب أنه قرأ: «غيرِ

(١) ص ١٠٥.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٢/ ١٥٢، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ١١٥، وأبو حيان في البحر ٥/ ١٤٤، وقال: ولا يحسن أن يقرأ أحد بهذه القراءة، لأنها مخالفة لخط المصحف الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون. وانظر ما جاء آخر هذا الباب.

(٣) أورده ابن الجزري في طبقاته ٢/ ٣٧٥، وقال: نحوي مقرىء علامة كبير، عُرف باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، فكان يؤدب ولده ... توفي سنة (٢٠٢) بمرو.

(٤) في (ظ): إلا بذنوبها.

(٥) هو من أجلِّ أصحاب أبي عبيد، فيما نقله ابن الجزري في طبقاته ٢/ ٣٣٥ عن أبي عمرو الداني.

(٦) في (ظ): تعرف.

(٧) في (م): فيما.

(٨) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٦٤ وقال ص١٩٥: هذه الحروف وأشباه لها كثيرة قد صارت=

المغضوب عليهم وغير الضالين»[١]، مع نظائرَ لهذه الحروفِ كثيرة، لم يَنقُلها أهلُ العلم على أنَّ الصلاةَ بها تَحِلُّ، ولا على أنها مُعارَضٌ بها مُصحفُ عثمان، لأنها حروفٌ لو جَحَدَها جاحدٌ أنها من القرآن، لم يكن كافراً، والقرآنُ الذي جمعَه عثمانُ بموافقة الصحابة له، لو أنكرَ بعضَه مُنكِرٌ، كان كافراً، حُكمُه حكمُ المرتدِّ، يُستتاب، فإن تاب، وإلا ضُرِبَت عنقُه.

وقال أبو عُبيد: لم يَزَل صَنيعُ عثمانَ رضي الله عنه في جمعه القرآنَ يُعتدُّ له بأنه من مناقبه العِظام، وقد طَعَنَ عليه فيه بعضُ أهل الزَّيغ، فانكشفَ عَوارُه، ووَضَحَت فَضائِحُه.

قال أبو عُبيد: وقد حُدِّثتُ عن يزيدَ[٢] بنِ زُرَيع، عن عِمرانَ بنِ حُدَير[٣]، عن أبي مِجلَز قال: طَعَنَ قومٌ على عثمانَ رحمه الله ـ بحُمقهم ـ جَمْعَ القرآن، ثم قرؤوا بما نُسخ.

قال أبو عُبيد: يذهَبُ أبو مِجْلَز[٤] إلى أنَّ عثمانَ أسقطَ الذي أسقطَ بعلم، كما أثبتَ الذي أثبتَ بعلم[٥].

قال أبو بكر: وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] دلالةٌ على كُفرِ هذا الإنسانِ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد حَفِظَ القرآنَ من التغيير والتبديل، والزيادةِ والنقصان، فإذا قرأ قارئٌ: «تَبَّت يَدَا أبي لهب وقد تَبَّ، ما أغنى عنه مالُه وما كَسَبَ، سيصلى ناراً ذاتَ لهب، ومُرَيَّتُه حمالةُ الحطب، في جِيدها حبلٌ من ليف» فقد كَذَبَ على الله جل وعلا، وقَوَّلَه مالم يَقُل، وبدَّل كتابَه وحرَّفه، وحاولَ ماقد حَفِظه منه، ومنعَ من اختلاطه به، وفي هذا الذي أتاه توطئةُ الطريقِ لأهل الإلحاد، لِيُدخِلُوا في القرآن ما يَحُلُّون به عُرى الإسلام، ويَنسُبونَه إلى قوم كهؤلاء

= مفسرة للقرآن. وانظر البحر ٢/ ٩٤.

(١) أخرجه أبو عبيد في الفضائل ص ١٦٢.

(٢) في فضائل القرآن ص١٩٤: حدثنا يزيد.

(٣) تحرف في (ز) و(م) إلى: جرير.

(٤) لاحق بن حُمَيد بن سعيد السَّدوسي، البصري، الأعور، مشهور بكنيته، ثقة، روى له الجماعة، مات سنة مئة، وقيل غير ذلك. تقريب التهذيب.

(٥) ما نقله المصنف عن ابن الأنباري عن أبي عبيد مما سلف، هو بنحوه في فضائل القرآن له ص١٩٣ ـ ١٩٥.

القومِ الذين أحالُوا هذا بالأباطيل[١] عليهم. وفيه إبطالُ الإجماعِ الذي به يُحرَسُ الإسلام، وبثباته تُقامُ الصلواتُ، وتُؤدَّى الزكَواتُ، وتُتَحرَّى المتعبَّدات.

وفي قولِ الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] دلالةٌ على بِدعة هذا الإنسانِ وخروجِه إلى الكفر؛ لأنَّ معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: منْعُ الخلق من القُدرة على أن يَزيدوا فيها، أو يَنقُصوا منها، أو يُعارضوها بمثلها، وقد وجدنا هذا الإنسانَ زاد فيها: «وكفى اللهُ المؤمنين القتالَ بعليٍّ وكان الله قويًّا عزيزاً». فقال في القرآن هُجْراً، وذكر عليًّا في مكان لو سَمِعَه يذكُره فيه، لأمضى عليه الحدَّ، وحَكَمَ عليه بالقتل. وأسقطَ من كلام الله «قل هو» وغيَّر «أحد» فقرأ: اللهُ الواحدُ الصمدُ. وإسقاطُ ما أسقَطَه نَفْيٌ له وكُفرٌ، ومَن كَفَرَ بحرف من القرآن، فقد كَفَرَ به كلِّه، وأبطلَ معنى الآيةِ؛ لأنَّ أهلَ التفسير قالوا: نزلتِ الآيةُ جواباً لأهل الشِّرك، لمَّا قالوا لرسول الله ﷺ: صِف لنا رَبَّك، أَمِن ذهب، أَم مِن نحاس، أم من صُفْر؟ فقال اللهُ جلَّ وعَزَّ ردًّا عليهم: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢]. ففي «هو» دلالةٌ على موضع الردِّ، ومكان الجواب. فإذا سَقَطَ، بطلَ معنى الآيةِ، ووَضَحَ الافتراءُ على الله عزَّ وجلَّ، والتكذيبُ لرسول الله ﷺ.

ويُقال لهذا الإنسان ومَن يَنتَحِلُ نُصْرتَه: أَخْبِرونا عن القرآن الذي نقرؤه، ولا نعرِفُ نحن ولا مَن كان قبلَنا من أسلافنا سواه: هل هو مُشتَمِلٌ على جميع القرآن من أوَّله إلى آخِره، صحيحُ الألفاظِ والمعاني، عارٍ من[٣] الفساد والخَلَلِ؟ أم هو واقعٌ على بعض القرآن، والبعضُ الآخَرُ غائبٌ عنَّا كما غابَ عن أسلافنا والمتقدِّمين من أهل مِلَّتنا؟ فإن أجابوا بأنَّ القرآنَ الذي معنا مُشتَمِلٌ على جميع القرآنِ، لا يسقُطُ منه شيءٌ، صحيحُ اللَّفظ والمعاني، سَلِيمُها من كلِّ زَلَلٍ وخَلَلٍ، فقد قَضَوا على أنفسهم

(١) في (ظ) و(ز): بالبواطيل.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٣٤١)، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٨٣، وفي الأسماء والصفات (٦٠٥) من طريق ديلم بن غزوان، عن ثابت البُناني، عن أنس. وأخرجه أيضا الطبري ١٣/ ٤٨٠، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٢٣٢ من طريق علي بن أبي سارة، عن ثابت، عن أنس. وقال: ولا يتابع (أي: علي بن أبي سارة) عليه من جهة تثبت. وقال أيضا: ولا يتابعه إلا من هو مثله أو قريب منه. وسيذكره المصنف في تفسير الآية المذكورة من سورة الرعد، عن الحسن، وسيذكر نحوه عن أبي بن كعب في تفسير سورة الإخلاص.

(٣) في (م): عن.

بالكفر حين زادوا فيه: «فليس له اليومَ هاهنا حميمٌ، وليس له شرابٌ إلا من غِسلين، من عَين تجري من تحت الجحيم» فأيُّ زيادة في القرآن أوضَحُ من هذه، وكيف تُخلَطُ[1] بالقرآن، وقد حرسَه اللهُ منها، ومنعَ كلَّ مُفْتَرٍ ومُبْطلٍ من أن يُلْحِقَ به مثلَها ؟! وإذا تُؤُمِّلَتْ وبُحِثَ عن معناها، وُجِدَتْ فاسدةً غيرَ صحيحة، لاتُشاكِلُ كلامَ الباريء تعالى، ولا تختلط[2] به، ولا تُوافِقُ معناه، وذلك أنَّ بَعدَها: ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ فكيف يُؤكَلُ الشرابُ ؟! والذي أتى به قبلَها: «فليس له اليومَ هاهنا حميمٌ، وليس له شرابٌ إلا من غِسلين، من عين تجري من تحت الجحيم، لا يأكلُه إلا الخاطئون». فهذا متناقِضٌ يُفسِدُ بعضُه بعضاً، لأنَّ الشرابَ لا يُؤكَلُ، ولا تقول العربُ: أكلتُ الماءَ، لكنَّهم يقولون: شَرِبتُه، وذُقتُه، وطَعِمْتُه. ومعناه ـ فيما أنزل اللهُ تبارك وتعالى ـ على الصِّحة في القرآن، الذي مَن خالفَ حَرفاً منه كفرَ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦] لا يأكلُ الغِسلينَ إلا الخاطئون، أو لا يأكُلُ الطعامَ إلا الخاطئون. والغِسلين: ما يخرُجُ من أجوافهم من الشَّحم، وما يتعلَّقُ به من الصَّديدِ وغيره، فهذا طعامٌ يُؤكَلُ عند البَلِية والنِّقمة، والشرابُ مُحالٌ أن يُؤكَلَ.

فإنِ ادَّعى هذا الإنسانُ أنَّ هذا الباطلَ الذي زاده من قوله: «مِن عين تجري من تحت الجحيم» ليس بعدَها: ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ ونفَى هذه الآيةَ من القرآن، لِتَصِحَّ له زيادتُه، فقد كفر لَمَّا جَحَدَ آية[3] من القرآن. وحسبُك بهذا كلِّه رَدًّا لقوله، وخِزياً لِمَقَالِهِ.

وما يؤثَرُ عن الصحابة والتابعين أنهم قرؤوا بكذا وكذا، إنما ذلك على جِهة البيان والتفسير، لا أنَّ ذلك قرآنٌ يُتلَى، وكذلك ما نُسِخَ لفظُه وحُكمُه، أو لفظُه دون حُكمِه، ليس بقرآن، على ما يأتي بيانُه عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] إن شاء الله تعالى.

---

(١) في النسخ الخطية: يخلط، والمثبت من (م).

(٢) في (م): تخلط.

(٣) في (ز): أنه.

القول في الاستعاذة

وفيها اثنتا عَشرةَ مسألة:

الأولى: أمَرَ اللهُ تعالى بالاستعاذة عند أوَّل كلِّ قراءة، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ١٦]، أي: إذا أردتَ أن تقرأ. فأوقعَ الماضيَ موقعَ[١] المستقبَل، كما قال الشاعر[٢]:

وإنِّي لآتِيكُم لِذِكرِي الذي مَضَى ... من الوُدِّ واستئنافِ ماكانَ في غَدِ

أراد: ما يكون في غدٍ.

وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، وأنَّ كلَّ فعلَين تقاربا في المعنى، جازَ تقديمُ أيِّهما شئتَ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]. المعنى: فتدلَّى، ثم دنا. ومثلُه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وهو كثير.

الثانية: هذا الأمرُ على النَّدب في قول الجُمهور في كلِّ قراءة في غير الصلاة. واختلفوا فيه في الصلاة. حكى النَّقَّاشُ عن عطاء أنَّ الاستعاذةَ واجبةٌ، وكان ابنُ سِيرينَ والنَّخَعِيُّ وقومٌ يتعوَّذون في الصلاة في[٣] كلِّ ركعة، ويمتثلُون أمرَ الله في الاستعاذة على العموم، وأبو حنيفةَ والشافعيُّ يتعوَّذانِ في الركعة الأولى من الصلاة، ويَرَيانِ قراءةَ الصلاة كلِّها كقراءة واحدة، ومالكٌ لا يرى التعوُّذَ في الصلاة المفروضة، ويراه في قيام رمضان[٤].

الثالثة: أجمع العلماءُ على أنَّ التعوُّذَ ليس من القرآن، ولا آيةً منه، وهو قولُ القارىء: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». وهذا اللفظُ هو الذي عليه الجمهورُ من

---

(١) في (ظ): موضع.

(٢) هو الطِّرِمَّاح بنُ حكيم، من طيِّىء، ويكنى أبا نَفْر، والبيت في ديوانه ص٥٧٢ بلفظ:

فإني لآتيكم تَشَكُّرَ ما مضى ... من البرِّ واستيجابَ ما كان في غدِ

وهو في الخصائص ٣/ ٣٣١، وأمالي ابن الشَّجري ١/ ٦٧ و٢/ ٤٥٣.

(٣) ليست في (م).

(٤) من قوله: وكان ابن سيرين ... من تفسير ابن عطية ١/ ٥٨، وجاء فيه بعده قوله: ولم يُحفظ عن النبي ﷺ أنه تعوَّذ في صلاة.

العلماء في التعوُّذ، لأنه لفظُ كتاب الله تعالى. ورُوِيَ عن ابن مسعود أنه قال: قلتُ: أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيم، فقال لي النبيُّ ﷺ: «يا ابنَ أُمِّ عَبد، أعوذُ[١] بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأني جبريلُ عن اللَّوح المحفوظ عن القلم»[٢].

الرابعة: روى أبو داود وابنُ ماجه في «سُننهما» عن جُبَير بنِ مُطعِم أنه رأى رسولَ الله ﷺ يصلِّي صلاةً ـ قال[٣] عمرو[٤]: لا أدري أيَّ صلاة هي ـ فقال: «اللهُ أكبرُ كبيراً، اللهُ أكبرُ كبيراً، الله أكبرُ كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، الحمدُ لله كثيراً ـ ثلاثاً ـ وسبحان اللهِ بُكرةً وأصيلاً ـ ثلاثاً ـ أعوذ بالله من الشيطان[٥] مِن نَفْخِه ونَفْثِه وهَمْزِه» قال عمرو: هَمزُه: المُوْتَةُ، ونَفْثُه: الشِّعرُ، ونَفْخُه: الكِبرُ[٦]. وقال ابن ماجه: المُوْتَةُ: يعني الجنون. والنَّفْثُ[٧]: نَفْخُ الرجل مِن فيه من غير أن يُخرِجَ رِيقَه. والكِبْرُ: التِّيه.

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخُدْري قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا قام من الليل، كبَّر، ثم قال[٨]: «سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، تباركَ اسمُكَ، وتعالى جَدُّك، ولا إلهَ غيرُك». ثم يقول: «لا إلهَ إلا اللهُ» ثلاثاً، ثم يقول: «اللهُ أكبرُ كبيراً ـ ثلاثاً ـ أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من هَمْزِه ونَفْخِه ونَفْثِه». ثم يقرأُ[٩].

وروى سليمانُ بنُ سالم[١٠] عن ابن القاسم رحمه الله أنَّ الاستعاذَة: أعوذُ بالله

---

(١) في (ظ): قل أعوذ.

(٢) ذكره صاحب روح المعاني ١٤/٢٢٨ ونسبه للثعلبي والواحدي.

(٣) في (م): فقال.

(٤) هو عمرو بن مرة، أحد رجال الإسناد.

(٥) في (ز): الشيطان الرجيم.

(٦) سنن أبي داود (٧٦٤)، وسنن ابن ماجه (٨٠٧)، وهو في مسند أحمد (١٦٧٨٤).

(٧) في النسخ الخطية: كل مانفخ، والمثبت من (م).

(٨) في (م): يقول.

(٩) سنن أبي داود (٧٧٥)، وهو في مسند أحمد (١١٤٧٣).

(١٠) أبو الربيع القاضي المعروف بابن الكحالة، من أصحاب سحنون. مات سنة (٢٨١هـ). الديباج المذهب ١/ ٣٧٤.

العظيمِ من الشيطان الرجيم، إنَّ اللهَ هو السميعُ العليم، بسم الله الرحمن الرحيم.

قال ابن عطيَّة[١]: وأما المقرئون، فأكثَروا في هذا من تبديل الصفةِ في اسم الله تعالى وفي الجهة الأخرى، كقول بعضِهم: أعوذُ بالله المجيدِ من الشيطان المَريدِ، ونحوِ هذا مما لا أقولُ فيه: نِعْمتِ البِدْعةُ، ولا أقول: إنه لا يجوزُ.

الخامسة: قال المَهدَوِيُّ: أجمعَ القُرَّاءُ على إظهار الاستعاذةِ في أوَّل قراءة سورة «الحمد» إلا حمزةَ، فإنه أَسَرَّها.

وروى المسيَّبي[٢] عن أهل المدينة، أنهم كانوا يفتتحون القراءةَ بالبسملة[٣].

وذكر أبو اللَّيث السمرقندي[٤] عن بعض المفسرين، أنَّ التعوُّذَ فرضٌ، فإذا نَسِيَهُ القارئُ، وذَكَره في بعض الحِزْبِ، قَطَعَ وتعوَّذَ، ثم ابتدأ من أوَّله.

وبعضُهم يقول: يستعيذُ، ثم يَرجِعُ إلى موضعه الذي وقف فيه. وبالأوَّل قال أسانيدُ الحجاز والعراق، وبالثاني قال أسانيدُ الشام ومصر.

السادسة: حكى الزَّهراويُّ[٥] قال: نزلت الآيةُ في الصلاة، ونُدِبنا إلى الاستعاذة في غير الصلاة، وليس بفرض. قال غيرُه: كانت فرضاً على النبيِّ ﷺ وحدَه، ثم تأسَّينا به[٦].

السابعة: رُوِيَ عن أبي هريرةَ أنَّ الاستعاذةَ بعد القراءة، وقاله داودُ[٧]. قال

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٥٨.

(٢) تحرف في (م) إلى: السدي، والمشهورُ بهذه النسبة (المسيَّبي) الإمام أبو محمد إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المسيَّبي، المدني المقرىء، وابنُه محمد بن إسحاق. أما أبو محمد، فقد قرأ على نافع، وهو من جِلّة أصحابه المحققين، وتوفي سنة (٢٠٦هـ). وأما محمد، فقد قرأ على والده، وتوفي سنة (٢٣٦هـ). معرفة القراء الكبار ١/ ٣١٢ و ٤٣٠.

(٣) من قوله: قال المهدوي ... من تفسير ابن عطية ١/ ٥٩.

(٤) هو نصر بن محمد بن إبراهيم الحنفي، الفقيه المحدِّث، صاحب التفسير، وتنبيه الغافلين. توفي سنة (٣٧٥هـ). سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٢.

(٥) هو محدِّث الأندلس مع ابن عبد البر، أبو حفص عمر بن عُبيد الله بن يوسف القرطبي، توفي سنة (٤٥٤هـ). سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢١٩.

(٦) ينظر المحرر الوجيز١/ ٥٨.

(٧) ابن علي بن خلف، أبو سليمان، البغدادي، رئيس أهل الظاهر، الحافظ، صاحب التصانيف كالإيضاح، والإفصاح، مات سنة (٢٧٠هـ). سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٧.

القاضي أبو بكر بنُ العربيِّ: انتهى العِيُّ[١] بقوم إلى أن قالوا: إذا فَرَغَ القارئُ من قراءة القرآن، يستعيذُ بالله من الشيطان الرجيم. وقد روى أبو سعيد الخُدرِيُّ، أنَّ النبيَّ ﷺ كان يتعوَّذُ في صلاته قبل القراءة[٢]. وهذا نصٌّ. فإن قيل: فما الفائدةُ في الاستعاذة من الشيطان الرجيم[٣] وقتَ القراءة؟ قلنا: فائدتُها امتثالُ الأمر. وليس للشَّرعيَّات[٤] فائدةٌ إلا القيامُ بحقِّ الوفاء لها، في امتثالها أمراً، أو اجتنابها نَهياً. وقد قيل: فائدتُها امتثالُ الأمر بالاستعاذة من وسوسة الشيطان عند القراءة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

الثامنة[٥]: قال ابنُ العربي: ومِن أغربِ ما وجدناه قولُ مالك في «المجموعة» في تفسير هذه الآيةِ: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، قال: ذلك بعد قراءةِ أُمِّ القرآن لمن قرأ في الصلاة. وهذا قولٌ لم يَرِد به أثرٌ، ولا يَعضُدُه نَظَرٌ. فإن كان هذا كما قال بعضُ الناس: إنَّ الاستعاذةَ بعد القراءة، كان تخصيصُ ذلك بقراءة أُمِّ القرآن في الصلاة دعوى عريضة، ولا تُشبهُ أصلَ مالك، ولا فَهمَه، فالله أعلمُ بسرِّ هذه الروايةِ[٦].

التاسعة[٧]: في فَضلِ التعوُّذِ: روى مسلمٌ عن سليمانَ بن صُرَد[٨] قال: استَبَّ رجلان عند النبيِّ ﷺ، فجعلَ أحدُهما يغضَبُ، ويحمَرُّ وجهُه، وتَنتَفِخُ أوداجُه، فنظر إليه النبيُّ ﷺ، فقال: «إني أَعلَمُ كلمة لو قالها، لَذَهَبَ ذا عنه: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم». فقام إلى الرجلِ رجلٌ ممن سَمِعَ النبيَّ ﷺ، فقال: هل تدري ما قال

(١) في النسخ الخطية: الغي، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في أحكام القرآن لابن العربي.
(٢) سلف تخريجه في المسألة الرابعة.
(٣) كلمة الرجيم، ليست في (ز).
(٤) في (د): لشرع، وفي (ز): بشرع، وليست هي في (ظ)، والمثبت من (م)، وهو موافق لكتاب ابن العربي.
(٥) ليست في (م).
(٦) أحكام القرآن ٣/ ١١٦٣ و ١١٦٤.
(٧) في (م): الثامنة.
(٨) هو أبو مطرف الخزاعي الكوفي، صحابي، شهد صفّين مع علي رضي الله عنه، استشهد سنة (٦٥هـ). سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٥.

رسولُ الله ﷺ آنفاً؟ قال: «إني لأَعلَمُ كلمةً لو قالها، لَذَهَبَ ذا عنه: أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم». فقال له الرجلُ: أمجنوناً تراني ؟! أخرجه البخاريُّ أيضاً[١].

وروى مسلمٌ أيضاً عن عثمانَ بنِ أبي العاص الثقفيِّ أنه أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يارسولَ الله، إنَّ الشيطانَ قد حالَ بيني وبين صلاتي وقراءتي[٢]، يَلبِسُها عليَّ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «ذاك شيطانٌ يُقال له خِنزَب، فإذا أَحسَستَه، فتعوَّذ بالله منه، واتفُل عن يسارك ثلاثا». قال: ففعلتُ، فأذهَبَه الله عني[٣].

وروى أبو داود عن ابن عمرَ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا سافر فأقبل عليه اللَّيلُ، قال: «يا أرضُ، ربِّي وربُّكِ اللهُ، أعوذُ بالله من شَرِّك، ومن شَرِّ ما خُلِقَ فيك، ومِن شَرِّ ما يَدِبُّ عليك، ومن[٤] أسد وأَسودَ، ومن الحيَّةِ والعَقرب، ومن ساكِني[٥] البلد، ووالِد وما وَلَدَ»[٦].

ورَوَت خَولَةُ بنتُ حَكيم[٧] قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن نَزَلَ مَنزِلاً، ثم قال: أعوذُ بكلماتِ الله التامَّاتِ من شرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّه شيءٌ حتى يَرتَحِلَ». أخرجه المُوَطَّأ ومسلمٌ والترمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ[٨].

وما يُتَعوَّذُ منه كثيرٌ في الأخبار، واللهُ المستعانُ.

العاشرة[٩]: معنى الاستعاذةِ في كلام العرب: الاستجارةُ، والتَّحَيُّزُ إلى الشيء، على معنى الامتناعِ به من المكروه[١٠]. يقال: عُذتُ بفلان، واستعذتُ به، أي:

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٨٢)، وصحيح مسلم (٢٦١٠)، وهو في مسند أحمد (٢٧٢٠٥).

(٢) في النسخ الخطية: وقد أتى، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٠٣)، وهو في مسند أحمد (١٧٨٩٧).

(٤) في (د) و(ز): وأعوذ بك من.

(٥) في (ظ): ساكن.

(٦) سنن أبي داود (٢٦٠٣)، وهو في مسند أحمد (٦١٦١).

(٧) السُّلَميَّة، ويقال لها: خُويلة، بالتصغير، ويقال: كنيتها أم شريك، وكانت وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكان عثمان بن مظعون مات عنها. الإصابة ١٢/ ٢٣٣.

(٨) الموطأ ٢/ ٩٧٨، وصحيح مسلم (٢٧٠٨)، وسنن الترمذي (٣٤٣٧).

(٩) في (م): التاسعة.

(١٠) المحرر الوجيز ١/ ٥٨.

لجأتُ إليه. وهو عِياذِي، أي: مَلجَئي. وأعَذتُ غيري به، وعَوَّذتُه، بمعنى، ويقال: عَوذٌ بالله منك، أي: أعوذُ بالله منك. قال الراجز:

قالَت وفيها حَيْدَةٌ وذُعرُ عَوْذٌ بربِّي مِنكُمُ وحُجْرُ

والعربُ تقولُ عند الأمر [تُنكِرُه]: حُجراً له، بالضم، أي: دَفعاً، وهو استعاذةٌ من الأمر[١]. والعُوذَةُ والمَعَاذَةُ والتَّعويذُ، كلُّه بمعنى[٢]. وأصلُ أَعُوذُ: أَعْوُذُ، نُقلت الضمةُ إلى العين لاستثقالها على الواو، فسكنت.

الحادية عشرة[٣]: الشيطانُ: واحدُ الشياطين، على التكسير، والنونُ أصليةٌ، لأنه مِن شَطَنَ: إذا بَعُدَ عن الخير. وشَطَنَتْ دارُه، أي: بَعُدَتْ. قال الشاعر[٤]:

نَأَتْ بِسعادَ عنك نَوًى شَطُونُ فَبانَتْ والفُؤادُ بها رَهِينُ

وبئر شَطُونٌ، أي: بعيدةُ القَعرِ. والشَّطَنُ: الحَبلُ، سُمِّيَ به لِبُعدِ طرفيه وامتدادِه. ووصَفَ أعرابيٌّ فرساً، فقال: كأنه شيطانٌ في أَشطان.

وسُمِّيَ الشيطانُ شيطاناً، لِبُعدِهِ عن الحقِّ وتَمرُّدِه. وذلك أنَّ كلَّ عاتٍ مُتَمرِّدٍ من الجنِّ والإنسِ والدوابِّ شيطانٌ. قال جرير[٥]:

أيامَ يَدعونَني الشيطانَ مِن غَزَلي[٦] وهُنَّ يَهْوَينَني إذْ كنتُ شيطانا

وقيل: إنَّ شيطاناً مأخوذٌ من: شاطَ يَشِيطُ: إذا هَلَكَ، فالنون زائدة. وشاطَ: إذا احترقَ. وشَيَّطتُ اللَّحمَ: إذا دَخَّنتَه، ولم تُنضِجْهُ. واشتاط الرجلُ: إذا احتدَّ غضباً. وناقةٌ مِشْياطٌ: التي يَطِيرُ فيها السِّمَنُ. واشتاط: إذا هَلَكَ. قال الأعشى[٧]:

---

(١) الصحاح (عوذ) و(حجر)، وما بين حاصرتين منه، والرجز للحطيئة، كما في الأغاني ٢/ ١٩٧.

(٢) أي: الرُّقيَةُ، يُرقَى بها الإنسانُ من فزع، أو جنون، لأنه يُعاذُ بها. اللسان (عوذ).

(٣) في (م): العاشرة.

(٤) هو النابغة الذُّبياني، والبيت في ديوانه ص ١٢٦.

(٥) ابنُ عطية بن الخَطَفَى، التميمي البصري، جعله ابن سلّام رأس الطبقة الأولى من طبقات الإسلام ٢/ ٢٩٧، مدح خلفاء بني أمية، توفي بعد الفرزدق بشهر سنة (١٠٠هـ). سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٠، والبيت في ديوانه ١/ ١٦٥.

(٦) في (م): غزل.

(٧) هو ميمون بن قيس، والبيت في ديوانه ص ١١٣.

قد نَطعَنُ العَيرَ في مَكنونِ[١] فائِلِهِ وقد يَشِيطُ على أرماحِنا البَطَلُ[٢]

أي: يَهلِكُ.

ويرد على هذه الفِرقة أنَّ سيبويهِ حكى أنَّ العربَ تقول: تَشيطَنَ فلانٌ إذا فعل أفعالَ الشياطين، فهذا بَيِّنٌ أنه تَفَيْعَلَ، مِن: شَطَنَ، ولو كان من شاطَ، لقالوا: تَشَيَّطَ، ويرد عليهم أيضاً بيتُ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلت:

أيُّما شاطِنٍ عَصَاه عَكاهُ ورَمَاهُ في السِّجنِ والأغلالِ[٣]

فهذا شاطِنٌ، من شَطَنَ، لا شكَّ فيه[٤].

الثانية عشرة[٥]: الرجيمُ، أي: المُبعَدُ من الخير، المُهان. وأصلُ الرَّجْم: الرَّميُ بالحجارة، وقد رَجَمتُه أَرجُمُهُ، فهو رجيمٌ ومرجومٌ. والرَّجمُ: القتلُ، واللَّعنُ، والطَّردُ، والشَّتم، وقد قيل هذا كلُّه في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]. وقولِ أبي إبراهيم: ﴿لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]. وسيأتي إن شاء الله تعالى.

روى الأعمشُ[٦]، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيتُ النبيَّ ﷺ عند الصَّفا وهو مُقبِلٌ على شخص في صورة الفيل وهو يَلعَنُه، فقلتُ: ومَن هذا الذي تَلعَنُهُ يارسولَ الله؟ قال: «هذا الشيطانُ الرجيمُ» فقلتُ: واللهِ، يا عدوَّ الله، لأَقتُلَنَّكَ[٧]، ولأُرِيحَنَّ الأمَّةَ منك، قال: ما هذا جزائي منك. قلتُ: وما جزاؤك مني ياعدوَّ الله؟ قال: واللهِ ما أبغَضَكَ أحدٌ قطُّ إلا شَرِكتُ أباه في رَحِمِ أمِّهِ[٨].

---

(١) في (م): تَخضِبُ العير من مكنون.

(٢) العَير: حمار الوحش، والفائل؛ قال التبريزي في شرح القصائد العشر ص٣٤٨: هو عِرق يجري من الجوف إلى الفخذ، ومكنون الفائل: الدم.

(٣) ديوانه ص٤٤٥، وأورده ابن منظور في اللسان (شطن)، وهو في وصف سليمان بن داود عليهما السلام. قوله: عكاه، أي: شدَّه في الحديد.

(٤) من قوله: ويرد على هذه الفرقة أن سيبويه ... من تفسير ابن عطية ١/ ٥٩.

(٥) في (م): الحادية عشرة.

(٦) في (د) و(ظ): الثالثة عشرة روى الأعمش ... وهو مخالف لما صرح به من عدد المسائل أول الكلام.

(٧) في (م): ياعدو الله والله لأقتلنك.

(٨) خبر موضوع. وقد أخرجه وتكلم فيه الخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٩ و٢٩٠، والذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ١٩٧، وفي إسناده إسحاق بن محمد النخعي الأحمر. قال الذهبي: كذَّاب مارقٌ، =

البسملة

وفيها ثمان[١] وعشرون مسألة:

الأولى: قال العلماءُ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ قَسَمٌ من ربِّنا، أنزلَه عند رأس كلِّ سورة، يُقسِمُ لعباده: إنَّ هذا الذي وضعتُ لكم يا عبادي في هذه السورة حقٌّ، وإني أَفي لكم بجميع ما ضَمِنتُ في هذه السورةِ من وَعدِي ولُطفِي وبِرِّي[٢]. و﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ مما أنزله اللهُ تعالى في كتابِنا، وعلى هذه الأمةِ خصوصاً، بعد سليمانَ عليه السلام. وقال بعضُ العلماء: إنَّ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ تَضَمَّنَت جميعَ الشرع، لأنها تَدُلُّ على الذات وعلى الصِّفات. وهذا صحيحٌ.

الثانية: قال سعيد بن أبي سُكَينَة: بلغني أنَّ عليَّ بنَ أبي طالب رضي اللهُ عنه نَظَرَ إلى رجل يَكتُبُ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ فقال له: جَوِّدها، فإنَّ رجلاً جَوَّدَها، فَغُفِرَ له[٣].

ومِن هذا المعنى قِصَّةُ بِشرِ الحافي[٤]، فإنه لمَّا رَفَعَ الرُّقعَةَ التي فيها اسمُ الله، وطَيَّبَها، طُيِّبَ اسمُه. ذكره القُشَيريُّ[٥].

وروى النسائي، عن أبي المَلِيح، عن رِدْفِ رسول الله ﷺ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا عَثَرَت بك الدابَّةُ، فلا تَقُل: تَعَسَ الشيطانُ، فإنه يَتَعاظَمُ حتى يَصِيرَ مثلَ

= من الغلاة. وقد اعتذرَ الذهبي لإيراده، فقال: روايتُه إثم مكرر، فأستغفر الله العظيم، بل روايتي له لِهَتكِ حاله. ثم ساقه من طريق محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر، وقال: والحمل فيه عليه. وانظر تنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ٣٦٠، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣٧٤.

(١) في (د) و(ز) و(م): سبع، ووقع في (ظ): سبع ثمان، والمثبت يوافق عدد المسائل الواردة.

(٢) هذا كلام الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٤٠١.

(٣) أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٦٧)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٥٣٣) عن علي رضي الله عنه قال: تَنَوَّق رجلٌ في «بسم الله الرحمن الرحيم» فغُفر له. وقوّاه ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ٢٦٠ ـ مع أن في إسناده عمر بنَ حفص العدني، وهو ضعيف ـ وقال: له حكم الرفع.

(٤) المروزي، المحدِّث الزاهد، توفي سنة (٢٢٧هـ). سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦٩.

(٥) الرسالة القشيرية ١/ ٨٩. وصاحب الرسالة هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الخراساني، الشافعي، مات سنة (٤٦٥هـ). السير ١٨/ ٢٢٧.

البيت، ويقول: بقوَّتي[١] صَنَعتُه، ولكن قُل: بسم الله[٢]، فإنه يَتَصاغَرُ حتى يَصِيرَ مثلَ الذُّبابِ[٣].

وقال عليُّ بنُ الحسين[٤] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]؛ قال: معناه: إذا قلتَ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾[٥].

وروى وكيعٌ، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: مَن أراد أَن يُنجِيَه اللهُ من الزَّبانِية التسعةَ عشرَ، فَلْيَقْرَأْ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ ليجعلَ اللهُ تعالى له بكلِّ حرف منها جُنَّةً مِن كلِّ واحد[٦].

فالبَسمَلةُ تسعةَ عشرَ حرفاً، على عدد ملائكة أهلِ النارِ الذين قال الله فيهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] وهم يقولون في كلِّ أفعالهم: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾، فَمِن هنالك قُوَّتُهم[٧]، وببسم الله استضلعوا[٨].

قال ابن عطية: ونظيرُ هذا قولُهم في ليلة القدر: إنها ليلةُ سبع وعشرين، مراعاةً للفظة «هي» من كلمات[٩] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ [القدر: ١]. ونظيرُه أيضا قولُهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قولَ القائل: ربَّنا ولك الحمدُ حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه، فإنها بِضعةٌ وثلاثون حرفاً، فلذلك قال النبيُّ ﷺ: «لقد رأيتُ بِضعةً وثلاثين مَلَكاً يَبتَدِرونها أيُّهم يكتُبها أوَّل»[١٠]. قال ابن عطية: وهذا من مُلَحِ التفسير، وليس من متين العلم[١١].

---

(١) في (م): بقوته.

(٢) في (م): بسم الله الرحمن الرحيم.

(٣) سنن النسائي الكبرى (١٠٣١٢)، وهو في مسند أحمد (٢٠٥٩١). وفيه: بقوتي صرعتُه.

(٤) ابن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسين، زين العابدين، توفي سنة (٩٢هـ)، وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٦٠. وسيذكره المصنف عند تفسير الآية (٤٦) من سورة الإسراء.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٩ ونسبه لوكيع والثعلبي.

(٧) في (م): هي قوتهم.

(٨) المحرر الوجيز ١/ ٦١.

(٩) في (م): كلمات سورة.

(١٠) أخرجه أحمد في المسند (١٨٩٩٦)، والبخاري (٧٩٩) من حديث رفاعة بن رافع الزرقي.

(١١) المحرر الوجيز ١/ ٦١.

الثالثة: روى الشعبيُّ والأعمشُ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَكتُبُ: «باسمك اللهُمَّ» حتى أُمِرَ أن يَكتُبَ ﴿بسم الله﴾ فكتَبَها، فلما نزلت: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، كتب: ﴿بسم الله الرحمٰن﴾ فلما نزلَت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، كتبها[١].

وفي «مصنف» أبي داود: قال الشعبيُّ وأبو مالك[٢] وقتادةُ وثابتُ بن عُمارةَ[٣]: إنَّ النبيَّ ﷺ لم يَكتُب ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ حتى نزلت سورةُ النمل[٤].

الرابعة: رُوِيَ عن جعفر الصادق[٥] رضي الله عنه، أنه قال: البسملةُ تِيجانُ السُّورَ[٦].

قلت: وهذا يَدُلُّ على أنها ليست بآية من الفاتحة، ولا غيرها.

وقد اختلف العلماءُ في هذا المعنى على ثلاثةِ أقوال:

الأول: ليست بآية لا في[٧] الفاتحة، ولا غيرها. وهو قولُ مالك.

الثاني: أنها آيةٌ من كلِّ سورة. وهو قولُ عبد الله بنِ المبارك.

الثالث: قال الشافعي: هي آيةٌ في الفاتحة. وتَرَدَّدَ قولُه في سائر السُّوَر، فمرَّةً قال: هي آيةٌ من كلِّ سورة، ومرَّةً قال: ليست بآية إلا في الفاتحة وحدَها. ولا خلافَ بينهم على[٨] أنها آيةٌ من القرآن في سورة النمل[٩].

واحتجَّ الشافعي بما رواه الدارقطني[١٠] من حديث أبي بكر الحنفي، عن

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٦١، وأخرج نحوه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٨١ عن الشعبي وحده، وانظر الدر المنثور ٥/ ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) غزوان الغفاري الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة، من رجال التهذيب، وينظر تحفة الأشراف ١٣/ ٣٣٠.

(٣) البصري الحنفي، صدوق، من رجال التهذيب، مات سنة (١٤٩هـ).

(٤) سنن أبي داود بإثر الحديث (٧٨٧)، وهو مرسل.

(٥) هو ابن محمد بن علي بن الحسين، أبو عبد الله الهاشمي، وهو من جِلَّة علماء المدينة، توفي سنة (١٤٨هـ). سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥.

(٦) المحرر الوجيز ١/ ٦٠.

(٧) في (م): من.

(٨) في (م): في.

(٩) الاستذكار ٤/ ٢٠٥، والتمهيد ٢٠/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ لابن عبد البر.

(١٠) في السنن ١/ ٣١٢. وأبو بكر الحنفي: هوعبد الكبير بن عبد المجيد. وقد وقع أخطاء في اسمه واسم شيخه في النسخ الخطية.

عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن سعيد بن أبي سعيد المَقبُرِيِّ، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا قرأتُم: الحمد لله ربِّ العالمين، فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أُمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والسَّبعُ المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم أحدُ آياتِها[١]». رَفَعَ هذا الحديثَ عبدُ الحميد بن جعفر[٢]، وعبدُ الحميد هذا: وَثَّقَه أحمدُ بنُ حنبل، ويحيى بنُ سعيد، ويحيى بنُ مَعِين. وأبو حاتم[٣] يقول فيه: مَحلُّه الصِّدق. وكان سفيانُ الثوريُّ يُضَعِّفُه، ويَحمِلُ عليه. ونوحُ بنُ أبي بلال ثقةٌ مشهورٌ.

وحُجَّةُ ابن المبارك، وأحدِ قولي الشافعي، ما رواه مسلمٌ عن أنس قال: بَيْنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم بين أظهرنا، إذْ أَغْفَى إغفاءةً، ثم رفع رأسَه مُتَبَسِّماً، فقلنا: ماأضحَكَكَ يا رسولَ الله؟ قال: «نَزلَت عليَّ آنِفاً سورةٌ»، فقرأ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم، إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾. وذكر الحديث[٤]، وسيأتي بكماله في سورة الكوثر إن شاء الله تعالى.

الخامسة: الصحيحُ من هذه الأقوالِ قولُ مالك، لأنَّ القرآنَ لا يَثبُتُ بأخبار الآحاد، وإنما طريقُه التواترُ القطعيُّ الذي لا يُختَلَفُ فيه. قال ابنُ العربي: ويكفيك أنها ليست من القرآن اختلافُ الناسِ فيها، والقرآنُ لا يُختَلَفُ فيه[٥].

والأخبارُ الصِّحاحُ التي لا مَطعَنَ فيها دالَّةٌ على أنَّ البسملةَ ليست بآية من الفاتحة، ولا غيرها، إلا في النمل وحدَها. روى مسلم عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال اللهُ عز وجل: قَسَمتُ الصلاةَ بيني وبين عَبدي نِصفَين، ولِعبدي ما سأل، فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال اللهُ تعالى: حَمِدَني عبدي، وإذا قَال العبدُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال اللهُ تعالى: أثنى عَلَيَّ عبدي، وإذا قال العبدُ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مَجَّدَني عبدي ـ وقال مرَّة: فَوَّضَ إليَّ عبدي ـ

(١) في سنن الدارقطني: إحداها.

(٢) ونقل الدارقطني بإثر الحديث عن أبي بكر الحنفي قوله: ثم لقيتُ نوحاً (يعني ابن أبي بلال) فحدثني به عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، بمثله، ولم يرفعه.

(٣) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، الناقد، شيخ المحدّثين، مات سنة (٢٧٧هـ). السير ١٣/ ٢٤٧.

(٤) صحيح مسلم (٤٠٠)، وهو في مسند أحمد (١١٩٩٦).

(٥) أحكام القرآن ١/ ٢ ووقع في (د) و(ز): لا يختلف الناس فيه.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»[١].

فقولُه سبحانه: «قَسَمتُ الصلاةَ»: يريدُ الفاتحةَ، وسَمَّاها صلاة، لأنَّ الصلاةَ لا تَصِحُّ إلا بها، فجعل الثلاثَ الآياتِ الأُوَلَ لنفسه، واختصَّ بها تباركَ اسمُه، ولم يختلف المسلمون فيها. ثم الآيةُ الرابعةُ جعلها بينه وبين عبده؛ لأنها تضمَّنَت تذَلُّلَ العبد، وطلبَ الاستعانةِ منه، وذلك يَتَضَمَّنُ تعظيمَ الله تعالى، ثم ثلاثُ آيات تتمةَ سبع آيات.

ومما يَدُلُّ على أنها ثلاثٌ قولُه: «هؤلاء لعبدي». أخرجه مالك[٢]. ولم يَقُل: هاتان، فهذا يَدُلُّ على أنَّ ﴿أَنْعَمْتَ عليهم﴾ آيةٌ. قال ابنُ بُكَير[٣]: قال مالكٌ: ﴿أَنْعَمْتَ عليهم﴾ آيةٌ. ثم الآيةُ السابعةُ إلى آخرها.

فثبتَ بهذه القِسمةِ التي قَسَمَها اللهُ تعالى، وبقوله عليه السلام لأُبَيٍّ: «كيف تَقرأُ إذا افتَتَحتَ الصلاةَ؟» قال: فقرأتُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى أتيتُ على آخرها[٤] أنَّ البسملةَ ليست بآية منها. وكذا عدَّ أهلُ المدينة وأهلُ الشام وأهلُ البصرة. وأكثرُ القُرَّاء عَدُّوا ﴿أنعمت عليهم﴾ آية. وكذا روى قتادةُ، عن أبي نَضْرةَ، عن أبي هريرةَ قال: الآيةُ السادسةُ: ﴿أنعمت عليهم﴾[٥]. وأمَّا أهلُ الكوفة من القُرَّاء والفقهاء، فإنهم عَدُّوا فيها ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾، ولم يَعُدُّوا ﴿أنعمت عليهم﴾[٦].

فإن قيل: فإنها ثَبَتَت في المُصحفِ، وهي مكتوبةٌ بخطِّه، ونُقِلَت نَقْلَه، كما نُقِلَت في «النمل»، وذلك متواترٌ عنهم؟

---

(١) صحيح مسلم (٣٩٥). وهو في مسند أحمد (٧٢٩١).

(٢) الموطأ ١/ ٨٤ ـ ٨٥، وهو في مسند أحمد (٩٩٣٢).

(٣) يحيى بن عبد الله المخزومي مولاهم، أبو زكريا المصري، تكلموا في سماعه من مالك، توفي سنة (٢٣١هـ). تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦٨.

(٤) قطعة من حديث أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٨٣.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦، ونسبه للثعلبي.

(٦) الاستذكار ٤/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢، والتمهيد ٢٠/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

قلنا: ما ذكرتموه صحيحٌ، ولكن لكونها قرآناً، أو لكونها[١] فاصِلةً بين السور. كما رُويَ عن الصحابة: كُنَّا لا نَعرِفُ انقضاءَ السورة حتى تَنزِلَ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ أخرجه أبو داود[٢]. أو تبرُّكاً[٣] بها، كما قد اتَّفقَتِ الأمَّةُ على كَتبِها في أوائل الكُتُبِ والرسائل. كل ذلك محتمل.

وقد قال الجُرَيْريُّ: سُئل الحسنُ عن ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾؟ قال: في صدور الرسائل[٤].

وقال الحسنُ أيضاً: لم تَنزِلْ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ في شيء من القرآن إلا في «طس»: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٥] [النمل: ٣٠].

والفَيصَلُ أنَّ القرآنَ لا يَثبُتُ بالنظر والاستدلال، وإنما يَثبُتُ بالنقل المتواتر القطعيِّ الاضطراري. ثم قد اضطربَ قولُ الشافعي فيها في أوَّل كلِّ سورة، فَدَلَّ على أنها ليست بآية من كلِّ سورة. والحمد لله.

فإن قيل: فقد روى جماعةٌ قراءتها[٦]، وقد تولَّى الدارقطنيُّ جمعَ ذلك في جُزء صَحَّحَهُ[٧].

قلنا: لسنا نُنكِرُ الروايةَ بذلك، وقد أشرنا إليها، ولنا أخبارٌ ثابتةٌ في مقابلتها، رواها الأئمةُ الثِّقاتُ، والفقهاءُ الأثباتُ. رَوَت عائشةُ في «صحيح» مسلم قالت: كان رسولُ الله ﷺ يَستفتِحُ الصلاةَ بالتكبير، والقراءةَ بالحمدُلله ربِّ العالمين، الحديث. وسيأتي بكماله[٨].

---

(١) في (د) و(ز): ولكونها.

(٢) (٧٨٨) من حديث ابن عباس، ولفظه: كان النبي ﷺ لا يعرفُ فَصْلَ السورة حتى تنزل عليه «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٣) في النسخ الخطية: وتبركاً، والمثبت من (م).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٢٣). الجُريري: هو سعيد بن إياس أبو مسعود، والحسن: هو البصري.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١/ ٥٣٨ من قول عبد الله بن معبد الزِّمَّاني.

(٦) في (م): قرآنيَّتها.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٣.

(٨) صحيح مسلم (٤٩٨). وهو في مسند أحمد (٢٤٠٣٠)، وسيذكره المصنف أيضاً ص ٢٦٩ عند تفسير الآية (٣) في المسألة العشرين، والآية (٤٣) المسألة السابعة، كلتاهما في سورة البقرة.

وروى مسلم أيضاً، عن أنس بن مالك قال: صلَّيتُ خلفَ النبيِّ ﷺ وأبي بكر وعمرَ، فكانوا يستفتحون بالحمدُ لله ربِّ العالمين، لا يذكُرون ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ لا في أوَّل قراءة، ولا في آخِرها[١].

ثم إنَّ مذهبَنا يترجَّحُ في ذلك بوجهٍ عظيم، وهو المعقولُ، وذلك أنَّ مسجدَ النبيِّ ﷺ بالمدينةِ انقَرضَتْ[٢] عليه العصورُ، ومرَّت عليه الأزمنةُ والدُّهورُ، من لَدُنْ رسولِ الله ﷺ إلى زمان مالك، ولم يَقرَأْ أحدٌ فيه قَطُّ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ اتِّباعاً للسُّنَّةِ، وهذا يَرُدُّ أحاديثَكم. بَيْدَ أنَّ أصحابَنا استحبُّوا قراءَتها في النَّفل. وعليه تُحمَلُ الآثارُ الواردةُ في قراءتها، أو على السَّعةِ في ذلك[٣].

قال مالكٌ: ولا بأسَ أن يقرأَ بها في النافلة، ومَن يعرِضُ القرآنَ عَرْضاً.

وجُملةُ مذهب مالك وأصحابه: أنها ليست عندهم آيةً من فاتحة الكتاب ولا غيرها، ولا يقرأُ بها المصلِّي في المكتوبة [في فاتحة الكتاب] ولا في غيرها سرًّا ولا جَهْراً[٤]، ويجوزُ أن يقرأَها في النوافل. هذا هو المشهورُ من مذهبه عند أصحابه[٥]. وعنه روايةٌ أخرى: أنها تُقرَأُ أوَّلَ السورة في النوافل، ولا تقرأُ أوَّلَ أُمِّ القرآن[٦]. وروى عنه ابنُ نافع ابتداءَ القراءة بها في الصلاة؛ الفَرضِ والنَّفل، ولا تُترَكُ بحال[٧].

ومِن أهل المدينة مَن يقولُ: إنه لابُدَّ فيها من ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾، منهم ابنُ عمر، وابنُ شهاب. وبه قال الشافعيُّ، وأحمدُ، وإسحاقُ[٨]، وأبو ثور[٩]، وأبو

---

(١) صحيح مسلم (٣٩٩): (٥٢) وفيه أيضاً: وعثمان، وهو في المسند (١٣٣٣٧).

(٢) في (م): انقضت.

(٣) من قوله: ثم إن مذهبنا يترجح ... من أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٣ بتصرف يسير.

(٤) في (ظ): لا يصلي بها المصلي في المكتوبة لا سرًّا ولا جهراً.

(٥) الاستذكار ٤/ ٢٠٥، والتمهيد ٢٠/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧. وما بين حاصرتين منهما.

(٦) النوادر والزيادات ١/ ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٧) الذي في الاستذكار ٤/ ٢٠٥ أن هذا القول لابنِ نافع ـ وهو عبد الله بنُ نافع الصائغ ـ من رواية يحيى بن يحيى عنه، فلعل الصواب في العبارة أن يقال: ورُوي عن ابن نافع...

(٨) ابن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه، أبو يعقوب التميمي، المروزي، نزيل نيسابور، مات سنة (٢٣٨هـ). السير ١١/ ٣٥٨.

(٩) هو إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، الحافظ الفقيه، مات سنة (٢٤٠هـ)، السير ١٢/ ٧٢.

عُبيد. وهذا يَدُلُّ على أنَّ المسألةَ مسألةٌ اجتهاديَّةٌ، لا قطعيَّةٌ كما ظَنَّهُ بعضُ الجُهَّال من المُتَفَقِّهةِ، الذي يَلزَمُ على قوله تكفيرُ المسلمين، وليس كما ظَنَّ، لوجودِ الاختلافِ المذكورِ. والحمدُ لله.

وقد ذهب جَمعٌ من العلماء إلى الإسرار بها مع الفاتحة، منهم أبو حنيفةَ والثَّوريّ، ورُوِيَ ذلك عن عمرَ، وعليٍّ، وابنِ مسعود، وعمَّار، وابنِ الزبير. وهو قولُ الحَكَم وحمَّاد. وبه قال أحمدُ بنُ حنبل وأبو عُبيد، ورُوِيَ عن الأوزاعيِّ مثلُ ذلك. حكاه أبو عمر بن عبد البَرِّ في «الاستذكار»[١].

واحتجُّوا من الأثر في ذلك بما رواه منصورُ بن زاذان، عن أنس بن مالك قال: صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ، فلم يُسمِعنا قراءةَ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾[٢]. وما رواه عمَّار بن رُزَيق، عن الأعمش، عن شُعبةَ، عن ثابت، عن أنس قال: صلَّيتُ خلفَ النبيِّ ﷺ، وخلفَ أبي بكر وعمرَ، فلم أَسمَعْ أحداً منهم يجهرُ ببسم الله الرحمن الرحيم[٣].

قلتُ: هذا قولٌ حسنٌ، وعليه تَتَّفِقُ الآثارُ عن أنس، ولا تَتَضادُّ، ويُخرَجُ به من الخلاف في قراءة البسملة.

وقد رُوي عن سعيد بن جُبير قال: كان المشركون يَحضُرون المسجد[٤]، فإذا قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ قالوا: هذا محمدٌ يذكُر رحمانَ اليمامة - يعنون مُسَيلِمةَ - فأُمِرَ أن يُخافِتَ ببسم الله الرحمن الرحيم، ونزلَ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠][٥].

قال الترمذيُّ الحكيم أبو عبد الله[٦]: فبقي ذلك إلى يومنا هذا على ذلك الرَّسمِ،

---

(١) ٤/ ٢٠٧.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الصغرى ٢/ ١٣٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٣٧٨٤). ومن قول المصنف: واحتجوا من الأثر في ذلك... من الاستذكار ٤/ ٢١٠ - ٢١١.

(٤) في (م): بالمسجد.

(٥) أخرجه أبو داود في المراسيل (٣٤). وفي إسناده شريك بن عبد الله النَّخَعي، قال الحافظ في التقريب: يخطىء كثيرا.

(٦) في نوادر الأصول ص٣٩٣، وقد نقل منه المصنف من قوله: وقد رُوي عن سعيد بن جبير ...

وإن زالت العِلَّةُ، كما بقيَ الرَّمَلُ في الطَّوافِ، وإن زالتِ العِلَّةُ، وبَقِيَت المُخافَتَةُ في صلاة النهار، وإن زالت العِلَّةُ.

السادسة: اتَّفقَتِ الأمَّةُ على جواز كَتْبِها في أوَّل كلِّ كتاب من كُتُبِ العلم والرسائل، فإن كان الكتابُ ديوانَ شِعر؛ فروى مُجالدٌ، عن الشَّعبيِّ قال: أجمَعُوا ألا يكتُبوا أمامَ الشِّعر ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾. وقال الزُّهري: مَضَتِ السُّنَّةُ ألا يكتُبوا في الشعر ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾. وذهب إلى رَسْمِ التَّسميةِ في أوَّل كُتُبِ الشعر سعيدُ بن جُبير، وتابعه على ذلك أكثرُ المتأخِّرين. قال أبو بكر الخطيبُ: وهو الذي نختارُه، ونَستَحِبُّه[١].

السابعة: قال الماورديُّ[٢]: ويقال لمن قال: بسم الله: مُبَسْمِلٌ، وهي لغةٌ مُوَلَّدةٌ، وقد جاءَت في الشعر، قال عمرُ بن أبي ربيعةَ[٣]:

لقد بَسْمَلَتْ ليلى غَداةَ لَقِيتُها فيا حَبَّذا ذاك الحبيبُ المُبَسْمِلُ[٤]

قلت: المشهورُ عن أهل اللغة: بَسمَلَ. قال يعقوبُ بن السِّكِّيت[٥] والمُطَرِّز[٦] والثعالبيُّ[٧] وغيرُهم من أهل اللُّغة: بَسمَلَ الرجلُ؛ إذا قال: بسم الله. يقال: قد

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٤٠٥ ـ ٤٠٧.

(٢) في تفسيره النكت والعيون ١/ ٥٠. والماوردي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الشافعي، أقضى القضاة، صاحب التصانيف، اتهمه ابن الصلاح بالاعتزال، وقال ابن حجر في لسان الميزان ٤/ ٢٦٠: ولا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال، مات سنة (٤٠٥هـ). سير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٤.

(٣) أبو الخطاب المخزومي، شاعر قريش، ولد ليلة مقتل عمر رضي الله عنه، واستشهد غازياً في البحر سنة (٩٣هـ). السير ٤/ ٣٧٩.

(٤) ديوانه ص ١١٧.

(٥) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السِّكِّيت، البغدادي، النحوي، المؤدب، صاحب إصلاح المنطق. توفي سنة (٢٤٤هـ). سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٦.

(٦) محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد، اللغوي، المعروف بغلام ثعلب، له من التصانيف: اليواقيت، و شرح الفصيح، وفائت الفصيح، وغريب مسند أحمد، وغيرها. توفي سنة (٣٤٥هـ). بغية الوعاة ١/ ١٦٤.

(٧) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري شيخ العربية، الشاعر. صاحب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر و فقه اللغة، توفي سنة (٤٣٠هـ). سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٣٧.

أكثرت من البسملة، أي: من قول بسم الله، ومثلُه: حَوْقَلَ الرجلُ؛ إذا قال: لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلا بالله، وهَلَّلَ؛ إذا قال: لا إلهَ إلا اللهُ، وسَبْحَلَ؛ إذا قال: سبحانَ الله، وحَمدَلَ؛ إذا قال: الحمدُ لله، وحَيْصَلَ[1]؛ إذا قال: حَيَّ على الصلاة[2]، وجَعفَلَ[3]؛ إذا قال: جُعِلتُ فِداكَ، وطَبقَلَ[4]؛ إذا قال: أطال اللهُ بقاءَك، ودَمْعَزَ؛ إذا قال: أدامَ اللهُ عِزَّكَ، وحَيفَل[5]؛ إذا قال: حيَّ على الفلاح. ولم يَذكُرِ المُطَرِّزُ الحَيصَلَةَ؛ إذا قال: حيَّ على الصلاة، وجَعفَلَ؛ إذا قال: جُعِلتُ فِداكَ، وطَبقَلَ؛ إذا قال: أطالَ الله بقاءَك، ودَمعَزَ؛ إذا قال: أدام اللهُ عِزَّكَ.

الثامنة: نَدَبَ الشَّرعُ إلى ذِكرِ البسملة في أوَّلِ كلِّ فِعل، كالأكلِ والشُّرب، والنَّحرِ، والجِماع، والطَّهارة، وركوبِ البحر، إلى غير ذلك من الأفعال، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٨]. ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود:٤١]. وقال رسولُ الله ﷺ: «أغلِق بابَك، واذكُرِ اسمَ الله، وأطفِئ مِصباحَكَ، واذكُرِ اسمَ الله، وخَمِّر إناءَك، واذكُرِ اسمَ الله، وأوكِ سِقاءَك، واذكُرِ اسمَ الله»[6]، وقال: «لو أنَّ أحدَكم إذا أرادَ أن يأتيَ أهلَه قال: بسم الله، اللهمَّ جَنِّبنا الشيطانَ، وجَنِّبِ الشيطانَ مارَزَقتَنا، فإنه إن يُقَدَّر بينهما ولدٌ في ذلك، لم يَضُرَّه شيطانٌ أبداً»[7] وقال لعمرَ بنِ أبي سَلَمَةَ[8]: «يا غلامُ، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ

(١) في (د): حيعل.

(٢) في فقه اللغة للثعالبي ص ٢٢٥: الحيعلة: حكاية قول المؤذن: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح.

(٣) وكذا ذكر ابن القطاع في الأفعال١/ ١٩٧: جعفل. وأورد السيوطي في المزهر ١/ ٤٨٣ عن ابن السِّكيت وغيره أن حكاية قول القائل: جعلت فداك: الجعفدة.

(٤) ذكر الثعالبي في فقه اللغة ص ٢٢٥ أن الطَّلبَقَةَ حكاية قول القائل: أطال الله بقاءك.

(٥) في (ظ): حيعل.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٤٤٣٤)، والبخاري (٣٢٨٠) بأتمَّ منه من حديث جابر رضي الله عنه.

(٧) أخرجه أحمد في المسند (١٨٦٧)، والبخاري (٦٣٨٨)، ومسلم (١٤٣٤) من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٨) القرشي، المخزومي، الحبشي المولد، زَوَّجَ أمَّه بالنبي ﷺ وهو صبي. توفي سنة (٥١هـ). السير ٣/ ٤٠٦.

مما يَلِيكَ»[١]، وقال: «إنَّ الشيطانَ لَيَستَحِلُّ الطَّعام ألَّا[٢] يُذكَرَ اسمُ اللهِ عليه»[٣]. وقال: «مَن لم يَذبَح، فَليَذبَح باسمِ الله»[٤]، وشكا إليه عثمانُ بنُ أبي العاص[٥] وَجَعاً يَجِدُه في جسدِه منذ أسلمَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «ضَع يدَكَ على الذي يألمُ[٦] مِن جَسَدِك، وقُل: بسمِ اللهِ ثلاثاً، وقُل سبعَ مرَّات: أعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وقُدرَتِهِ من شَرِّ ما أَجِدُ وأُحاذِرُ»[٧]. هذا كلُّه ثابتٌ في الصحيح.

وروى ابنُ ماجه والترمذيُّ عن النبيِّ ﷺ قال: «سَترُ ما بين الجِنِّ وعوراتِ بني آدمَ؛ إذا دَخَلَ الكَنِيفَ أن يقولَ: بسم الله»[٨].

وروى الدارقطنيُّ عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا مَسَّ طَهُورَه، سَمَّى الله تعالى، ثم يُفرِغُ الماءَ على يديه[٩].

التاسعة: قال علماؤنا: وفيها ردٌّ على القَدَرِيَّةِ وغيرهم ممن يقول: إنَّ أفعالَهم مقدورةٌ لهم. وموضعُ الاحتجاج عليهم من ذلك أنَّ اللهَ سبحانه أمرَنا عند الابتداء بكلِّ فِعلٍ أن نَفتَتِحَ بذلك، كما ذكرنا.

فمعنى «بسم الله» أي: بالله، ومعنى «بالله» أي: بِخَلقِه وتقديرِه يُوصَلُ إلى ما يُوصَلُ إليه. وسيأتي لهذا مزيدُ بيانٍ إن شاء اللهُ تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٦٣٣٢)، والبخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢) من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه.

(٢) في (ظ): إلا أن.

(٣) قطعة من حديث حذيفة رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٢٣٢٤٩)، ومسلم (٢٠١٧).

(٤) قطعة من حديث جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١٨٨١٥)، والبخاري (٩٨٥)، ومسلم (١٩٦٠).

(٥) أبو عبد الله الثقفي، الطائفي، وفد مع قومه على النبي ﷺ سنة تسع فأسلموا، وأمَّرَه عليهم، وكان أصغرهم سنًّا، توفي سنة (٥١هـ). السير ٢/ ٣٧٤.

(٦) في (م): تألم.

(٧) أخرجه أحمد (١٦٢٦٨) (دون ذكر التسمية)، ومسلم (٢٢٠٢)، واللفظ له، من حديث عثمان بن أبي العاص، رضي الله عنه.

(٨) سنن ابن ماجه (٢٩٧)، وسنن الترمذي (٦٠٦)، وهو من حديث علي رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بذاك القوي.

(٩) سنن الدارقطني ١/ ٧٢، وفيه: يسمِّي، بدل: سمَّى.

وقال بعضُهم: معنى قوله: «بسم الله» يعني: بدأتُ بعون الله وتوفيقه وبَرَكَتِه. وهذا تعليمٌ من الله تعالى عبادَه، لِيَذكُروا اسمَه عند افتتاحِ القراءةِ وغيرِها، حتى يكونَ الافتتاحُ ببركةِ اسمِه[١] جلَّ وعزَّ.

العاشرة: ذَهَبَ أبو عُبيدة مَعمَرُ بنُ المُثَنَّى إلى أنَّ «اسم» صِلَةٌ زائدةٌ، واستشهدَ بقول لَبِيد[٢]:

إلى الحَولِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكُما ومَن يَبكِ حَوْلاً كاملاً فقدِ اعتَذَر

فَذِكرُ «اسم» زيادةٌ، وإنما أراد: ثم السلامُ عليكما[٣].

وقد استدلَّ علماؤُنا بقول لَبِيد هذا على أنَّ الاسمَ هو المسمَّى. وسيأتي الكلامُ فيه في هذا البابِ وغيره، إن شاء الله تعالى[٤].

الحادية عشرة: اختُلِفَ في معنى زيادةِ «اسم». فقال قُطرُبٌ[٥]: زِيدَت لإجلال ذِكرِه تعالى وتعظيمِه. وقال الأَخفشُ[٦]: زِيدَت ليخرجَ بذِكرِها من حُكمِ القَسَمِ إلى قَصدِ التبرُّك، لأنَّ أصلَ الكلام: بالله.

الثانية عشرة: اختلفوا أيضاً في معنى دخولِ الباء عليه، هل دَخَلَت على معنى الأمرِ، والتقديرُ: اِبدَأ بسم الله؟ أو على معنى الخبرِ، والتقديرُ: اِبتدأتُ بسم الله[٧]؟ قولان: الأوَّلُ للفرَّاء، والثاني للزجَّاج[٨]. فـ«بسم» في موضع نصب على التأويلين. وقيل: المعنى: ابتدائي بسم الله، فـ«بسم الله» في موضع رَفعِ خبرُ الابتداء.

---

(١) في (م): ببركة الله.

(٢) ابن ربيعة العامري، الصحابي، الشاعر، قال الشعر في الجاهلية دهراً ثم أسلم، وعُمِّرَ طويلاً. مات في الكوفة سنة (٤١هـ). الإصابة ٩/ ٦. والبيت في ديوانه ص ٧٩.

(٣) من قوله: ذهب أبو عبيدة... من تفسير الماوردي ١/ ٤٧، وقد نقل قولَ أبي عبيدة ابنُ جني في الخصائص ٣/ ٢٩.

(٤) ص ١٥٦، وفي المسألة الثالثة من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٥) محمد بن المستنير أبو علي النحوي اللغوي، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين. من كتبه معاني القرآن، والاشتقاق. توفي سنة (٢٠٦هـ). إنباه الرواة ٣/ ٢٢١.

(٦) سعيد بن مسعدة، أبو الحسن البلخي البصري، إمام النحو، المعروف بالأخفش الأوسط، تلميذ سيبويه، مات سنة نيف عشرة ومئتين. السير ١٠/ ٢٠٨.

(٧) في (د) و(ز): وتقديره ابتدأت بسم الله.

(٨) النكت والعيون ١/ ٤٧ ـ ٤٨.

وقيل: الخبرُ محذوفٌ، أي: ابتدائي مستقرٌّ أو ثابتٌ بسم الله، فإذا أظهرتَه، كان «بسم الله» في موضعِ نصبٍ بثابت أو مستقر، وكان بمنزلة قولِكَ: زيدٌ في الدار. وفي التنزيل: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ [النمل: ٤٠] فـ«عندَه» في موضعِ نصبٍ، رُوي هذا عن نُحاةِ أهلِ البصرة.

وقيل: التقديرُ: ابتدائي بسم الله موجودٌ، أو ثابتٌ، فـ«باسم» في موضعِ نصب بالمصدر الذي هوابتدائي.

الثالثة عشرة: «بسم الله» تُكتَبُ بغير ألف، استُغنيَ[١] عنها بباء الإلصاقِ[٢] في اللَّفظ والخطِّ، لكَثرةِ الاستعمال، بخلاف قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، فإنها لم تُحذَف، لقِلَّةِ الاستعمال. واختلفوا في حَذفِها مع الرحمن والقاهر. فقال الكِسائيُّ وسعيدٌ الأخفشُ: تُحذَفُ الألفُ. وقال يحيى بنُ زياد[٣]: لا تُحذَفُ إلا مع «بسم الله» فقط، لأنَّ الاستعمالَ إنما كَثُرَ فيه[٤].

الرابعة عشرة: واختُلِفَ في تخصيص باء الجرِّ بالكسر على ثلاثةِ معانٍ، فقيل: لِيُناسِبَ لفظُها عملَها. وقيل: لمَّا كانت الباءُ لا تَدخُلُ إلا على الأسماء، خُصَّت بالخَفْضِ الذي لا يكون إلا في الأسماءِ. الثالث: لِيُفَرَّقَ بينها وبين ما قد يكونُ من الحروف اسماً، نحو الكاف في قول الشاعر[٥]:

ورُحْنَا بِكَابْنِ الماءِ يُجْنَبُ وَسْطَنا

أي: بمثل ابْنِ الماء، وما[٦] كان مثلُه.

الخامسة عشرة: «اسم» وَزنُه: افْعٌ، والذاهبُ منه الواو؛ لأنه من: سَمَوت، وجَمْعُه

---

(١) في (م): استغناء.

(٢) في (ظ): بالإلصاق.

(٣) هو أبو زكريا الفرَّاء. وقد تحرفت كلمة «زياد» في النسخ و (م) إلى: «وثاب».

(٤) ينظر المحرر الوجيز ١/ ٦٢، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٣.

(٥) هو امرؤ القيس، والبيت في ديوانه ص ١٧٦. وشطره الثاني: تصوّب فيه العين طوراً وترتقي، قال شارحه: يقول: رُحنا بفرس كأنه ابنُ الماء في خفته وسرعة عَدْوِه. وابن الماء طائر.

(٦) في (م): أو ما.

أسماءٌ، وتصغيره سُمَيٌّ. واختُلِف في تقدير أصله، فقيل: فِعْلٌ، وقيل: فُعْلٌ. قال الجوهريُّ: وأسماءٌ يكون جمعاً لهذا الوزن[١]، وهو مِثلُ جِذْع وأجْذاع، وقُفْل وأقْفال، وهذا لا تُدرَكُ صيغتُه إلا بالسَّماع. وفيه أربعُ لغات: اِسْمٌ، بالكسر، واُسْمٌ، بالضم. قال أحمدُ بنُ يحيى[٢]: مَن ضَمَّ الألفَ، أخذَه مِن: سَمَوتُ أسمُو، ومَن كَسَرَ، أخَذَه مِن: سَمِيتُ أسمَى[٣]. ويقال: سِمٌ وسُمٌ[٤]، ويُنشَدُ:

واللهُ أسماكَ سُماً مُبارَكا آثَرَكَ اللهُ بهِ إيثارَكا

وقال آخرُ:

وعامُنا أعجَبَنا مُقَدَّمُهْ يُدْعَى أبا السَّمْحِ وقِرضَابٌ سُمُهْ
مُبتَرِكاً لكلِّ عَظْمٍ يَلْحُمُهْ

قَرْضَبَ الرجلُ: إذا أكلَ شيئاً يابساً، فهو قِرضابٌ. سُمُهْ: بالضم والكسر جميعاً. ومنه قولُ الآخر:

باسمِ الذي في كلِّ سُورةٍ سُمُهْ[٥]

وسُكِّنَتِ السين من «باسم» اعتلالاً على غير قياس، وأَلِفُه أَلِفُ وَصْلٍ، وربما جَعَلَها الشاعرُ ألفَ قَطْعٍ للضرورة، كقول الأحوص[٦]:

وما أنا بالمَخْسُوسِ في جِذْمِ مالكٍ ولا مَنْ تَسَمَّى ثم يَلتزمُ الإسما

السادسة عشرة: تقولُ العربُ في النَّسب إلى الاسمِ: سُمويٌّ، وإن شِئتَ: اسْمِيّ؛

---

(١) في الصحاح (سما): وأسماء يكون جمعاً لهذين الوزنين.

(٢) هو إمام النحو ثعلب، أبو العباس، البغدادي. مات سنة (٢٩١هـ). السير ١٤/ ٥.

(٣) في معجم متن اللغة: سَمِيَ، كَرَضِيَ. وسَمَى، كرَمَى: لغتان في سما يسمو. وينظر الصحاح (سما، سلا، علا).

(٤) وذكر أبو البركات الأنباري في الإنصاف ١/ ١٦، وأبو البقاء العكبري في الإملاء ١/ ٥، وغيرُهما، لغة خامسة، وهي: سُمى، مثل ضحى، وعُلى.

(٥) ما سلف من الرجز أورده أبو البركات الأنباري في الإنصاف ١/ ١٥ ـ ١٦، وابن منظور في اللسان (سما)، وأورد بعضَه ابن جني في المنصف ١/ ٦٠، وابن الشجري في أماليه ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٦) هو عبد الله بن محمد بن عبيد الله، أبو عاصم الأنصاري، من شعراء بني أمية. السير ٤/ ٥٩٣. والبيت في ديوانه ص ١٩٣.

تركتَه على حاله. وجمعُه أسماءٌ، وجمعُ الأسماءِ أسامٍ. وحكى الفرَّاءُ: أُعيذُكَ بأسماواتِ الله[١].

السابعة عشرة: اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين: فقال البصريون: هو مَشتَقٌّ من السُّمُوّ، وهو العُلُوُّ والرِّفْعة، فقيل: اَسم، لأنَّ صاحبَه بمنزلة المُرتَفِع به. وقيل: لأنَّ الاسمَ يسمو بالمُسَمَّى، فيرفَعُه عن غيره. وقيل: إنما سُمِّيَ الاسمُ اسماً، لأنه علا بقوَّته على قِسْمَي الكلام: الحرفِ والفعلِ، والاسمُ أقوى منهما بالإجماع، لأنه الأصلُ، فَلِعُلُوِّه عليهما، سُمِّيَ اسماً. فهذه ثلاثةُ أقوال.

وقال الكوفيون: إنه مُشتَقٌّ من السِّمَة، وهي العلامةُ، لأنَّ الاسمَ علامةٌ لمن وُضِعَ له. فأصلُ «اسم» على هذا: وسم. والأوَّلُ أصحُّ؛ لأنه يقال في التصغير: سُمَيٌّ. وفي الجمع: أسماءٌ. والجمعُ والتَّصغيرُ يَرُدَّانِ الأسماء[٢] إلى أصولها، فلا يقال: وُسَيمٌ، ولا أوسامٌ. ويَدُلُّ على صِحَّته أيضا فائدةُ الخلاف، وهي:

الثامنة عشرة: فإنَّ مَنْ قال: الاسمُ مُشتَقٌّ من العُلُوِّ، يقول: لم يَزَلِ اللهُ سبحانه موصوفاً قبلَ وجودِ الخَلْقِ وبعدَ وجودِهم، وعند فنائِهم، ولا تأثيرَ لهم في أسمائه ولا صفاته، وهذا قولُ أهلِ السُّنَّة. ومَنْ قال: الاسمُ مُشتَقٌّ من السِّمَةِ، يقول: كان اللهُ في الأَزَلِ بلا اسم ولا صفةٍ، فلما خَلَقَ الخَلقَ، جعلوا له أسماءً وصفاتٍ، فإذا أفناهم، بَقِيَ بلا اسم ولا صفةٍ، وهذا قولُ المعتزلة. وهو خلافُ ما أجمعَت عليه الأمَّةُ، وهو أعظمُ في الخطأ مِن قولهم: إنَّ كلامَه مخلوقٌ، تعالى اللهُ عن ذلك. وعلى هذا الخلافِ وقع الكلامُ في الاسم والمُسَمَّى، وهي:

التاسعة عشرة: فذهب أهلُ الحقِّ ـ فيما نقل القاضي أبو بكر بنُ الطَّيِّب ـ إلى أنَّ الاسمَ هو المُسَمَّى، وارتضاه ابنُ فُورَك[٣]، وهو قولُ أبي عُبيدةَ وسيبويه.

فإذا قال قائلٌ: اللهُ عالمٌ، فقوله دالٌّ على الذاتِ الموصوفةِ بكونه عالماً، فالاسمُ كونه عالماً، وهو المُسمَّى بعينه. وكذلك إذا قال: اللهُ خالقٌ، فالخالقُ هو الربُّ، وهو بعينه الاسمُ. فالاسمُ عندهم هو المُسمَّى بعينه مِن غير تَفْصيلٍ.

---

(١) الصحاح للجوهري (سما). وينظر تاج العروس ١٠/ ١٨٤.

(٢) في (م): الأشياء.

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن الأصبهاني، صنف التصانيف الكثيرة، كان أشعريًا، رأساً في فن الكلام، توفي سنة (٤٠٦). سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢١٤ ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٢.

قال ابن الحصَّار: مَنْ ينفي الصفاتِ من المبتدِعةِ يَزعُمُ أَنْ لا مدلولَ للتَّسمياتِ إلا الذاتُ، ولذلك يقولون: الاسمُ غيرُ المُسمَّى، ومَنْ يُثْبِتُ الصفاتِ، يُثْبِتُ للتَّسمياتِ مدلولاتٍ هي أوصافُ الذات، وهي غيرُ العبارات، وهي الأسماءُ عندهم. وسيأتي لهذا[١] مزيدُ بيان في «البقرة» و«الأعراف» إن شاء الله تعالى[٢].

المُوفية عشرين: قولُه: الله، هذا الاسمُ أكبرُ أسمائه سبحانه وأجمعُها[٣]، حتى قال بعضُ العلماء: إنه اسمُ الله الأعظمُ[٤]، ولم يَتَسمَّ[٥] به غيرُه، ولذلك لم يُثَنَّ، ولم يُجمَع. وهو أحدُ تأويلَي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: مَن تَسَمَّى باسمه الذي هو «الله». فاللهُ اسمٌ للموجود الحقِّ الجامع لصفات الإلهيَّة، المنعوت بِنُعوت الرُّبوبيَّةِ، المنفرد بالوجود الحقيقيِّ، لا إلهَ إلا هو سبحانه. وقيل: معناه: الذي يَستَحِقُّ أن يُعبَدَ. وقيل: معناه: واجبُ الوجود الذي لم يَزَل ولا يزالُ، والمعنى واحدٌ.

الحادية والعشرون: واختلفوا في هذا الاسمِ: هل هو مُشتَقٌّ، أو موضوعٌ للذات عَلَم؟.

فذهب إلى الأوَّل كثيرٌ من أهل العلم. واختلفوا في اشتقاقه وأَصلِهِ. فروى سيبويهِ عن الخليل[٦]، أنَّ أصلَه إلاه، مثل فِعَال، فأُدخِلَت الألفُ واللامُ بدلاً من الهمزة. قال سيبويهِ: مثل: الناس، أصلُه أناس. وقيل: أصلُ الكلمةِ: لاه، وعليه دَخَلتِ الألفُ واللام للتَّعظيمِ، وهذا اختيارُ سيبويهِ[٧]. وأُنشِدَ:

---

(١) في (م): لهذه.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وعند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٣) نقله البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٧ عن الحليمي.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٢٧٣ عن جابر بن زيد قال: اسم الله الأعظم الله، وحكاه أيضاً الماوردي في تفسيره ١/ ٥٠ عن أبي حنيفة.

(٥) في (د) و(ز): يسمَّ.

(٦) هو ابنُ أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي، البصري، صاحب العربية، ومنشىء علم العروض. مات سنة بضع وستين ومئة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومئة. سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٩.

(٧) ينظر الكتاب ٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١٥٢، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ٢٣ ـ ٢٩، والخصائص لابن جني ٢/ ٢٨٨، والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٥٨.

لاهِ ابنُ عَمِّك لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ عنِّي ولا أنتَ دَيَّانِي فتَخْزُوني[١]

كذا الرواية: فتخزوني، بالخاء المعجمة، ومعناه: تَسُوسُني.

وقال الكِسائيُّ والفرَّاءُ: معنى «بسم الله»: بسم الإله؛ فحذفوا الهمزةَ، وأدغموا اللَّامَ الأولى في الثانية، فصارتا لاماً مشدَّدةً[٢]؛ كما قال عز وجل: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف:٣٨]. ومعناه: لكنْ أنا، كذلك قرأها الحسنُ[٣].

ثم قيل: هو مُشتَقٌّ من «وَلِهَ»: إذا تحيَّرَ. والوَلَهُ: ذهابُ العقل. يقال: رجلٌ وَالِهٌ، وامرأةٌ والِهةٌ ووالِهٌ. وماءٌ مُوْلَهٌ: أُرْسِلَ في الصحارَى. فاللهُ سبحانه تَتَحيَّرُ الألبابُ وتذهبُ في حقائق صفاته، والفِكَرُ في معرفته. فعلى هذا أصلُ «إلاه»: «وِلاه». وأنَّ الهمزةَ مُبدَلَةٌ مِن واو، كما أُبدِلَت في إشاح وَوِشاح، وإسادة وَوِسادة. ورُوي عن الخليل[٤].

ورُوي عن الضحَّاك أنه قال: إنما سُمِّيَ «اللهُ» إلٰهاً؛ لأنَّ الخَلقَ يتألَّهون إليه في حوائجهم، ويتضرَّعون إليه عند شدائِدِهم، وذُكِرَ عن الخليل بن أحمدَ أنه قال: لأنَّ الخَلقَ يَألَهُون إليه، بنصب اللام. ويَألِهُون أيضاً، بكسرها. وهما لغتان.

وقيل: إنه مُشتَقٌّ من الارتفاع، فكانت العربُ تقول لكلِّ شيء مرتفعٍ: لاهاً، فكانوا يقولون إذا طَلَعتِ الشمسُ: لاهَتْ[٥].

وقيل: هو مُشتَقٌّ من أَلَهَ الرجلُ: إذا تَعَبَّدَ. وتَأَلَّهَ: إذا تنسَّك، ومِن ذلك قولُه تعالى: «وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَكَ» على هذه القراءة[٦]، فإنَّ ابنَ عباس وغيرَه قالوا: وعبادتَك[٧].

---

(١) البيت لذي الإصبع العدواني، وهو في المفضليات ص١٦٠، والخصائص ٢/ ٢٨٨ وأمالي ابن الشجري ٢/ ١٩٥، والإنصاف لأبي البركات ابن الأنباري ١/ ٣٩٤.

(٢) ينظر اشتقاق أسماء الله الحسنى ص ٢٣.

(٣) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٨٠، وابن جني في المحتسب ٢/ ٢٩ وزادا نسبتها إلى أبي بن كعب.

(٤) المحرر الوجيز ١/ ٦٣، وينظر اشتقاق أسماء الله ٢٦ ـ ٢٧.

(٥) من قوله: ورُوي عن الضحاك... من تفسير أبي الليث السمرقندي ١/ ٧٦.

(٦) الأعراف: ١٢٧، وذكر هذه القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٤٥، وابن جني في المحتسب ١/ ٢٥٦.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ١٢١ـ١٢٢، وأورد له قول رؤبة:

لله درُّ الغانياتِ المُدَّهِ سَبَّحْنَ واسترجَعْنَ من تألُّهي

قالوا: فاسمُ اللهِ مُشتَقٌّ من هذا[١]، فاللهُ سبحانه معناه: المقصودُ بالعبادة، ومنه قولُ الموحِّدين: لا إلهَ إلا اللهُ، معناه: لا معبودَ غيرُ الله. و«إلا» في الكلمةِ بمعنى «غير»، لا بمعنى الاستثناء.

وزَعَمَ بعضُهم أنَّ الأصلَ فيه «الهاءُ» التي هي الكنايةُ عن الغائب، وذلك أنهم أثبتوه موجوداً في فِطَرِ عقولهم، فأشاروا إليه بحرفِ الكِناية، ثم زِيدَت فيه لامُ الملك، إذ قد عَلِمُوا أنه خالقُ الأشياء ومالِكُها، فصار «لَهُ»، ثم زِيدَت فيه الألفُ واللامُ تعظيماً وتفخيماً[٢].

القول الثاني ذَهَبَ إليه جماعةٌ من العلماء أيضاً، منهم الشافعيُّ وأبو المعالي[٣] والخطَّابي والغزالي[٤] والمفضَّل وغيرُهم. ورُوِيَ عن الخليلِ وسيبويهِ: أنَّ الألفَ واللامَ لازِمةٌ له، لا يجوزُ حذفُهما منه[٥]. قال الخطَّابيُّ: والدليلُ على أنَّ الألفَ واللامَ مِن بِنيَةِ هذا الاسم، ولم يدخُلا للتعريف، دخولُ حرفِ النِّداء عليه، كقولك: يا اللهُ، وحروفُ النِّداء لا تَجتمِعُ مع الألف واللام للتعريف، ألا ترى أنَّكَ لا تقولُ: يا الرحمنُ، ولا: يا الرحيمُ، كما تقول: يا اللهُ، فدلَّ على أنهما من بِنيَةِ الاسمِ. والله أعلم[٦].

الثانية والعشرون: واختلفوا أيضاً في اشتقاقِ اسمه «الرحمن»، فقال بعضُهم: لا اشتقاقَ له؛ لأنه من الأسماءِ المُختصَّةِ به سبحانه، ولأنه لو كان مُشتقًّا من الرحمة، لاتَّصلَ بذِكرِ المرحوم، فجاز أن يقال: اللهُ رَحمنٌ بعبادِه، كما يقال: رحيمٌ بعبادِه. وأيضاً لو كان مُشتقًّا مِن الرَّحمةِ، لم تُنكِرْه العربُ حين سَمِعُوه، إذ كانوا لا يُنكِرون

(١) هو بنحوه في تفسير ابن عطية ١/ ٦٣، وأورد خلاله قول رؤبة المذكور في التعليق قبله.

(٢) من قوله: قول الموحدين.. من كلام الخطابي، ونقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٥٨.

(٣) هو عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، إمامُ الحرمين، شيخ الشافعية، توفي سنة (٤٧٨هـ). السير ١٨/ ٤٦٨.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي، الشافعي، صاحب الإحياء وغيره من التصانيف. توفي سنة (٥٠٥هـ). السير ١٩/ ٣٢٢.

(٥) ذكر قول الخليل البيهقيُّ في الأسماء والصفات ١/ ٥٨ نقلا عن الخطابي.

(٦) نقل كلام الخطابي البيهقيُّ في الأسماء والصفات ١/ ٥٩.

رحمةَ ربِّهم، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] الآية[١].

ولمَّا كَتَبَ عليٌّ رضي الله عنه في صُلحِ الحُدَيبِيةِ بأمرِ النبيِّ ﷺ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ قال سُهَيل بن عمرو: أمَّا ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ فما ندري ما ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ ! ولكنِ اكتُبْ ما نَعرِفُ: باسمِكَ اللَّهُمَّ. الحديث[٢].

قال ابنُ العربي: إنماجَهِلُوا الصِّفةَ دونَ الموصوف، واستدلَّ على ذلك بقوله[٣]: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] ؟ ولم يقولوا: ومنِ الرحمنُ ؟ قال ابنُ الحصَّار: وكأنَّه رحمه اللهُ لم يَقرَأ الآيةَ الأخرى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وذهب الجمهورُ من الناس إلى أنَّ «الرحمن» مُشتَقٌّ مِنَ الرَّحمةِ، مَبنيٌّ على المبالغة، ومعناه: ذو الرَّحمةِ الذي لا نظيرَ له فيها، فلذلك لا يُثَنَّى، ولا يُجمَعُ، كما يُثَنَّى «الرحيم»، ويُجمَعُ[٤].

قال ابنُ الحصَّار: ومما يَدُلُّ على الاشتقاق ما خَرَّجَه الترمذيُّ وصَحَّحه عن عبد الرحمن بن عَوف، أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قال اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا الرحمنُ، خَلَقتُ الرَّحِمَ، وشَقَقتُ لها اسماً منِ اسمي، فمَنْ وَصَلَها، وَصَلْتُه، ومَنْ قَطَعَها، قَطَعْتُه»[٥]. وهذا نصٌّ في الاشتقاق، فلا معنى للمخالفةِ والشِّقاقِ، وإنكارُ العرب له لِجَهلِهم بالله، وبما وَجَبَ له[٦].

الثالثة والعشرون: زَعَمَ المُبَرِّدُ ـ فيما ذكر ابنُ الأنباريِّ في كتاب «الزاهر»[٧] له ـ

---

(١) من كلام الخطابي، نقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٣٨٢٧)، والبخاري (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢) من حديث المسور ومروان، ومسلم (١٧٨٤) من حديث أنس.

(٣) في (م): بقولهم.

(٤) الأسماء والصفات ١/ ١٣٦.

(٥) سنن الترمذي (١٩٠٧)، وهو في مسند أحمد (١٦٨٦).

(٦) وقد ردَّ ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ١٣٠ـ١٣٢ على من قال: إن العرب كانت لا تعرف «الرحمن»، وأوردَ من أشعارهم ما يبيِّنُ أن هذه التسمية كانت معروفة عندهم، وأن إنكارهم هذا إنما هو جحود وتعنت في كفرهم.

(٧) ١/ ٥٩، وقال فيه ابنُ الأنباريِّ: سمعتُ أبا العباس . . . ويعني به شيخَه ثعلب. فذهب وهم المصنف=

أنَّ «الرحمن» اسمٌ عِبْرانيٌّ، فجاء معه بـ«الرحيم». وأنشد:

لن تُدرِكُوا[١] المَجدَ أو تَشرُوا عَبَاءَكُمُ ... بالخَزِّ أو تَجعَلُوا اليَنْبُوتَ ضَمْرَانا

أو تَترُكُونَ إلى القَسَّيْنِ هِجرَتَكُم ... ومَسْحَكُم صُلْبَهُم رَحمانَ قُربانا[٢]

قال أبو إسحاقَ الزجَّاجُ في «معاني القرآن»: وقال أحمدُ بن يحيى[٣]: «الرحيم» عَرَبيٌّ، و«الرحمن» عِبْرانيٌّ، فلهذا جمعَ بينهما. وهذا القولُ مرغوبٌ عنه.

وقال أبو العباس: النَّعتُ قد يَقَعُ للمدحِ، كما تقول: قال جريرٌ الشاعرُ. وروى مَطَر[٤]، عن قتادةَ في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ قال: مَدَحَ نفسَه[٥]. قال أبو إسحاقَ: وهذا قولٌ حَسَنٌ. وقال قُطرُبٌ: يجوزُ أن يكونَ جمعَ بينهما للتوكيد[٦]. قال أبو إسحاق: وهذا قولٌ حَسَنٌ، وفي التوكيد أعظمُ الفائدة، وهو كثيرٌ في كلام العرب، يستغني[٧] عن الاستشهاد. والفائدةُ في ذلك ما قاله محمدُ بن يزيدَ: إنه تَفَضُّلٌ بعد تَفَضُّلٍ، وإنعامٌ بعد إنعامٍ، وتَقويةٌ لِمطامِعِ الراغبين، ووَعدٌ لا يَخِيبُ آمِلُه[٨].

الرابعة والعشرون: واختلفوا: هل هما بمعنًى واحدٍ، أو بمعنيين؟ فقيل: هما

= إلى أنه أبو العباس المبرِّد، فقال: زعم المبرِّد... وقد صرَّحَ به أبو القاسم الزَّجَّاجي في اشتقاق أسماء الله ص ٤٢ ـ ٤٣.

(١) في (د) (ز): لوتتركوا، وفي (ظ): لن يتركوا، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في الزاهر.

(٢) البيتان لجرير، من قصيدة يهجو بها الأخطل، وهما في ديوانه ١/ ١٦٧، ببعض اختلاف، وذكرهما الزجَّاجي في اشتقاق أسماء الله ص ٤٣، وذكر الثاني منهما الماوردي في تفسيره ١/ ٥٢. وقوله: اليَنبُوت: هو شجر الخَشخاش، وشجرٌ آخرُ عِظام، أو شجرُ الخَرُّوب. وقوله: ضَمران: هو نبت من دِقِّ الشجر. القاموس (نبت) (ضمر).

(٣) هو أبو العباس ثعلب، ولم نجد قول الزجاج هذا في كتابه معاني القرآن. وهو عند النحاس كما سنذكر.

(٤) هو ابنُ طَهْمان الورَّاق، أبو رجاء الخراساني، نزيل البصرة، كان يكتب المصاحف ويتقن ذلك، توفي سنة (١٢٩هـ). السير ٥/ ٤٥٢. وقد تحرف اسم «مطر» في (م) و (د) إلى: مطرّف.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٣ مطولاً، من طريق مطر الوراق عن قتادة، ونسبه لعبد بن حُميد.

(٦) ذكره ابن الأنباريّ في الزاهر ١/ ٥٨.

(٧) في (م): ويستغني.

(٨) من قوله: وقال أحمد بن يحيى من معاني القرآن للنحاس ١/ ٥٥ و٥٦، بتقديم وتأخير وليس للزجاج.

بمعنًى واحد، كندمانٍ ونَديم. قاله أبو عُبيدةَ[١]. وقيل: ليس بناءُ فَعلان كفَعيل، فإنَّ فعلان لا يَقَعُ إلا على مُبالغةِ الفِعلِ، نحو قولك: رجلٌ غضبانُ، للممتلئ غَضَباً. وفعيل قد يكون بمعنى الفاعلِ والمفعول. قال عَمَلَّس[٢]:

فأما إذا عَضَّتْ بك الحربُ عَضَّةً فإنكَ مَعطوفٌ عليكَ رَحِيمُ

فـ«الرحمن» خاصُّ الاسمِ، عامُّ الفعل. و«الرحيمُ» عامُّ الاسمِ، خاصُّ الفعل. هذا قولُ الجُمهور[٣].

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: «الرحمن»: اسمٌ عامٌّ في جميع أنواع الرحمة، يختصُّ به الله. «والرحيم»: إنما هو في جهة المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]. وقال العرزميُّ[٤]: «الرحمنُ» بجميع خَلْقِه في الأمطار، ونِعَمِ الحواسِّ، والنِّعَمِ العامَّة. «الرحيمُ» بالمؤمنين في الهداية لهم، واللُّطفِ بهم[٥].

وقال ابنُ المبارك: «الرحمنُ» إذا سُئِلَ أعطى. و«الرحيمُ» إذا لم يُسأَلْ غَضِبَ[٦].

وروى ابنُ ماجه في «سننه»، والترمذيُّ في «جامعه»، عن أبي صالح، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن لَم يَسأَلِ الله، يَغضَبْ عليه». لفظُ الترمذي. وقال ابن ماجه: «مَنْ لَم يَدْعُ اللهَ سبحانه، غَضِبَ[٧] عليه»[٨]. وقال: سألتُ أبا زُرعةَ عن أبي صالح هذا، فقال: هو الذي يقال له: الفارسيُّ، وهو خُوزي، ولا أعرِفُ اسمَه. وقد أخذَ بعضُ الشعراء هذا المعنى، فقال:

---

(١) في مجاز القرآن ١/ ٢١. وانظر المصدر السابق للنحاس.

(٢) هو عَمَلَّس بنُ عقيل، والبيت في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ٤، واللسان (رحم).

(٣) الأسماء والصفات ١/ ١٤١.

(٤) عبد الملك بن أبي سليمان، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الله، الكوفي، توفي سنة (١٤٥هـ). سير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٩.

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٦) ذكره الحافظ في فتح الباري ٨/ ١٥٥.

(٧) في (د): يغضب.

(٨) سنن ابن ماجه (٣٨٢٧)، وسنن الترمذي (٣٣٧٣)، وهو في مسند أحمد (٩٧٠١).

اللهُ يَـغـضَـبُ إنْ تـركـتَ سُـؤالَـه وبُـنـيُّ آدمَ حـيـن يُـسـأَلُ يَـغْـضَـبُ[١]

وقال ابنُ عباس: هما اسمانِ رقيقان، أحدُهما أرقُّ من الآخر[٢]، أي: أكثرُ رحمةً.

قال الخطَّابيُّ: وهذا مُشكِلٌ، لأنَّ الرِّقَّةَ لا مَدخَلَ لها في شيء من صفاتِ الله تعالى. وقال الحسينُ بن الفَضْل البَجَلي[٣]: هذا وَهَمٌ من الراوي؛ لأنَّ الرِّقَّةَ ليست من صفاتِ الله تعالى في شيء، وإنما هما اسمانِ رفيقانِ، أحدُهما أرفَقُ من الآخر، والرِّفقُ من صفاتِ الله عز وجل. قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ رفيقٌ، يُحِبُّ الرِّفقَ، ويُعطِي على الرِّفقِ ما لا يُعطِي على العُنفِ»[٤].

الخامسة والعشرون: أكثرُ العلماء على أنَّ «الرحمن» مختصٌّ بالله عزَّ وجلَّ، لا يجوزُ أن يُسَمَّى به غيرُه. ألا تراه قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[الإسراء: ١١٠]، فعادلَ به الاسمَ الذي لا يَشْرَكُه فيه غيرُه؟[٥]. وقال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فأخبر أنَّ «الرحمن» هو المُستحِقُّ للعبادة جلَّ وعزَّ. وقد تَجاسَرَ مُسَيلِمَةُ الكذَّابُ ـ لعنه الله ـ فتَسمَّى برحمانِ اليمامة[٦]، ولم يَتَسمَّ به حتى قَرَعَ مَسامِعَه [٧]نَعتُ «الكذَّاب»[٧]، فألزمه اللهُ تعالى نَعتَ «الكذَّابِ» لذلك، وإن كان كلُّ كافرٍ كاذباً، فقد صارَ هذا الوَصفُ لمُسَيلِمةَ عَلَماً يُعرَفُ به، ألزمَه اللهُ إيَّاه.

وقد قيلَ في اسمه «الرحمن»: إنه اسمُ اللهِ الأعظمُ. ذكره ابنُ العربيِّ.

---

(١) لم نقف عليه، وذكره المناوي في فيض القدير ٤/ ٤٩٨.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ١٣٩ من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قولَه. وذكر الحافظ في الفتح ١٣/ ٣٥٩ أن هذا الحديث لا يثبت، لأنه من رواية الكلبي، وهو متروك الحديث.

(٣) اللغوي أبو علي البجلي، الكوفي. توفي سنة (٢٨٢هـ). سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٤.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة. وما نقله المصنف من كلام الخطابي هو في الأسماء والصفات ١/ ١٤٠.

(٥) الصحاح (رحم).

(٦) سلف ص ١٤٩.

(٧-٧)ليس في النسخ وهو من (م).

السادسة والعشرون: «الرحيم» صِفةٌ مطلَقةٌ للمخلوقين. ولما في «الرحمن» من العموم، قُدِّمَ في كلامنا على «الرحيم» مع موافقةِ التنزيل. قاله المَهدَويُّ.

وقيل: إنَّ معنى «الرحيم»: أي: بالرحيم وَصَلْتُم إلى الله، وإلى الرحمن، فـ«الرحيم» نعتُ محمد ﷺ، وقد نَعَتَه تعالى بذلك، فقال: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فكأنَّ المعنى أن يقولَ: بسم الله الرحمنِ وبالرحيمِ. أي: وبمحمد ﷺ وَصَلتُم إليَّ، أي: باتِّباعِه، وبما جاء به، وَصَلتُم إلى ثوابي وكرامتي، والنَّظَرِ إلى وجهي. والله أعلم.

السابعة والعشرون: رُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالب كرَّمَ اللهُ وجهَه أنَّه قال في قوله: ﴿بسم الله﴾: إنه شفاءٌ مِن كلِّ داء، وعَونٌ على كلِّ دَواء. وأما ﴿الرحمٰن﴾ فهو عَونٌ لكلِّ مَن آمنَ به، وهو اسمٌ لم يُسَمَّ به غيرُه. وأما ﴿الرحيم﴾ فهو لمن تابَ وآمنَ وعَمِلَ صالحاً[١].

وقد فسَّره بعضُهم على الحروف، فرُوِيَ عن عثمانَ بنِ عفَّان أنه سألَ رسولَ الله ﷺ عن تفسير ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾، فقال: «أما الباء، فبلاءُ اللهِ ورَوْحُه ونَضْرَتُه وبهاؤه، وأما السينُ، فسناءُ الله، وأما الميم، فَمُلْكُ الله، وأما الله، فلا إلهَ غيرُه، وأما الرحمنُ، فالعاطفُ على البَرِّ والفاجرِ مِن خَلقِه، وأما الرحيمُ، فالرفيقُ بالمؤمنين خاصَّةً»[٢].

ورُوِيَ عن كعب الأحبار[٣] أنه قال: الباءُ بهاؤه، والسينُ سناؤه، فلا شيءَ أعلى منه، والميمُ مُلْكُهُ، وهو على كلِّ شيء قديرٌ، فلا شيءَ يُعازُّه[٤].

وقد قيل: إنَّ كلَّ حَرْفٍ هو افتتاحُ اسمٍ من أسمائه، فالباءُ مِفتاحُ اسمه بصير، والسينُ مِفتاحُ اسمه سميع، والميمُ مِفتاحُ اسمه مليك، والألفُ مفتاحُ اسمه الله، واللاَّمُ مِفتاحُ اسمه لطيف، والهاءُ مِفتاحُ اسمه هادي، والراءُ مِفتاحُ اسمه رازق،

---

(١) تفسير أبي الليث السمرقندي ١/ ٧٧.

(٢) لا أصل له.

(٣) هو كعب بن ماتع، أبو إسحاق الحميري اليماني، الحبر، كان يهوديًا، فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وكان يحدِّث عن الكتب الإسرائيلية، توفي في أواخر خلافة عثمان. السير ٣/ ٤٨٩.

(٤) في (ظ): يعارضه، والخبر من الإسرائيليات.

والحاءُ مِفتاحُ اسمه حليم، والنونُ مِفتاحُ اسمه نور. ومعنى هذا كلِّه دعاءُ اللهِ تعالى عند افتتاح كلِّ شيء[١].

الثامنة والعشرون: واختُلِفَ في وصل «الرحيم» بـ«الحمد لله»، فرُوِيَ عن أمِّ سَلَمةَ، عن النبيِّ ﷺ: «الرحيمْ الحمد» يسكِّنُ الميم، ويَقِفُ عليها، ويَبتدئ بألف مقطوعة. وقَرأ به قومٌ من الكوفيين.

وقرأ جمهورُ الناس: «الرحيمِ الحمد» تُعرَبُ «الرحيم» بالخَفضِ، وبوصلِ الألف من «الحمد».

وحكى الكِسائيُّ عن بعض العرب أنها تُقرأُ: «الرحيمَ الحمد» بفتح الميم، وصِلةِ الألف، كأنه سُكِّنَتِ الميمُ، وقُطِعَتِ الألفُ، ثم أُلقِيَتْ حركتُها على الميم، وحُذِفَتْ.

قال ابنُ عطية[٢]: ولم تُرْوَ هذه قراءةً عن أحدٍ فيما عَلِمتُ. وهذا نَظَرُ يحيى بنِ زياد في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٢][٣].

---

(١) ليس في هذه الأقوال ما يصح.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٦٤.

(٣) معاني القرآن للفراء (وهو يحيى بن زياد) ١/ ٩.